مجالات
علم الاجتماع المعاصر

أسس نظرية ودراسات واقعية

تأليف

الدكتور محمد عاطف غيث

الدكتور غريب سيد احمد — الدكتور علي عبد الرازق جلبي

الدكتورة سامية محمد جابر — الدكتور اسماعيل سعد

١٩٨٩

الطبعة الأولى

دار المعرفة الجامعية

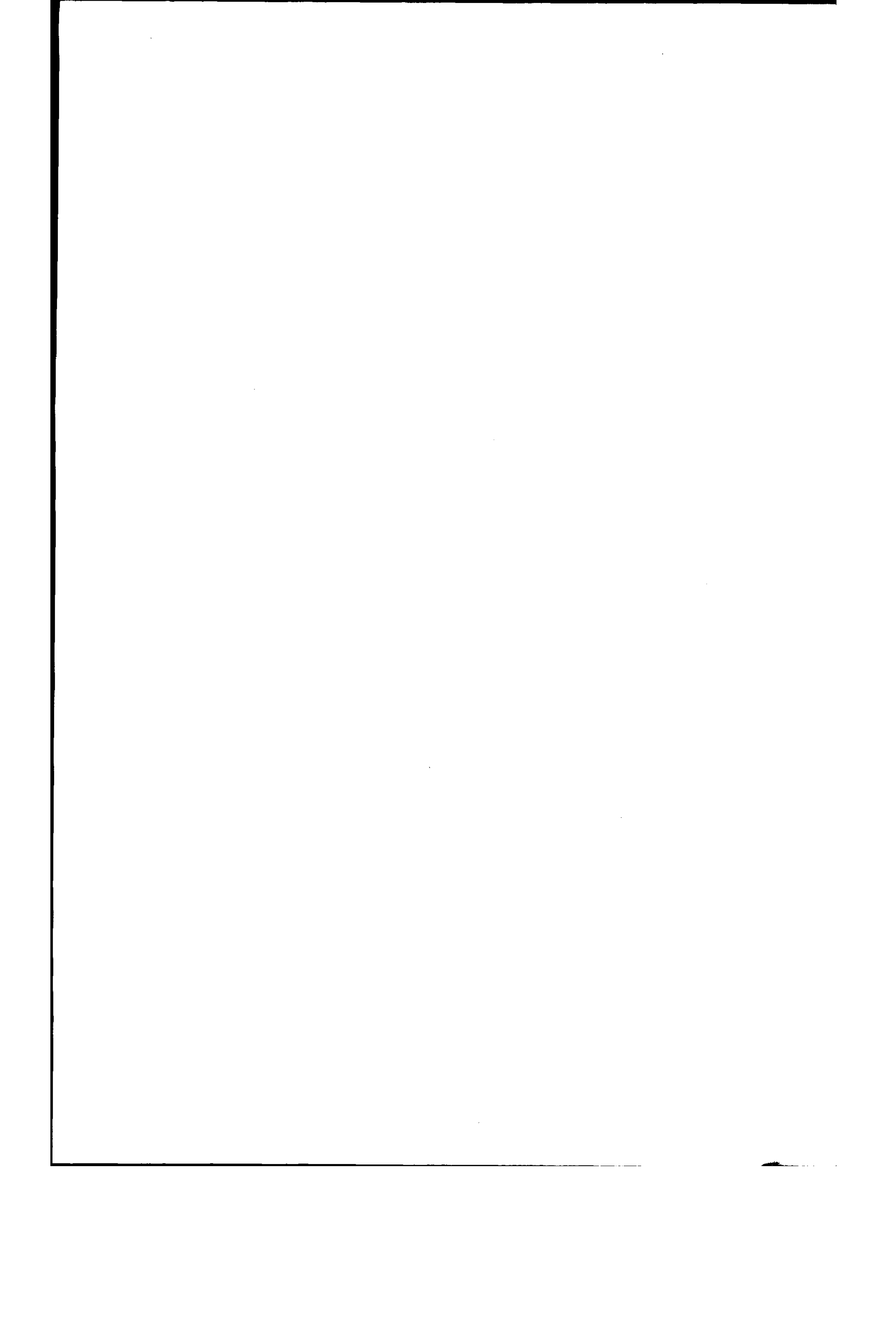
بسم الله الرحمن الرحيم

الفهـــرس

الصفحـــة

الصفحة

الصفحــــة



الفصل الأول

نظريــة علم الاجتمــاع

تمهيــــد :

أولا ـ معنى النظرية وأنواعها .

ثانيا ـ تصنيف التراث النظرى فى علم الاجتماع

ثالثا ـ الاتجاهات الأساسية فى نظرية علم الاجتماع .

رابعا ـ اتجاهات التطور فى نظرية علم الاجتماع .

الفصل الأول

نظرية علم الاجتماع ★

تمهيد :

كان موضوع نظرية علم الاجتماع ولا يزال يحتل مكانة كبيرة بين اهتمامات المشتغلين فى هذا العلم ، وهذا ما يدلل عليه معدل المؤلفات التى صدرت وتصدر عنهم حول هذا الموضوع وذلك بمقارنته بغيره من موضوعات اهتماماتهم الأخرى فى البحث والدراسة والتأليف . ولعل هذه الأهمية ترجع فيما يبدو الى الوظائف التى تؤديها النظرية عموما فى مجال وصف الوقائع وتصنيفها والتنسيق بينها وتحليلها وتفسيرها ، والتنبؤ بحدوثها فى المستقبل ، الأمر الذى جعل هذه الأهمية للنظرية تفوق أهمية المنهج العلمى نفسه .

والحديث عن نظرية علم الاجتماع يتطلب **أولا :** أن نقف على معنى النظرية عموما وأنواعها وذلك قبل أن نحاول **ثانية :** التطرق لمعالجة نظرية علم الاجتماع ذاتها وبيان مكوناتها والاجابة على السؤال هل هناك نظرية واحدة فى علم الاجتماع أم ان التراث النظرى لهذا العلم ينطوى على اتجاهات متباينة ومحاولات نظرية متعددة ؟ واذا كان الأمر كذلك ، هل يفتقر تراث علم الاجتماع الى محاولات تهدف الى تصنيف هذا التراث النظرى وجمع شتاته فى مقولات أكثر عمومية ؟ وهل يمكن أن نلقى الضوء على الاتجاهات الأساسية فى نظرية علم الاجتماع ؟ ثم نحاول **أخيرا** الاجابة على السؤال الى أى حد طرأ على هذه الاتجاهات الأساسية بعض التطورات ؟ وذلك كله من أجل القاء الضوء على وضع نظرية علم الاجتماع حتى وقتنا هذا .

أولا : معنى النظرية وأنواعها :

قد يكون من الصعب علينا أن نحصر الكتابات التى تعرضت لتحديد المقصود بالنظرية غير اننا من ناحية أخرى واذا كان بامكاننا أن نصنف هذه الكتابات العديدة الى فئات ثلاثة مثلا : فئة الكتابات التى أهتمت ببيان طبيعة النظرية وتطورها فى علم الاجتماع . وفئة الكتابات التى

★ تأليف الدكتور على عبد الرازق جلبى .

عالجت موضوع مناهج البحث فى العلوم الاجتماعية ، وأخيرا فئة الكتابات التى تهتم بتحديد المصطلحات والمفاهيم فقط وان كانت كلها تشترك فى الاهتمام بتحديد مفهوم النظرية . فانه يمكن اذا أخذنا مثالا واحدا على كل فئة من هذه الفئات ، أن نلقى الضوء على معنى النظرية كما ساد بين هذه الكتابات .

اذا يحاول تيماشيف فى كتابه المعنون « نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها » ، أن يوضح معنى النظرية * من خلال عرضه المختصر لبناء أى علم أمبيريقى بغض النظر عن موضوع الدراسة الخاص به . والذى يذهب فيه الى أنه اذا كانت الملاحظة هى أساس كل علم أمبيريقى . وأنه يتم التعبير عن نتيجة الملاحظة الفردية فى صورة قضية واحدة مؤداها أن هذه الظاهرة المحددة موضوع الملاحظة قد حدثت فى زمان معين ومكان محدد ، وكانت مثل هذه القضية تعتبر بمثابة مطلبا ضروريا لأى علم ، الا أن هذا النوع من القضايا ليس كافيا فى حد ذاته لبناء نظرية العلم . لأنه ينبغى أن تنظم الملاحظات الفردية وهناك أشكال عديدة ومتنوعة لتنظيم هذه الملاحظات . فقد تقارن الملاحظات الفردية ، من أجل التوصل الى جوانب الشبه والاختلاف فيما بينها . أو قد تصنف هذه الملاحظات بمعنى أن تحدد أنماط تضم كل منها عددا من الملاحظات المتشابهة .. وقد تخضع الملاحظات الفردية للمعالجات الاحصائية ، مثل التوزيع التكرارى والتسلسل الزمنى ومعاملات التوافق والارتباط وغيرها . أو قد ترتب هذه الملاحظات فى سياق نشوئى يوضح النمو التدرجى لعمليات معينة ، مع مقارنة كل هذه السياقات بالآخر من أجل الكشف عن أوجه الشبه والاختلاف بينها .

ويترتب على تنظيم الملاحظات باستخدام واحد من أساليب التنظيم أو أشكاله السابقة ، ما يعرف بالتعميم الذى يوضع فى شكل قوانين طبيعية أو اجتماعية حسب مجال الدراسة ، تمكن من التنبؤ بنتيجة محددة

---

* حرصت الكتابات العربية المحلية التى تعرضت لنظرية علم الاجتماع على تحديد معنى النظرية ، ومن ابرز الأمثلة على ذلك كتاب « الموقف النظرى فى علم الاجتماع المعاصر » دكتور محمد عاطف غيث ، دار الكتب الجامعية ، ١٩٧٣ .

عندما تتوافر شروط معينة • وهناك اجراءات مطولة تساعد على صياغة مثل هذه القوانين • فالتعميم اذن لا يشير الى واقعة فى حد ذاتها ، وانما يقوم بناء على وقائع كثيرة • بحيث تعتبر التعميمات فى النهاية نتائج متعلقة بمجموعة من الظواهر ، وتنتمى المعرفة التى تعبر عنها التعميمات الى مستوى أرقى من ذلك المستوى الذى تنتمى اليه المعرفة التى تعبر عنها قضايا فردية ، غير أن المعرفة المرتبطة بالتعميمات لا تمثل أرقى وأرفع ما يمكن أن يصل اليه العلم الأمبيريقى ، برغم ما تثيره التعميمات من ملاحظات أبعد مدى • لأن هناك ما يعرف بالنظرية التى تمثل أرفع هذه المستويات جميعا •

اذ تنتهى الجهود المتراكمة والمتجمعة لرجال العلم الذين يتخصصون فى فرع واحد من فروع المعرفة الى صياغة مجموعة كبيرة من التعميمات التى تنتمى الى نماذج متعددة ومختلفة ، وعند هذا الحد تظهر الحاجة الى تجميع شتات النتائج المبعثرة وتوحيدها ، ولا تتحقق هذه الحاجة الا ببناء النظرية •

وتمثل النظرية مجموعة من القضايا التى تتوافر فيها الشروط التالية :

أ - ينبغى أن تكون المفهومات التى تعبر عنها القضايا محددة بدقة •

ب - يجب أن تتسق القضايا بعضها مع البعض الآخر •

جـ - لابد أن توضع القضايا فى شكل يجعل من الممكن اشتقاق التعميمات اشتقاقا استنباطيا (١) •

د - ينبغى أن تكون هذه القضايا من النوع الخصيب والمثمر الذى يستكشف الطريق نحو ملاحظات أبعد مدى وتعميمات تطور من مجال المعرفة القائمة •

ولا يمكن أن نستقى النظرية من الملاحظات والتعميمات عن طريق استخدام وسائل الاستقراء المضبوطة والدقيقة فقط • لأن بناء النظرية

---

(1) N. Timasheff, Sociological Theory, Its Nature & Growth, Random House. N.Y. : 1955.

يعتبر عملا خلاقا ، يحتاج الى قفزة فيما وراء الأدلة ، وأحســاس خفى خلاق لصياغتها غير أن النظرية مهما كان مصدرها لابد وأن تخضع للتحقق، وهى تعد صادقة ومحققة مبدئيا فى حالة عدم وجود وقائع معروفة أو تعميم قائم يناقضها ، واذا كان هناك ما يناقضها ، فالأمر يتطلب رفضها أو تعديلها على الأقل • ويعتبر هذا النوع الأخير من الاختبار مجرد تحقيق مبدئى ، لأنه قد توجد هناك أحيانا نظريتان أو أكثر تقومان بتفســـير الوقائع أو التعميمات المعروفة ، الأمر الذى يجعلنا نلجأ فى هذه الحالة الى استخدام اجراء آخر يعرف بالتجربة الحاسمة أو الملاحظة الحاسمة •• بحيث يمكننا هذا الأجراء من تقرير أى النظريات تتطابق مع الواقع وتتفق معه • غير أن التحقق عن طريق الأجراء الأخير ليس نهائيا أيضا ، لأنه قد تكتشف فيما بعد وقائع أخرى ، أو قد تشتق تعميمات جديدة لا تتفق مع النظريات القائمة أو المعترف بها • ومعنى هذا كله أن النظرية فى أى علم أمبيريقى ليست نهائية على الاطلاق (١) •

وعندما أهتمت كلرسيلتز وزملاؤها من ناحية أخرى فى كتابهم عن مناهج البحث فى العلوم الاجتماعية * ، بتحديد معنى النظريـــة أقتبست تعريف براثويت Braithwaite الذى يرى أن النظرية « تشتمل على مجموعة من الفروض التى تكون نسقا استنباطيا ، بمعنى أنها تنتظم فى ترتيب متتابع فيه بعض الفروض اللاحقة تلحق الفروض المتقدمة •أو بعبارة أخرى تعد النظرية بمثابة مجموعة من القضايا التى تنتظم فى نسق استنباطى ، وتتدرج على مستويات تحتل فيه القضايا أو الفروض على المستوى الأعلى مكانة المقدمات المنطقية • وتكون فيه الفروض على المستوى الأدنى بمثابة نتائج لما يتقدمها من فروض • وتكون فروض المســـتوى الاوسط مستنتجة من فروض المستوى الأعلى ، كما تعتبر هى بدورهـــا مقدمات منطقية لفروض المستوى الأدنى » (٢) وتضيف سليتز الى ما

---

(1) Ibid.

(2) C. Selltize. et. al; Research Methods in Social Relations, Holt. Rinehart & Winston. U. S. A. 1961. P. 480.

(*) وحرصت الكتابات المحلية حول مناهج البحث ، بالمثل على تناول معنى النظرية ، ومن أهم الأمثلة على ذلك :
=

سبق أنه اذا كان هذا التحديد للنظرية يمثل الاستخدام العلمى الحديث لمصطلح النظرية ، ويجعل بالامكان التخلص من كل ما علق بمفهوم النظرية من أفكار سابقة مبهمة وغير دقيقة ، وبعيدة عن الصواب ، لأنه كان من الشائع أن النظرية عبارة عن كل ما له صلة وثيقة بالتأمل والنظر ، وان ما هو نظرى هو أمر غير واقعى ، وهو من قبيل التصور ، وأن نظريات العلم فى مراحله المبكرة كانت فى الغالب نتيجة للتأمل والنظر المكتبى ، والتى قد لا تجد تأكيدا لها فى الوقائع الأمبيريقية الا أن النظرية أصبحت مع نمو العلم وتطوره أكثر ارتباطا بالوقائع والملاحظات الامبيريقية ، بحيث أخذ الاتجاه الغالب الآن فى مناهج البحث يعلق أهمية على صفة الامبيريقية ، ويجعل منها خاصية اساسية من الخصائص التى تميز النظرية العلمية ، وذلك بناء على أن النظرية وما تثيره من قضايا وفروض لابد وأن تجد لها تأييدا من جانب الوقائع الامبيريقية • هذا فضلا عن خاصية أخرى ينبغى أن نذكرها للنظرية ، هى أنها ليست صياغة استاتيكية أو نهائية • فاذا كانت النظرية تعتبر فيما مضى تفسيرا نهائيا ، الا انها تعتبر اليوم قابلة للتغير مهما كانت كمية النتائج المتراكمة والمتسقة معها • وبالرغم من انها تعد من أكثر الأمور كفاية واحتمالا فى تفسير هذه النتائج على ضوء المعرفة الحاضرة • بمعنى أن النظرية تمثل حالة مؤقتة قابلة للمراجعة باستمرار (١) •

ويذهب كل من روزنتال ويادين فى القاموس السوفييتى للفلسفة من ناحية ثالثة ، الى أن النظرية تعتبر بمثابة نسق من المعرفة التعميمة وتفسير للجوانب المختلفة للواقع ، وأنها ترتبط بأشياء ومصطلحات أخرى مع أنها تختلف عنها فى بعض الجوانب والوظائف • فهى تختلف عن

= أ ـ كتاب « أصول البحث الاجتماعى » دكتور عبد الباسط محمد حسن ، مطبعة لجنة البيان العربى ، ١٩٦٦ ، ص‌ص ٥٣ ـ ٦٤ •

ب ـ كتاب « البحث الاجتماعى » الجزء الأول دكتور غريب سيد أحمد ودكتور عبد الباسط محمد عبد المعطى • دار الكتب الجامعية، ١٩٧٤، ص ص ٣٦ ـ ٤٠ •

(1) Ibid PP. 480—481.

التطبيق والممارسة لأن جوهرها يهتم باعادة صوغ الواقع صوغا عقليا٠واذا كانت كل نظرية نسقا أو اطارا فكريا فهى نسق معقد ٠ اذا يمكن لنا ان نميز فى النظريات الفيزيائية بين جزئين أو جانبين مكونان لها ، الحسابات الصورية : كالرياضيات والرموز المنطقية والقواعد ٠٠ الخ ، وبين التفسير الاساسى الجوهرى ، كالمقولات والفئات والقوانين وما اليها (١) ٠

واذا جاز لنا أن نعلق على أمثلةمحاولات تحديد معنى النظرية فى الفئات الثلاث السابقة ، فانه ليس بأمكاننا الا أن نشير الى جوانب الاتفاق بين هذه المحاولات الأمر الذى يسهم فى القاء الضوء على معنى النظرية وهو غاية ما نهدف اليه فى هذه المناقشات ٠ اذ من الملاحظ أن هذه الأمثلة تتفق فيما بينها من حيث أنها تقف عند حد وصف مكونات النظرية ، وتحديد شروطها وابراز خصائصها والتعرض لتحديد بعض وظائفها :

١ _ فمن حيث المكونات ، تعتبر النظرية بمثابة نسق استنباطى ينطوى على مجموعة من القضايا أو الفروض التى تحتل بعضها مكانة المقدمات وتحتل اخرى وضع النتائج ، وذلك على حد تعبير براثويت ، أو نسق يشتمل على مفهومات وقضايا وتعميمات وقوانين كما ذهب الى ذلك تيماشيف ، أو اطار مكون من حسابات صورية : رموز وقواعد ، وتفسير جوهرى : مقولات وقوانين فيما يرى روزنتال ويادين ٠

٢ _ ومن حيث الشروط ، يجب أن تكون مفهوماتها محددة بدقة ، وأن تتسق القضايا المكونة لها بعضها مع البعض الآخر ، وأن تصاغ فى شكل يسهل اشتقاق التعميمات بطريقة استنباطية ٠ وأن تخضع للتحقق الامبريقى ، وذلك كما ذهب تيماشيف ، أو يجب أن تصاغ فى نسق استنباطى ، وأن تجد تأييدا لها فى الوقائع الامبريقية ، فيما ترى سيلتز وزملاؤها ، أو يجب أن تصاغ فى نسق معقد من المعرفة التعميمية يفسر جوانب الواقع ٠

٣ _ وفيما يتعلق بالخصائص ، نجد أن النظريةهى البناء الذى يجمع أشتات النتائج المبعثرة ويوحد بينها ، وأنها تضم قضايا

---

(1) M. Rosenthal & P. Yudin, A Dictionary of Phiosophy Progress Pub. Moscow. 1967. P. 440

خصيبة ومثمرة وتستكشف الطريق نحو ملاحظات أبعد مدى وتعميمات تطور من مجال المعرفة القائمة ، وهى تستقى من الملاحظات والتعميمات كما تصدر عن احساس خفى وخلاق يقفز وراء الأدلة والوقائع الملاحظة ، وهى ليست نهائية ، وذلك على حد تعبير تيماشيف . كما أن النظرية تتسم بأنها أكثر ارتباطا بالوقائع الامبيريقية وهى ليست صياغة استاتيكية نهائية فهى قابلة باستمرار للتغير والمراجعة على حد تعبير كلير سيلتز وزملاؤها وهى ترتبط بأشياء ومصطلحات أخرى قد تختلف عنها من بعض الجوانب والوظائف مثل المفاهيم والتطبيق أو الممارسة وذلك فى نظر روزنتال ويادين .

٤ - وبالنظر الى وظائف النظرية ، نجد أن النظرية تسهم فى مجال وصف الظواهر وتصنيفها وتحليلها وتفسيرها والتنبؤ بحدوثها فى المستقبل ، أو تقوم باعادة صوغ الواقع صوغا عقليا ، وذلك فيما يرى روزنتال ويادين وغيرها الأمر الذى سنزيده ايضاحا فى الفصل الخاص بالعلاقة بين النظرية والبحث فى علم الاجتماع .

وعلى الرغم من أن تحديد معنى النظرية على النحو السابق قد يثير مجموعة من التساؤلات تدور حول معنى المفهوم العلمى والقضية والغرض والتعميم والقانون العلمى وغيرها من مكونات النظرية ، وكذلك حول النسق الاستنباطى ووظائف النظرية وغيرها (١) ، الا أن الموضوع الجدير بالاعتبار هنا هو الذى يتعلق بأنواع النظرية ، طالما كان الوقوف على أى نظرية علمية وتحديد مكانتها فى تراث العلم ، يقتضى التعرف على معناها وجوهرها والتعرف على اتجاهها وتحديد نوعها .
من حيث كونها نظرية تحليلية أم تفسيرية أم علمية أم معيارية (٢) .

---

(١) راجع :
(البحث الاجتماعى) الجزء الأول ، مرجع سابق ، ص ص ١٩ - ٥٢ لمزيد من المناقشات حول هذه الموضوعات .

(2) H. Fallding. The Sociological Task. Prentice Hall. Iac, N.J. : 1958, P. 24.

أ ـ النظرية التحليلية : Analytic Theory

وذلك مثل تلك النظريات الخاصة بالمنطق والرياضيات والتى لا تقرر شيئا عن العالم الواقعى ، ولكنها تتكون من مجموعة من القضايا التقريرية والأكسيوماتيكية (البديهية) التى تحدد صلاحيتها على ضوء التعريف ، والتى يشتق منها قضايا تقريرية أو أحكام أخرى ·

ب ـ النظرية المعيارية Normative Theory

تلك التى تبلور مجموعة من الحالات المثالية التى يتطلع اليها الانسان · وهذا النوع من النظريات يشير الى تلك النظريات الخاصة بالأخلاق وعلم الجمال ، والتى غالبا ما تدمج أو تقترن بالنظريات ذات الطبيعة غير المعيارية لتكون ما يعرف باسم الايديولوجيا باسم الايديولوجية أو المبادىء الفنية أو ما اليها·

جـ ـ النظرية الميتافيزيقية أو التصورية أو البرنامجية
Programmatic Theory

وهى تمثل ذلك النوع من النظريات الذى لا يقبل الاختبار بطريقة دقيقة ، على الرغم من أنها قد تخضع للتقدير المعقول · وهذه تكون بمثابة مسلمات مفيدة لها دور اساسى فى مجال الاقتراحات والبرامج ، أو قد تمدنا بطرق البرهنة التفسيرية التى تستخدم فى أختبار أكثر النظريات دقة · أو قد تجعل الملاحظ حساسا لنوع من العوامل المفيدة فى تفسير ظواهر معينة ، ومن أمثلة هذا النوع من النظريات نظرية داروين الشهيرة عن الانتخاب الطبيعى وما اليها ·

د ـ النظرية العلمية Scientific Theory

وتحدد النظرية العلمية بأنها قضية تقريرية امبيريقية شاملة ، تؤكد الارتباط العلى بين اثنين أو أكثر من نماذج الأحداث أو الوقائع · واذا كانت هذه النظرية فى صورتها المبسطة تأخذ الشكل التالى :

حيثما يحدث المتغير (و) يحدث أيضا المتغير (ى) · فان هذه النظرية تكتسب طابع الشمول عندما تحدد بعض الظروف أو الشروط التى يحدث فى ظلها بعض الأحداث أو أنواعا معينة منها دائما · وهذا على الرغم مما يقال عن النظريات العلمية اليوم ، من انها ليست نظريات

شاملة ، بقدر ماهى نظريات احصائية Statistical بمعنى أنها تحـــدد فقط الشروط التى يحتمل أن تحدث فى ظلها بعض نماذج الأحداث . وتمثل القضية التقريرية التالية أحد الحالات على هذا النوع الأخير من النظريات العلمية :

فى ٧٠٪ من المرات التى يحدث فيها المتغير (و) يحدث دائمـــا المتغير (ى) . وهكذا تكتسب النظرية العلمية التى تأخذ هذا الشكل الاحصائى ، طابع الشمول أيضا . ويجب أن تكون النظرية العلمية كذلك نظرية امبيريقية . ولكن ليس معنى هذا أنها تكون مجرد نتاج للملاحظات الامبيريقية . وانما معناه أن النظرية تنطوى على امكانية تطبيقها على مستوى شامل ، وعلى امكان مراجعتها على ضوء الملاحظة ، بحيث يؤدى عدم اتفاقها مع الملاحظات أما الى تعديلها أو الى رفضها . كما ينبغى أن تكون النظرية العلمية أيضا نظرية عليه Causal بمعنى أنها يجب ان تصرح بأن هناك بعض الظروف الكافية لحدوث أنواع معينة من الأحداث أو ان هناك بعض الظروف ضرورية لحدوث هذا النوع من الأحداث(١) .

ثانيا : تصنيف التراث النظرى فى علم الاجتماع

تميز علم اجتماع فى نموه وتطوره بظهور مجموعة كبيرة وغيرعادية من النظريات المتصارعة ، الأمر الذى جعله يفتقر الى اطار من القضايـا المتسقة أو المتجانسة أو الاصطلاحات الصادقة التى يتفق عليها علماء الاجتماع والتى تسمح بعرض الوقائع المعروفة والتعميمات بوصفهـــا اشتقاقات منطقية لمبادىء محدودة (٢) هذا ما انتهى اليه تيمـــاشيف ومااوافقه عليه البعض حيث أن الكتابات التى تركها علماء الاجتمـــاع لاتكون بناء واحدا متماسكا بقدر ما تمثل مجموعة متباينة وعديدة من التوجيهات النظرية الأساسية ، مما يصدق معه قول البعض أنه لا يوجد فى علم الاجتماع نظرية موحدة يمكن أن تؤدى الأغراض المطلوبة بفعالية كأداة للتنسيق والتكامل بين معظم المعارف التعميمية المتوافرة فى علم الاجتماع .

---

(1) P. Cohen. Modern Social Theory, Heimman, London. 1968. PP. 3—6.

(2) N. Timasheff, Op. Cit.

ولقد ترتب على هذه الظروف أن ظهرت مشكلة تصنيف هذا التراث النظرى فى علم الاجتماع. وعندما أخذ علماء الاجتماع الذين اهتموا بالتأريخ والتأصيل المنظم لنظرية علم الاجتماع يواجهون هذه المشكلة كل بطريقته الخاصة . اختفى الاجماع بينهم على المعيـــار الذى يجب أن يقيموا بناء عليه تصنيفاتهم للتراث النظرى فى علم الاجتماع . فلقد حاول البعض تصنيف النظريات الى مدارس محدودة تقوم على نماذج الحلول النظرية للمشكلات الاساسية ، وسار فى هذاالاتجاه على سبيل المثال لا الحصر بيتريم سور وكين فى كتابه المعروف باسم « النظريـــة السسيولوجية المعاصرة » (١٩٢٨) . وحاول بعض ثان عرض النظريات ومعالجتها حسب السياق التاريخى لظهورها ، وكان هذا هو الاجراءالذى استخدمه لجتنبرجر Lichtenberger فى مؤلفه « تطور النظريـــــة الاجتماعية » (١٩٢٣) ، كذلك ما استعان به هاوس House مؤلفه « تطور علم الاجتماع » (١٩٣٦) . وحاول بعض ثالث عرض النظريات وفقـــا للمناطق الجغرافية التى ينتمى اليها مؤلفوها . وقد اســـتخدم هـــذه الطريقة كلا من جورفتش Gurvitch ولبرت مور Moore فى كتابهما المعنون « علم اجتماع القرن العشرين » (١٩٤٥) ، وكذلك هذا ما استند اليه بارنز Barnes فى اعداد الكتاب الذى قام بتحريره « مقدمة فى تاريخ علم الاجتماع » . أما الفريق الرابع فقد حـــاول الجمع بين طريقتين أو أكثر من الطرق السابقة فى عرض وتناول نظرية علــــم الاجتماع ، اذ حاول تيماشيف أن يجمع بين طريقة تصنيف النظريات الى مدارس ، وبين طريقة معالجة هذه النظريات فى الســـياق التاريخى لظهورها ، فقام بتقسيم عرضه لنظرية علم الاجتماع وتتبع نموها الى أربع فترات . تمتد المرحلة الأولى من ميلاد علم الاجتماع حتى حوالى عام ١٨٧٥ وهى مرحلة الرواد الأوائل والجهود المتفرقة . وتقع المرحلـــة الثانية تقريبا فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر وهى مرحلةالمعركة بين المدارس التى نشبت فى نفس الوقت الذى ساد فيه المذهب التطورى. وقد دارت هذه المعركة لتقرير أى العوامل يحكم التطور الاجتماعى ، (الاقتصادية ، أو الجغرافية ، أو العنصرية أو غير ذلـــك) . وتغطى

المرحلة الثالثة الربع الاول من القرن العشرين ، وهى مرحلة تردد بين أنصار المذهب التطورى المتداعى ، والشعور المتزايد بالحاجة الى التركيز على الدراسات الامبيريقية • وقد تزايد التأكيد - خلال هذه الفترة - على الأسس السيكولوجية لعلم الاجتماع • أما المرحلة الرابعة والحالية ، فهى مرحلة « معركة الأطر المرجعية » أو معركة الرغبة فى الالتقاء • وتتميز هذه المرحلة بالوعى المتزايد بوجود اطار ضخم من القضايا التى تنهض على أساس امبيريقى ، كما تتميز بالتنافس بين وجهات النظر التى تدعى كل منها انها أكثر دقة من غيرها فى تفسير الواقع الاجتماعى فى عموميته (١) • وهناك محاولات عديدة أخرى يذخر بها تراث علم الاجتماع وتهدف الى وضع تصنيف لتراث هذا العلم ما يضيق المقام هنا لتناول تفاصيلها •

ولا يمكن أن ندعى بأن أحد هذه التصنيفات المقترحة لنظرية علم الاجتماع ، كان أكثر تنسيقا ومنطقية من بقية التصنيفات الأخرى • وبغض النظر عن تفاصيل العوامل التى أدت الى عدم الاتفاق بين الباحثين فى هذا المجال ، وما يتجاوز نطاق اهتمامنا الحالى ، فانه بالامكان أن نأخذ أحد الأمثلة الحديثة على محاولة تصنيف نظرية علم الاجتماع يستند فى تمييزه بين هذه النظريات الى تصورات مؤلفيها للطابع العام والاغراض الاساسية لعلم الاجتماع كميدان للبحث الفكرى المنظم •

وعلى أساس هذه القاعدة يحدد التصنيف المقترح للنظريات السسيولوجية الفئات أو المقولات الرئيسية التالية :

١ - النظرية السوسيولوجية الوضعية ،التى يعتبر مؤلفيها أو يعالجون بالفعل ، علم الاجتماع على أنه علم طبيعى •

٢ - علوم الاجتماع التفسيرية ، التى يعتبر مؤلفيها أو يعالجون بالفعل ، علم الاجتماع باعتباره علما اجتماعيا يناقض العلوم الطبيعية •

٣ - النظريات الاجتماعية التقويمية أو غير العلمية ، التى لا يعتبر مؤلفيها علم الاجتماع ولا يعالجونه على أنه علم وضعى وتفسيرى •

---

(1) N. Timasheff, Op. Cit.

١ ـ النظريات السوسيولوجية الوضعية :

تستند أو تنهض النظريات السوسيولوجية الوضعية على مسلمة مؤداها أن علم الاجتماع ينبغى أن يدرس كعلم طبيعى وأن يطبق مؤلفوا هذه النظريات الاجراءات أو الاساليب الموضوعية ، بغض النظر عما اذا كانوا يستفيدون من النماذج الميكانيكية أو البيولوجية أو النظريـــة الميدانيـــة ، أو النزعـــة السلوكية البديلـــة ، أو يعتبرون علـــم الاجتماع علما وضعيا اجتماعيا سلوكيا • ويمكن أن نميز فى هذا الصدد بين خمسة فئات أو مقولات فرعية من هذا النوع :

أ ـ الوضعية الجديدة: كما نشأت وانتشرت فى الثلاثينات ، والتى تدعى أو تزعم أنها تعمل على أساس النموذج الفيزيقى • وهى توحـــد لدرجة كبيرة بين الأساليب العلمية والتكميم والقياس ، وتدرك علـــم الاجتماع على أنه علم تطبيقى للهندسة الاجتماعية ، ويعمل الكثير من أنصار البحث الكمى التطبيقى بدون اللجوء الى نظرية عامة ، ويتابعون الهدف من استخدام الرياضة النظرية فى المعرفة السوسيولوجية بطريقة مستقلة • وتنهض الأشكال المتقدمة من أنظرية الوضعية الجديدة على انساق من القضايا العلية المتشابكة فى علاقاتها (بدلا من الوظيفية) التى يتوقع أن تتلائم مع عملية اعادة الصياغة الرياضية النهائيةللنظرية•

ب ـ الايكولوجيا الانسانية المحدثة Modern Human Ecology

وهى الشكل الثانى من أشكال النظرية الوضعية العامة • تلك التى تنهض على ما يطلق عليه بالاتجاه البيولوجى الاجتماعى لدى علماء الايكولوجيا الدارسين لعلوم النبـــات والحيوان واســـتطاع هـــاولى Amos Hawley فى عام ١٩٥٠ أن يعدل هذا الاتجاه عن طريق توسيع نطاقه وتنسيقه ، من نطاق التخصص داخل ميادين علم الاجتماع الحضرى والاقليمى الى نظرية منسقة تتجاوز الحدود التقليدية الخاصة به • وهو يهدف الآن بطريقة ظاهرة ، الى المعالجة العامة للتنظيم الاجتماعى ، ذلك المصطلح الذى استعير بمعناه الواسع عن نظرية الأبنية الاجتماعية •

جـ ـ النزعة الوظيفية البنائية : والتى تكون الشـــكل المختلف الثالث للنظريات الوضعية وهى تتكون من عدد من النماذج الفرعية من

الاتجاهات السوسيولوجية والانثروبولوجية الشهيرة • هذه النظريات بنيت أساسا لتساير النموذج المورفولوجي والفزيولوجي للكائن العضوى• وبالرغم من أنها تختلف بدرجة كبيرة كل منها عن الأخرى ، الا أنها تقع في نمط من المجالات النامية والمعقدة بالنظام التالى : النزعة الوظيفية التى تدرس الوحدات الصغرى micro - functionalism لنظرية الجماعة الصغيرة ، النظرية الكلية holistic للمجتمع الثقافى ، نظرية الأنساق الاجتماعية الريفية ، نظرية التنظيم ، النزعة الوظيفية الحضرية •• الخ • والمدخل أو الاتجاه الوظيفى على النطاق الأكبر ، طبق على بناء نظريات للمجتمع ككل أو فى جملته • ومن بين أكثر هذه النظريات شمولا تلك النظريات التى تعالج النسق الاجتماعى ، وخاصة تلك النظريات الشاملة التى تعتبر النسق الاجتماعى ، بمثابة واحد من الانساق بين مجموعة أكبر من أبنية النسق التحليلى العام •

د - النزعة السلوكية الاجتماعية : Social Behaviorism

والنموذج الرابع للنظرية الوضعية يضم النظريات غير الذاتية وغير الارادية للفعل والتفاعل ، أو السلوك الاجتماعى فى عمومه ، وقد تنهض هذه النزعة بناء على تصورات نظرية ميدانية أو ميكانيكية وتعمل على ضوء علم نفس المنبه والاستجابة المجدد ، أو تفترض جدلا النزعة الحتمية السلوكية للمعايير الثقافية •

ويبدو أن هذه النزعة التى تميز هذه النظريات عادة ماتحدث مقترنة بالأشكال المختلفة للنزعة الوصفية السوسيولوجية •

هـ - النظرية السيكولوجية البيولوجية للثقافة :
Bio-Usychological Theory of Culure

التى أدخلت على أنها نموذج نهائى للنظرية الوضعية • والتى تضرب بجذورها فى المفاهيم الدينامية السيكولوجية - لعلم نفس الغرائز الحديث • وفى علم الاجتماع ، تلعب النظريات من هذا النموذج دورا ضئيلا بالرغم من أنه دور لا يمكن تجاهله • وفى الأنثروبولوجيا ، يبدو أن هذه النظرية أكثر تواترا • وهى تمثل فى معظمها ، تطبيقات أو تكيفات لنظرية التحليل النفسى الفرويدى على نظرية الشخصية -

الثقافة والموضوعات المرتبطة بها ، ولكن هناك صور معدلة لها اتفاقـــا تهدف الى بناء نظرية عن الثقافة برمتها ٠

٢ - علم الاجتماع التفسيرى Interpretative Sociology

والفئة الرئيسية الثانية فى النسق التصنيفى هى تلك المتعلقة بعلم الاجتماع التفسيرى ٠ وهى تشمل النظريات التى لا يعتبر مؤلفيها علم الاجتماع علما طبيعيا ، برغم أصرارهم على التزامهم بالقواعد المنهجيـــة العامة للعلم ٠ وهم يدعون ، مع التزامهم بتصور ماكس فيبر لعلم اجتماع متحرر من القيمة (Value-Free) أن علم الاجتماع هو ذلك الميدان للبحث الاجتماعى الذى يتميز بانه فريد من الناحية المنهجية ٠ وهم يبرزون هذا الموقف فى ضوء خصوصية ، وتفرد موضوع الدراسة الانسانى لهذا العلم ٠ وتوجه هذه النظريات نتيجة لذلك الانتباه نحو الجوانب الذاتية والارادية للسلوك الاجتماعى ٠ وتنهض مناهجها على الجمع بين وجهة النظر الخارجية outside للملاحظ الأنثروبولوجى أو السوسيولوجى ووجهة النظر الداخلية للمشاركين فى الأحداث الملحوظة والعمليات ، وقد يكون فى الامكان التمييز بين أربعة أشكال مختلفة أساسية فى علـــم الاجتماع التفسيرى ،اثنين منها بينهما علاقة ارتباط وثيقة ٠

أ - والنموذج الأول لعلم الاجتماع التفسيرى قد نطلق عليه اسم نظرية الفهم الثقافى ٠ وتعالج النظريات من هــــذا النوع روح المجتمع الثقافى أو النغمة الشعورية٠ "ethos" or "Feeling tone" وتصدر هذه النظريات عن محاولات التمثيل والتعريف على روح التجمعات الاجتماعية٠ وترجمتها الى لغة العلم السسيولوجى بمثل ما تترجم الى لغة ثقافتنا ٠ وجعل علماء الأنثروبولوجيا هذا الاتجاه مألوفا لعلماء الاجتماع الأمريكان، ولكن بعض علماء الاجتماع أفادوا منه فى معالجاتهم لموضـــــوع روح المجتمعات المعاصرة ، أو الأقسام الكبيرة من هذه المجتمعات ٠

ب - والنموذج الثانى للنظرية السسيولوجية التفسيرية ســوف نطلق عليه النظرية **التفسيرية للفعل والتفاعل** ٠ والتى يمكن تتبعها فى كتابات أو نظرية ماكس فيبر عن الفعل والفهم الذاتى وبدأت على أساس علم الاجتماع الذى يدرس الوحدات الصغرى ، بتناول فعل مجموعات

الأشخاص الذين يربطون أنفسهم معتمدين بالآخرين ويدخلون فى علاقات متبادلة لهـــا مغزى ذاتى ويصـــل عالم الاجتماع من جانبه الى تفسير صحيح عن مجرى مثل هذا التفاعل عندما يحاول التحقق من معنـــــاه بالنسبة للمشاركين فيه ، ولذلك فهو يفهم هذا التفاعل من جوانبـــه الذاتية • وعالم الاجتماع التفسيرى لكى يحصل أو يصل الى أســـاس سوسيولوجى عملى ، على أية حال ، يبدأ من دراسات الحالة الفردية نحو بناء نظرية عن الفعل الذاتى والتفاعل التى تنهض على توقعات نموذجية• ويضع المناصر لهذا الاتجاه ، كقاعدة ، نظريته عن الفعل السوسيولوجى الذى يدرس الوحدات الصغرى فى اطار الأبنية النظرية الأكبر والتاريخية ان أمكن • وقد يكون هذا الاطار السوسيولوجى الذى يدرس الوحدات السسيولوجية الكبرى وان لم يكن دائما ، متسقا مع نقطـــة الانطلاق لنظرية الفعل الذاتى •

جـ ـ والشكل الثالث المختلف لعلم الاجتماع التفسيرى هو نظرية **التفاعل الرمزى** • وتظل النظريات من هذه الفئة الفرعية على مستوى تحليل الوحدات السوسيولوجية الصغرى ، وهى تكون أحد نماذج علم النفس الاجتماعى الحديث • وهى تهتم ، معتمدة فى ذلك بشـــدة على النزعة السلوكية الفلسفية لجورج ميد G.H. Mead ، بعمليـــات التفاعل الرمزى (اللفظى) على المســـتوى الذاتى الداخلى ، وتتمثل الموضوعات الرئيسية فى ضوء أصل واجراء الادراك الاجتمـــاعى فى العمليات التفاعلية •

ويوجه بعض علماء النزعة التفاعلية الرمزية أيضا الانتباه نحـــو العمليات الادراكية التى من خلالها يدرك الفرد ويتصور العالم الاجتماعى المحيط به ، وهذا العكس أو القلب أو التغيير لأسلوب عالم التفاعـــل الرمزى يكون شكلا مغايرا رابعا لعلم الاجتماع التفسيرى •

د ـ وســـوف نطلق عليه اســـم علم الظواهـر الاجتمـــاعى Social Phenomenology ويهتم هذا الاتجاه بالأشكال الفعليـــة التى تبدو شاملة وبعمليات الخبرة الواعية والادراك وقبول هذه الجوانب من العالم الاجتماعى للانسان التى لا تكون فقط معرفته عن العلاقـــات

الشخصية المتبادلة ، وانما تكون أيضا معنى خبرته الاجتماعية . وتعد الخبرة الذاتية الداخلية هى محور علم الظواهر الاجتماعى ، فالنـــاس لايتفاعلون فقط الواحد منهم مع الآخر ، وانما كل منهم يفهم الآخر أيضا .

٣ - النظريات الاجتماعية التقويمية : Evaluative Social Theories

والفئة الرئيسية الثالثة للنظرية السسيولوجية العامة تشـمل النظريات الاجتماعية التقويمية أو غير العلمية . ولقد صاغ هذه النظريات الكتاب الذين لا يعتبرون علم الاجتماع علما ولا يعتبرونه يخضع للقواعد العلمية فى الاجراء والتطبيق . ولقد رفضوا ، كقاعدة ، ليس فقط مبدأ الموضوعية الوضعية ، وهو الحد الأقصى الأساسى لاتجاه العلم الطبيعى ، وانما عارضوا أيضا مبدأ التحرر من القيمة . المبدأ الأساسى للاتجـاه العلمى الاجتماعى لعلم الاجتماع التفسيرى ولقد بدأوا بدلا من ذلـك استنادا الى مقدماتهم الفلسفية المفترضة ، ومعتقداتهم الايديولوجية ومن اتساق قيمهم . وهكذا ، أصبحت الفروض الفلسفية المتسقة والتوجيهات الايديولوجية المتماسكه ومجموعة المثل الاجتماعية أو انساق المبـادىء الأخلاقية أصبحت هى الأساس لمثل هذه النظريات . وفى كل حالة . كانت المقدمات المنطقية القيمية تأخذ مكانها مباشرة فى بناء النســق النظرى ، ولقد اعترض الكثير من علماء الاجتماع على هذا الاجراء ومال بعضهم الى التخلص من النظريات التقويمية من علمهم ، ولكنهم لم يحرزوا أى نجاح .

وفى الحقيقة ، فاننا نعترف بوجود نماذج ثلاثة من هذه النظريات المناهضة للوضعية ، وغير العلمية ، والتى تخصص للقيمة جانبا فيها .

وتكون النظرية الفلسفية الاجتماعية Social Philosophical النوع الأول من هذه الفئة . ويقع فى هذه المجموعة الفلسفات الشاملة للمجتمع أو للتاريخ ، طالما أنها كتبت بميل أو نزعة سوسيولوجية ، ثم يأتى بعد ذلك النظريات الفلسفية التى أبحرت تحت راية علم اجتماع المعرفة . وهو أحد الاسهامات الأكثر حداثة فى علم الاجتماع الفلسفى والذى يعمل بالتصورات الهيجلية ، بالرغم من أنه يرفض المضامين التاريخية للنزعة الهيجلية . والنموذج الثانى قد نطلق عليه النظرية الاجتماعيـة

الايديولوجية • وكان مؤلفوا مثل هذه النظريات ملتزمين بايديولوجية نقدية اجتماعية على درجة كبيرة أو صغيرة من البلورة ، وأحيانا بالنظرة اليافعة للاتجاه الماركسى • وقد يربطون بين علم الاجتماع عندهم وبين الدعوة الى فعل منظم نحو تغير متطرف بدرجة كبيرة أو صغيرة لمجتمعهم •

والفئة الفرعية الثالثة للنظرية الاجتماعية التقويمية تصــدر عن معتقدات اخلاقية اجتماعية ومجالية أكثر مما تصدر عن توجيهـــات ايديولوجية فلسفية • هذه النظرية الاصلاحية الانسانية humanitarian متضمنة فى النزعة النقدية الاجتماعية ولكنها تركز على المشاكـــل الاجتماعية المتميزة أو المنفصلة discrete أكثر مما تركز على النظـــام الاجتماعى ككل • ويطالب مؤلفوا هذا الاتجاه بنوع من التحسين للظروف الاجتماعية المنتقاة وبنوع من الاصلاحات التدريجية • ولقد أتى التراث الحديث لهذا النموذج من كلا من المعســـكرين الســـــيولوجى والأنثروبولوجى •

٤ – نظريات التغير الاجتماعى Theories of Social Change

ليس هناك سبب منهجى لفصل نظريــة التغير الاجتمـــاعى عن مجموع النظريـــات السسيولوجية ولكن أى من النظريات المعروفـــة بنظريـــات التغير يمكن أن نضعهـــا أو نجمعها تحت فئات واحـــدة تتجمع أو تدمج معا فى الاطار التصنيفى المقترح • ولكن علم الاجتماع الامريكى الحديث يتميز بالفصل الكامل فى معظمه للاعتبارات التاريخية عن البناء الأساسى للنظرية والبحث • ومن أجل هذا السبب الخارجى الخالص ، قسم الاطار التصنيفى الى قسمين اثنين متوازيين خصص الأول للنظريات التحليلية عموما ، ونعنى النظريات التى لا تلعب فيها مشاكل التغير الاجتماعى دورا واضحا أو ظاهرا • ويشتمل القسم الثانى على نظريات التغير الاجتماعى ، ونعنى بها تلك النظريات الموجهة أساسا نحو مشاكل التغير الاجتماعى الاساسية ، والتطورات الثقافية الواسعة ، أو العمليات التاريخية •

والنظريات الوضعية للتغير الاجتماعى تشـــمل علم الاجتمـــاع التاريخى القديم ونظرية التخلف الثقافى ، والنظرية الدائرية العضوية ،

والتوجيهات التطورية الجديدة ، أو تستند الى النظريات التاريخيـــة التنميطية • وقد تبرز النظريات التقويمية عن تقاليد فلسفة التــاريخ القديمة ، وتتبع الاتجاهات الماركسية المحدثة ، أو تكمن فى نظريـــات معينة للاصلاح الاجتماعى •

وهذا الاطار لتصنيف النظريات السسيولوجية العامة يحيط بكل النظرية العامة المعاصرة ، وهو يدخل بعض النظم الخارجية فى الميدان• تلك التى تبدو أنها غير مرتبطة بأكثر من مجال فى البحثالسسيولوجى • ويساعد على تنظيم التراث النظرى فى علم الاجتماع •

ولاشك أن هناك اتفاق فى مجالات معينة بين بعض النظريات ، وهذا الاتفاق يمكن تدعيمه عن طريق تقنين المصطلحات • كما قد نجد هناك تداخل جزئى حتى بين النظريات التى تم تصنيفها تحت فئات متباينه • ولكن حتى المسح المنسق والرفيع للنظريات الحديثة الذى قدمه شارلس وزونالوميس Loomis ،يبرهن على أن الاتفاق بين النظريـــات التى أعتبرنا أنها مرتبطة بعضها بالآخر ، محفوف بالمخاطرة ، وحتى اذا وجه أحدنا الانتباه نحو المجال الكلى للنظريات السسيولوجية الحاضرة ، فانه يصعب عليه أن يفلت من الانطباع بأن هناك حاله من التفكك وعدم الاتفاق والتناقض تسود بين الاتجاهات المتكاملة • ولا يمكن لنا أن نقنع أنفسنا بوجود أى أتجاه محدد نحو الوحدة القصوى بين النظريات غير المرتبطة بعضها بالبعض الآخر ، أو تجاه التخلص تدريجيا من كل ، وليس بعض النماذج النظرية الحاضرة التى لا يصعب التوفيق بينها •

والخلاصة أن التراث النظرى فى علم الاجتمـــاع الحديث يمثل مجموعة متباينة من النظريات التى يحتمل أن يستمر وضعها على هذا الحال فى المستقبل • ولكن لا يجب أن يستدل من هذا الوضع على فشل علم الاجتماع كنظام علمى ومجال للدراسة • وانما يعد هذا الوضــــع انعكاسا لظاهرة مميزة ونتيجة طبيعية وجوهرية لما يعج به المجتمع من أجزاء فكرية وآراء وأنساق قيمية مفككة •

ثالثا : الاتجاهات الاساسية فى نظرية علم الاجتماع :

ولكن يلاحظ كل من يتابع حركة علم الاجتماع اليوم تعدد وتباين

وتزايد الكتابات حول نظرية هذا العلم ولعلها كتابات تصدر عن تقدير لأهمية النظرية بالنسبة لنمو العلم وتقدمه ، وان كانت تحاول فى أغلبها تحليل الارتباط بين النظرية والاتجاهات والمذاهب الفكرية والأيديولوجية والأخلاقية وذلك من أجل الوصول بنظرية العلم الى وضع يمكنه من تحقيق أهداف الفهم والضبط والتحكم والتفسير والتنبؤ بالظواهر التى يهتم بدراستها . ونذكر من بين هذه الكتابات على سبيل المثال لا الحصر تلك المعالجة التى قدمها روبرت نيسبت لنظرية علم الاجتماع فى علاقتها بالتراث الأخلاقى وتركيزه على أربعة مفاهيم هى المجتمع المحلى والسلطة والمكانة والمقدس والاغتراب باعتبارها مفاهيم محورية عند توكفيل وماركس ودوركايم وفيبر ، والتى أنتقلت هى نفسها فيما بعد الى علم الاجتماع الحديث (١) وأيضا معالجة أوفينج زايتلين المستفيضة للنظرية الاجتماعية فى علاقتها الايديولوجية وبخاصة تحليله للاسس الفلسفية لأفكار عصر التنوير والاتجاهات المحافظة والراديكالية منذ ظهور أفكار بونالد وميستر وسان سيمون وأوجست كومت وماكس وفيبر وباريتو وموسكا وروبرت ميشيلز أميل دوركايم وكارل مانهايم (٢) . هذا فضلا عن محاولة الفين جولدنر تحليل العلاقة بين الأيديولوجية ونظرية علم الاجتماع الغربى (٣) . ولقد أسهمت مثل هذه الكتابات فى توجيه الأنظار نحو الأيديولوجية كمعيار لتصنيف التراث النظرى فى علم الاجتماع الأمر الذى ساعد فى التغلب على ما كان يواجه عملية تصنيف هذا التراث النظرى بناء على معايير أخرى مثل المؤلف الفرد ، أو تقسيم المؤلفين الى مدارس أو غيرها من صعوبات (٤) ، وعمل من ناحية أخرى

---

(1) Robert Nisbet, The Sociological Tradition, Basic Books 1966.

(2) I. M. Zeitlin, Ideology & the Development of Sociology Prentice - Hall India. New Delhi. 1966.

(3) A. Gouldner, The Coming Crisis of Western Sociology. Heinemann New Delhi; 1971.

(4) P. S. Cohen, Modern Social Theory, Heinemann. London, 1968. P. Vii.

على بلورة فكرة تقسيم التراث النظرى فى علم الاجتماع الى اتجاهين نظريين أساسيين هما المادية التاريخية والبنائية الوظيفية غير أنه من الملاحظ على هذه الكتابات أنها قد انصرفت فى أغلبها نحو الماضى وتتبع التراث النظرى فى علم الاجتماع منذ البداية والتقاط افكار أقطاب هذا العلم ومحاولة عرضها وتفسيرها على ضوء المناخ الفكرى والأيديولوجى والأخلاقى الذى ظهرت فى ظله ·

ونحاول فيما يلى القاء الضوء على نظرية علم الاجتماع وتتبع أصولها حتى يتسنى لنا الوقوف على الطريق الذى سارت فيه وتبلورت بفضله الاتجاهات الأساسية فى هذه النظرية ·

اذ يفضل البعض اتخاذ فكر عصر التنوير نقطة انطلاق مناسبة لدراسة أصول النظرية السسيولوجية وجذورها ، على اعتبار أن لهذا الفكر جانبين الأول : سلبى نقدى والثانى : ايجابى ووصفى · غير أن وحدة الفكر هذه قد أنقسمت بين السلبية والايجابية فى النهاية وبعد الثورة الفرنسية ،ـ وأفصحت عن نفسها فى مبادىء منفصله أو فلسفات متصارعه (١) ولعل المعانى التى تتضمنها هذه القضايا تتضح اذا تتبعنا فكر سان سيمون أحد مؤسسى علم الاجتماع باعتباره قد عاصر فى البداية الثورة الفرنسية ، وتأثر بتعاليمها فجاءت كتاباته الأولى انعكاسا للكثير من مبادىء تلك الثورة ·· ولما كان سيمون قد عاصر أيضا تلك الشرور والآثام الكثيرة التى نجمت عن الثورة ـ حيث ترتب على التطرف الذى صاحبها وقوع الكثير من الجرائم والمظالم ـ كما عاصر الحركات الرجعية التى ظهرت كرد فعل على ذلك التطرف نجده قد تأثر بهذه الحركة المحافظة فى صياغة كتاباته المتأخرة · ويدل هذا الوضع على أن فكر سان سيمون (فى كتاباته الأولى والمتأخرة) يجمع بين ثناياه الجانبين النقدى والمحافظ اللذين يشيران الى الوحدة التى كانت تميز فكر عصر التنوير · ولما كانت كتابات سان سيمون تمثل بدورها أحد المصادر المشتركة التى استقى منها كارل ماركس وأوجست كومت فيما بعد كثيرا من مبادئهما وأفكارهما ، فان افكار ماركس وكومت تجسد حقيقة

(1) I. M. Zeitlin. Op. Cit. PP. VII-5.

هذا الانقسام فى وحدة فكر عصر التنوير الى مبادىء وفلسفات منفصلة ومتصارعة وهذا ما كان يعنيه زايتلين من قوله السابق حيث نجد ماركس يهتم أكثر بالجانب السلبى أو النقدى المنصب على المجتمع الرأسمالى فى القرن التاسع عشر ويخضع كومت للتيار الايجابى والوضعى والرجعى المعادى للتنوير والثورة الفرنسية (١) • ويزيد ألفين جولدنر هـــذه

---

(١) حيث أنشأ كومت علم الاجتماع الوضعى ليختص ببحث الوقائع بدلا من الاوهام المتعالية والتأمل العقيم ويدرس التنظيم بدلا من دراسة السلب والهدم •• ويرتبط بحقائق النظام الاجتماعى القائم • ورغم أنه لا يرفض الحاجة الى الاصلاح والتحسين فانه يستبعد أية حركة ترمى الى قلب هذا النظام أو نفيه وكان يريد من علم الاجتماع الوضعى وضع اطار عام لنظرية اجتماعية تبطل أثر الاتجاهات السلبية وتصل الى دفـــاع أيديولوجى عن مجتمع الطبقة الوسطى فاتجه الى جعل دراسة المجتمـــع مساوية الدراسة الطبيعة وأصبح العلم الطبيعى وبخاصة البيولوجيـــا نموذج النظرية الاجتماعية بهدف جعلها علما يبحث عن قوانين مشابهة فى صحتها للقوانين الفيزيائية ، من هنا ذهب كومت الى أن حركة المجتمـــع تخضع بالضرورة لقوانين فيزيائية لا تتغير بدلا من أن يحكمها نوع من الارادة • فاقترنت الوضعية برفض ادعاء الانسان بأنه قـــادر على تغيير نظمه وادارة تنظيمها وفقا لارادته • والايمان بقوانين ثابتة فيها دعم للنظام القائم وطاعه واستسلام له • وعلم الاجتماع الوضعى فى أساسه دراســة استاتيكية كونية للمجتمع نتيجة لسيادة تطور النظام ، ولكنه أيضا دراســة ديناميكية للمجتمع بفضل وجود تصور التقدم ، الاول شرط أساسى للثانى وكل تقدم يتجه آخر الأمر الى النظام • وتوفق الوضعية بن النظام والتقدم فتوضح أن التقدم فى ذاته نظام وليس ثورة بل تطور ، ثم تعرضت آليات التطور الذى يتصور كل حالة للمجتمع بأعتبارها نتيجة ضرورية للحالــة السابقة عليها •

(هربرت ماركيوز ، العقل والثورة ، هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية ترجمة فؤاد زكريا ، الهيئة المصرية للنشر ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ص ٣٢٧ ـ ٣٣٤) •

الافكار وضوحا بقوله ان علم الاجتماع بعد سان سيمون قد انقسم الى اتجاهين اساسيين يتمايز كل منهما عن الآخر من الناحيتين البنائيـــة والنظرية يتمثل الاتجاه الاول فى علم الاجتماع عند كـــارل ماركس أو الماركسية ، ثم علم الاجتماع الماركسى بعد ذلك والذى حقق نجاحا ضخما فى أوروبا الشرقية ويشير الثانى الى برنامج أوجست كومت الخـــاص بانشاء علم الاجتماع الخالص الذى تمثل بعد ذلك فى علم الاجتمـــاع الاكاديمى والجامعى الذى تبلور فى الاتجاه الوظيفى كما يعبر عنـــه تالكوت بارسونز والذى حقق تطورا ورواجا هائلين فى الولايات المتحدة (١) ، هذا من الناحية البنائية ، أما من الناحية النظرية فنجد ، على حد تعبير لوكوود أن هذه الاتجاهين يمثلان تصوران نظريات يخالفـــــان بعضهما على خط مستقيم يركز الأول على الصراع الاجتماعى والتغير ويهتم الثانى بالنسق الاجتماعى الثابت وتكامله (٢) ٠

واذا كان العرض السابق يوضح لنا الطريق الذى سار فيه التراث النظرى فى علم الاجتماع وتبلورت بفضله الاتجاهات الاساسية فى هذا التراث ، فانه يبقى أمامنا أن نوضح مضمون كل اتجاه من هذه الاتجاهات الاساسية ، قبل أن نبين التطورات التى طرأت على هذه الاتجاهـــات ونحاول تفسيرها ٠

المـــادية التاريخيـــة :

تعتبر المادية التاريخية بمثابة ذلك الجانب من الماركسية الـــذى يمثل نظرية سسيولوجية ومنهج حى فى تحليل الواقع الاجتماعى المتغير أزلا (٣) ٠ وهذه النظرية تعتبر علاقات الانتاج جوهر بناء المجتمع بمعنى أنها العلاقات الأساسية والرئيسية بمقارنتها بغيرها من علاقات اجتماعية

---

(1) A. Gouldner, Op. Cit., P. IIII.

(2) D. Lockwood, Some Remarks on the Social System. British Journal of Sociology, 1959, PP. 134-146

(3) F. Konstantinow. & V. Kelle. Historical Materialism. Marxist Sociology, in : P. Hollander, American & Soviet Sociology edt. Prentice-Hall Inc. New Jersey. 1964 P. 515.

أخرى ، وتتخذ هذه النظرية من التكوين الاقتصـــــادى الاجتمـــــاعى
Socio-Economic Formation حجر زاوية لها . ذلك المفهوم الذى
يجعل من الممكن تحديد مرحلة التطور التاريخى الذى وصل اليه المجتمع
فى أحد البلدان أو غيرها هـــذا التكوين المتمثلة فى البنـــاء الاساسى
وذلك على ضوء عناصر هـــذا التكوين المتمثلة فى البنـــاء الاساسى
Basic Structure والبناء الفوقى Super Structure كما أعان هذا
المفهوم على أعتبار العلاقة بين العناصر المكونة للتكوين الاقتصـــــادى
الاجتماعى ، علاقة تفاعلية . وجعلنا ننظر الى المجتمع باعتباره كائنـــا
عضويا متماسكا ، وسهل علينا تحليل هذا المجتمع وظواهره وعملياته
المتباينة فى السياق التاريخى الاجتماعى وعموما كان لهذه النظرية الفضل
فى التوصل الى القانون الذى يحكم ظهور وتغير التكوينات الاجتماعيـــة
للمجتمع والذى بواسطته أمكن الانتقال من مجرد وصف الظواهـــــر
الاجتماعية الى تحليها العلمى الدقيق (١) .

تتخذ اذن المادية التاريخية نقطة انطلاقها فى التحليل من ماتعتبره
أساسا لكل بنية اجتماعية أو تكون اقتصادى اجتماعى – مجتمعا معينا
أو مرحلة من تاريخ المجتمع ، أو مجمل تاريخ المجتمع الانسانى – بمعنى
أنها تبدأ تحليلها من طريقة الحصول على وسائل العيش فى المجتمع أو
من العملية الانتاجية . وتقرر أنه فى عملية الانتاج يدخل الناس فى
علاقات محددة وضرورية ومستقلة عن ارادتهم تتطابق مع مرحلة محددة
من مراحل تطور قوى الانتاج وان علاقات الانتاج هذه فضلا عن قوى
الانتاج تكون ما يعرف بالبناء الأساسى للمجتمع ويرتبط البناء الأساسى
بالبناء الفوقى الذى يشمل الأفكار والتنظيمات والنظم أو وجهات النظر
الفلسفية والدينية والأخلاقية والقانونيةوالأيديولوجيةوالسياسية،أو كل
ما يشير الى مصطلح الوعى الاجتمـــاعى ، بحيث تعكس كـــل صـــــور
الوعى الاجتماعى العلاقات الاقتصادية للبناء الأساسى بطريقة مباشرة أو
غير مباشرة ، وبالرغم من أن البناء الأساسى يحدد الظواهر البنائيةالفوقية

---

(1) G. Osipov, Lenin & Marxist Sociology Social Sciences To — Day, 1970. No. 3 PP. 3-19.

الا أن هذه الأخيرة تكون مستقلة نسبيا فى تطورها ـ اذن لكل تكوين اقتصادى بناؤه الأساسى المحدد وبناؤه الفوقى المصاحب ـ والتغير فى البناء الأساسى والبناء الفوقى ناتج عن الانتقال من تكوين اقتصادى اجتماعى الى تكوين آخر • ويمر البناء الفوقى بتغير معين داخل التكوين الواحد • ولكن ليس البناء الفوقى الظاهر حديثا كانعكاس للبناء الأساسى ، بناء سلبيا • وانما يلعب دورا فعالا فى العملية التاريخية ويؤثر فيها من جميع جوانبها وبخاصة الجانب الاقتصادى الذى يدين له بوجوده • وينشب الصراع الايديولوجى فى التكوين الاقتصادى الاجتماعى الواحد بين الأطراف الداخلة فى العلاقات الانتاجية والمكونة للبناء الطبقى فى المجتمع ، وبخاصة بين وجهات نظرهما الفلسفية والأخلاقية والسياسية ، وذلك نتيجة لتطوير قوى الانتاج الذى يتبعه تغير فى علاقات الانتاج بحيث يؤدى الصراع بين قوى الانتاج الجديدة وعلاقات الانتاج القديمة لا محالة الى ثورة اجتماعية تنقل المجتمع من تكوين اقتصادى اجتماعى الى التكوين الذى يليه (١) • من المجتمع الاقتصادى الى المجتمع الرأسمالى ، ومن الاخير الى المجتمع الاشتراكى ••• وهكذا •

البنائية الوظيفية :

أن وجود نظرية واحدة وتصور مشترك يوجه عمليات البحث فى علم الاجتماع الغربى الذى تمتد بدايته الى أوجست كومت فى القرن التاسع عشر لم يتحقق الا بعد نهاية الثلاثينات وبداية الأربعينات من القرن الحالى • وذلك عندما نشر تالكوت بارسونز كتابه « بناء الفعل الاجتماعى » عام ١٩٢٧ • وما أن ظهرت مؤلفات بارسونز التالية (٢) • حتى أخذت أفكاره وآراؤه تنتشر فى الجامعات الأمريكية وأقسام علم الاجتماع بها ، كبناء لنظرية فريدة فى علم الاجتماع الغربى • غير أنه قد طرأ على هذه النظرية بعض التغيرات . بحيث نجد بارسونز نفسه

(1) M. Rosenthal & P. Yudin, A Dictionary of Philosophy. Progress Publ. Moscow 1967, PP. 45, 264-276.

(٢) « نحو نظرية عامة للفعل والنسق الاجتماعى » ١٩٥١ ومقالات عمل فى « نظرية الفعل » ١٩٥٣ •

يطلق عليها فيما بعد تسمية التصور البنائى الوظيفى للنسق ، لأنه اذا كان بارسونز فى كتابه « بناء الفعل » يعتبر الوحدة الخلية لتصوره أو نموذجه القياسى ، متمثلة فى الفعل ، فى مقابل الســــلوك وأن الفعل يفترض فاعلا خلاقا وفعالا ومقوما • وهذا الفعل قبل كل شيء اختيارى بمعنى أنه يوجه نحو غاية محددة على أساس ذاتى ومن خلال اختيـــــار وسيلة واحدة بين عدد من الوسائل البديلة • كما كان هذا التصــــور يفترض امكانية البناء الفرضى للفعل داخل النسق ، فانه يلاحظ أن هذا التصور قد تغير فى كتب بارسونز التالية « لبناء الفعل » بحيث نجد أن النسق الاجتماعى يأخذ صفة جوهرية باعتباره أداة تصورية للواقـــع الاجتماعى •• هذا ويبرر البعض تسمية بارسونز لنظريته بالنســـق البنائى الوظيفى على ضوء تأثره بأفكار دور كايم وماكس فيبر (١) •

وينظر التصور البنائى الوظيفى عند بارسونز للواقع الاجتماعى باعتباره نسقا يتكون من أجزاء ويتميز بسمتين أساسيتين : أولهما ان هناك اعتمادا متبادلا بين الأجزاء أو المتغيرات التى يتكون منها النسق • وثانيهما ان النسق يحافظ على ذاته فاذا ما أصابه تغير عاد الى حالة توازنه الأولى •

ويحدد هذا التصور المقصود بالنسق فى أنه يتكون من اثنين أو أكثر من الوحدات (أو الادوار) المتفاعلة مع بعضها البعض والتى تكون فى حالة اعتماد متبادل فيما بينها • (٢) أو بعبارة أخرى ، أن النســـق يتكون من اثنين أو أكثر من شاغلى الأدوار الذين يدخلون فى تفاعل مع بعضهم الآخر وينتظرون من بعضهم توقعات معينة ، تكمل توقعات الآخر، بمعنى أن ما يعتبره أحدهما حق يعتبره الآخر واجب والعكس صحيح ،

---

(1) R. W. Friedrichs, A Sociology of Sociology, The free Press. New York. 1970. PP. 12-15.

(2) M. Zelditeh, A Note on the Analysis of Equilibruim Systems, in : T. Parsons, & R. Bales, Family, Socialization, & Interaction Process, Illinoi, 1955 PP. 401-402.

وهذا التوقع يعتمد بدوره على الالتزام بمجموعة من القيم الأخلاقية التى يشتركون فيها ويتقاسمونها (١) ٠

ويخصص التصور البنائى الوظيفى بعض القضايا لمعالجة حالة التوازن فى النسق اذ يقرر أن التغير فى حالة أحد مكونات النسق يترتب عليه تغير فى حالة باقى الأجزاء بمعنى أن النسق يسعى الى التوازن ٠ وذلك لأن الانساق الاجتماعية تحافظ على حدودها فى علاقتها مع بيئتها ، وان لكل فعل فى النسق وصفه من حيث الكيفية التى يؤثر بها فى حالة توازن النسق وتمايزه عن هذه البيئة ٠ والنسق فى علاقته مع البيئة (الفيزيقية والاجتماعية) يتجه أساسا نحو انجاز هدف ، والى مع البيئة ٠

ويصاحب الحفاظ على حدود النسق مع البيئة أو تكيفه معها تكامل الوحدات المكونة وتضامنها وفى الوقت نفسه قلة التوترات الداخلية ٠ ومن هنا يوصف الفعل بأنه يزيد أو يقلل من تحقيق هدف أو جزاء للوحدات المكونة للنسق ، أو من تكيفه مع بيئته أو من تكامل هذه الوحدات أو عن التوتر بينها وتوصف عمليات انجاز الهدف والتكيف بأنها مناشط أدائية كما توصف عمليات التوتر والتكامل باعتبارها من قبيل النشاط التعبيرى فى النسق ٠

واستخدام بارسونز فى وصف الفعل من حيث حركته وتمايزه بنائيا ووقتيا مفاهيم النقطة والمنطقة والحركة والوجه والطاقة وغيرها ، اذ يشير التمايز الوقتى الى أن الوحدات المتباينة للنسق خلال أى وجه أو عند أى نقطة زمنية تقع عند نقاط مختلفة فى المجال وتصف مسارات متباينة داخله ٠ ويعنى التمايز البنائى أن الوحدات المتباينة تتخذ مدارات مختلفة خلال دائرة الفعل ، وتظهر فى أنماط تعاقب زمنى متكررة ، بما أن النسق يسعى نحو الثبات ويستلزم الحفاظ على حدوده ٠ وتفرض بالضرورة مجموعة من المدارات المتمايزة على كل نسق اجتماعى ويتجه تمايز المدارات نحو حل مشاكل النسق (انجاز الهدف ، التكيف ،

---

(1) A. Gouldner, Op. Cit. PP. 138-211.

التكامل ، التوتر) ويتخصص أعضاء النسق فى أنماط المدارات المتمايزة هذه (١) .

رابعا : اتجاهات التطور فى نظرية علم الاجتماع :

انتشر كلا الاتجاهين - المادية التاريخية والبنائية الوظيفية - فى علم الاجتماع عن طريق شريحة اجتماعية مختلفة فارتبط الاتجاه الأول منذ البداية بالحركة الثقافية والفكرية التى عملت من أجل الجماعات المناضلة والدنيا والتى كانت بطبيعتها ثائرة على المجتمع البورجوازى الذى رفضهم ، أما الاتجاه الثانى فقد نما فى الولايات المتحدة على أيدى الأكاديميين فى الجامعات الذين كانوا يعملون لتدعيم الطبقة الوسطى ، والذين انحصر نشاطهم فى الاصلاح دون الثورة (٢) وعند النظر الى وضع هذه الاتجاهات اليوم فى علم الاجتماع ، أو بعبارة أخرى عندما ننظر الى المادية التاريخية والماركسية وعلم الاجتماع فى الاتحاد السوفيتى والكتلة الشرقية من ناحية ، ونلقى نظرة مماثلة على البنائية الوظيفية وعلم الاجتماع الأكاديمى فى الولايات المتحدة وأوروبا ، من ناحية أخرى ، يمكن أن ندرك تلك التغيرات الهامة التى طرأت على هذين الاتجاهين ، وذلك نتيجة لتأثير بعض القوى الاجتماعية الهائلة والمصاحبة، وليس فقط نتيجة لتراكم نتاج البحوث الامبريقية ، على النحو الذى يشير اليه المنهج التقليدى (٣) .

اتجاهات التطور فى علم الاجتماع الماركسى :

اذا كان انجلز قد سهر على نشر الماركسية بين الطبقات العاملة فى مختلف بلاد أوروبا بعد وفاة ماركس ، وعاصر النمو الفريد للاحزاب الاشتراكية وسيطرة النفوذ الماركسى فيها وشهد الأعراض الأولى للانقسام وتشويه الماركسية من جانب التيارات التحريفية والأرثوذكسية واليسارية ، بحيث سار الفكر الماركسى الى تدهور وتفكك . فانه قد برز عن هذا الركام من الأطلال المتناثرة ، فكر لينين ممسكا من جديد بتلك

---

(1) M. Zelditch, Op. Cit. PP. 202-206.
(2) A. Gouldner, Op. Cit., PP. 20-21.
(3) Ibid. PP. III-395.

العناصر المفككة لاعادة تكوين اتجاه فكرى جديد هو الماركسية اللينينية (١) ٠

الماركسية اللينينية :

كان لينين قد أخذ يناقش علماء الاجتماع فى روسيا الذين استمروا فى الأخذ بالاتجاهات التحريفية والارثوذكسية واليسارية أو المواقف الذاتية ، ويشرح لهم جوهر الثورة العلمية للتصور الماركسى ، ويوضح كيف أن علم الاجتماع يصبح علما حقيقيا عندما يستند فقط الى المادية التاريخية ٠ ولم ينظر لينين الى الماركسية على أنها نسق من القضايا النظرية التى تناسب كل مرحلة من مراحل التطور الاجتماعى ، وانما اعتبرها منهجا فى التحليل ٠ وأجرى استنادا اليها تحليلا متميزا للبناء الاجتماعى للمجتمع الروسى فى نهاية القرن التاسع عشر ، والواقع أن اهتمام لينين بالتصور الماركسى من حيث تنقيته وتدعيمه واستخدامه كان مرتبطا بالحاجة الى حل المشاكل الناشئة عن هدم النسق الموجود ، واقامة انساق جديدة ، ومستند أيضا الى الايمان بأنه من غير الممكن بدون الاعتماد على العلم والبيانات الوضوعية المتحقق منها والدقيقة ، حل هذه المشاكل ومن هنا تضمن القرار الخاص بانشاء الأكاديمية الاشتراكية للعلوم الاجتماعية بعد مايو ١٩١٨ ، الاشارة الى ضرورة أجراء سلسلة من البحوث الاجتماعية التى يجب أن تجرى كأحد الواجبات الأولية ، وهكذا لم يكن الاتجاه الفكرى الجديد ونعنى به الماركسية اللينينية منصرفا فقط نحو تدعيم التصور الماركسى واتخاذه أطارا موجها لبحوثه ٠ وانما أضاف اليه أسهاما ضخما تمثل فى بلورة عدد من القضايا الأساسية (٢) ٠

تحريف الماركسية اللينينية :

غير أن هذا الاتجاه الفكرى الجديد قد حرف بعد ذلك أثناء الفترة الاستالينية مما جعله يسلم الى الغفلة والنسيان واستبدل البحث

---

(١) هنرى لوفيفر ، فكر لينين ، ترجمة عربية اعداد د٠ كمال الغالى ، دمشق ، ١٦٩٦ ، ص ص ١٧ ـ ٣٨ ٠

(2) G. Osipov, Op. Cit., PP. 3-19.

السسيولوجى للمجتمع الاشتراكى بأطر نظرية عامة تنأى عن الحياة الحقيقية ، وتمتاز بانتقاء على أحادى البعد ، وتنبثق عن المذهبية والمدرسية التى جردت العلم عن روحه وباعدت بينه وبين النشاط الأصيل الخلاق ٠ وكان من نتائج هـذا التحريف أن قلت أهمية البحث السسيولوجى فى حل المشاكل الناتجه عن التطبيق الشيوعى فى هذه الفترة (١) ٠ وأذا كان بالامكان تسجيل شيئا من التغير على التصور الماركسى أثناء العهد الأستالينى ، استنادا الى أن ستالين نفسه قد اعلن عام (١٥٩٠) ان المسلمات المجالية للماركسية ، والمتعلقة بامكانيات الطابع المفاجىء للتغيرات العظمى لم يعد فى الامكان تطبيقها على المجتمع السوفييتى ، وانها تختلف مع الحاجات الجديدة فى المجتمع الىمسلمات تهتم بالقوى التى تعمل على تكامله ، مثل اللغة والقومية والسلالية والتنظيم الاجتماعى ، الأمر الذى قد تبدو معه الحاجة ماسه الى تصور نظرى جديد يهتم بمشاكل المجتمع المتكامل ٠ الا أنه لم يتحقق بالفعل ذلك التطور فى التصور الماكسى الا بعد المؤتمر ال عشرين للحزب الشيوعى السوفيتى عام ١٩٥٦ ويمكن أن نسجل مظاهر ذلك التطور والتغير الذى حدث فى علم الاجتماع الماركسى منذ ذلك التاريخ حتى اليوم على النحو التالى:

بعد أن فرغت أقاليم رئيسية فى أوروبا الشرقية وبخاصة الكتلة الشرقية خلال النصف قرن الأخير ، من احداث تغيرات أساسية فى الأنساق الاجتماعية القديمة ، واحلال أنساقا أخرى جديدة محلها ، ومن أهمها رفع مستوى التصنيع والقضاء على المركزية الاقتصادية والسياسية، بدأت تظهر الحاجة الى تصور نظرى جديد يركز على الميكانيزمات التلقائية التى تؤدى الى الثبات الاجتماعى والنظام ، وذلك من أجل المحافظة على المنجزات التى حققتها الأنساق الجديدة ٠

الليبرمانيـــة :

وهناك اتجاه نظرى جديد فى الاتحاد السوفيتى يدور حـول الميكانيزمات التلقائية التى تفيد فى تحقيق الحفاظ على النمو الاقتصادى والثبات ، عرف هذا الاتجاه باسم الليبرمانية Liberamanism (١) ٠

(1) F. Konstantinov, & V. Kelle. Op. Cit., PP. 518-519.
(2) A. Gouldner, Op. Cit., PP. 455-458.

ويقوم هذا الاتجاه النظرى على الحافز المادى واللامركزية فى الانتاج الاشتراكى اذ يدعو الى تطبيق مبدأ ومعدل الربح كمعيار رئيسى للكفاءة الانتاجية • وذلك على أساس علاقة معدل الربح برأس المال الانتاجى للمؤسسة الاقتصادية • فزيادة الانتاجية تقوم على وجود علاقة بين الأرباح والأجور لأنه اذا كانت الأسعار مرنه بما يكفى ، ولا تحدد مركزيا ، وانما على أساس المناطق الاقتصادية والفروع المحلية للصناعة ، فانه من الممكن أن تتوفر حرية أكبر لكل مؤسسة على حدة فى اطار الخطة العامة ذلك لأن الربح بناء على هذا التكنيك الجديد سيدفع كل مؤسسة الى زيادة الانتاج وتحسين نوعيته • ومن ناحية أخرى يدعو هذا الاتجاه الى ضرورة توسع اختصاصات مديرى المؤسسات والأجهزة الانتاجية ، لان التخطيط المركزى فى ظل الاشتراكية ، لا يعنى صدور الأوامر من السلطات العليا بشأن كل صغيرة وكبيرة فى الانتاج ، وانما تحدد الخطة المركزية المسائل العامة وتترك التفاصيل للسلطات اللامركزية (١) •

اتجاه نظرى جديد :

واضح اذن أن الاتجاه الليبرمانى يشير الى أحد مظاهر التطور التى طرأت على علم الاجتماع الماركسى ، والحديث عن غير ذلك من مظاهر التطور يبادر به جولدنر قائلا « انه يبدو فى هذه البلاد أن هناك اتجاها نحو بناء نظرية سسيولوجية جديدة ، ليست من قبيل احياء الماركسية التقليدية أو بمثابة ماركسية جديدة ، وانما هى نظرية قصد منها أن تكون متمايزة عن التقاليد الماركسية اللينينية ، وأشبه بعلم الاجتماع الأكاديمى فى الغرب ،ويمكن لنا أن نشاهد هذا الاتجاه فى كثير من البلاد مثل موسكو ولينجراد ويوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا وبولندا ورومانيا الذى يجسده معاهد البحث التى أنشأت حديثا والترجمات التى نشرت عن مؤلفى النظرية الوظيفية ، والمجلات السسيولوجية التى تصدرها وزيادة الانفتاح على جهود علماء الاجتماع فى الغرب ، والمنافسة الواضحة بين الباحثين على حضور الاجتماعات

---

(١) الموسوعة الاشتراكية ، دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ص ١٣٢ _ ١٣٣ •

السسيولوجية الدولية ، وتبادل الخبرات الأجنبية واجراء البحوث حول موضوعات جديدة مثل التدرج الاجتماعى والتنظيمات والسكان ووسائل الاتصال ، وتغير التصورات حول هذه الموضوعات ، وحول مفهوم البحث نفسه وعلاقته بالنظرية ، اذ أخذت البحوث طابع الواقعية ليس بالمعنى الأمشريقى وانما بالمعنى النقدى الذى رفض كل ما يستند الى الصدق الذاتى ، أو التأمل المهتم بالمستقبل ، ويركز على الظروف المعاصرة »(١) فالبحث بهذا المفهوم الواقعى الجديد يجعل الماركسية اللينينية قادرة على التطور والتقدم واثراء نفسها بالبيانات الجديدة ، وبدونه قد تواجه بخطر يجعلها نسقا من المفهومات الجامدة والمقولات التى تبعد عن الواقع المتغير • (٢) واذا كانت المادية التاريخية هى النظرية وكانت الحياة من التعقيد والكبر مايفوق أى نظرية ، وكانت لكل نظرية جوانب نقصها ، فان البحث الواقعى يكون تعميقا للنظرية • وبرغم كل هذه التطورات التى حدثت فى علم الاجتماع الماركسى ، الا أنه لا يمكن القول أنها تناهض الاشتراكية والحزبية • وذلك لأنها صدرت عن توجيه من القيادة العليا للأحزاب الشيوعية ومن توصيات مؤتمراتها ، وذلك فى محاولة منهـــا للأخذ بوجهات النظر الجديدة وتوسيع مجال الخطط والتدابير فى المجال السياسى • ولقد وجد هذا التوجيه تربه خصبة له مع قلة التحكـــم السياسى • ولقد وجد هذا التوجيه تربه خصبة له مع قلة التحكم السياسى فى الحياة الثقافية وتوفر الأمن والاستقلال للابداع الفكرى والثقافى ، ومع محاولة استعادة ثقة الجماهير اللينينية فى سلطتها « بعد الأزمة الناجمة عن تسلط الاستالينية ، من خلال القضاء على علاقة الشك بينهما ، الأمر الذى فتح الطريق أمام الاستعانة بخدمات علم الاجتماع — نظرياته ومناهجه — فى تقدير ما يفضله ويريده الشعب السوفيتى اليوم (٣)•

اتجاهات التطور فى علم الاجتماع الأكاديمى الغربى :

انتشرت البنائية الوظيفية فى الجامعات الامريكية باعتبارها نظرية وحيدة وفريدة ومشتركة وممثلة لعلم الاجتماع الأمريكى وأضحت توجه البحث خلال فترة امتدت من نهاية الأربعينات حتى بداية الستينات ••

(1) A. Gonldner, Op. Cit., PP. 458-462.
(2) F. Konstantinov. & V. Kelle, Op. Cit., PP. 517.
(3) A. Gouldner, Op. Cit., PP. 462-464.

ولقد بلغ تأثيرها زروته فى خلال هذه الفترة ، بل امتد ليشمل علماء الاجتماع الأكاديميين فى العالم أجمع (١) • ويرد هذا الانتشار والتأثير الى الدور الذى لعبته البنائية الوظيفية كبديل أمريكى للماركسية فى الوقت الذى كانت فيه الأخيرة هى النظرية الاجتماعية الكبرى والقائمة والمعروفة لكثير من المفكرين فى الغرب والتى يستند اليها الخصوم العالميين للرأسمالية (٢) •

ومع حلول الستينات وقعت أحداث هامة وتغيرات داخل وخارج الولايات المتحدة ترتب عليها تغير فى اتجاه البنائى الوظيفي نفسه وفى الموقف الأكاديمى والقومى من هذا الاتجاه وظهرت الحاجة الى اتجاه نظرى جديد ليوجه البحث السسيولوجى فى هذه المرحلة • ففى خارج الولايات المتحدة أصبح أصبح للاتحاد السوفييتى قوى هائلة وأمتد تأثيره ليشمل نصف بلاد الكرة الأرضية تقريبا وأزدهرت الدول الأفروآسيوية الاشتراكية ، ونشب الصراع الفيتنامى ، وبدأت الولايات المتحدة نفسها تحل سياسة الجار الطيب ، محل سياستها القديمة (٣)• وفى داخل الولايات المتحدة تضخمت قوى السود ، وسحبت تأييدها للقيادة السياسية القومية ونشبت ثورة الحقوق المدنية والحرب على الفقر وثارت حركة الشباب الأمريكى وظهرت الحركات الطلابية واليسار الجديد • وتضخم دور الخدمات العسكرية الثقافية فى الهيئة السياسية التى كانت تسهر على ازدهار ونمو دولة الرفاهية وتبلورت الحاجات المتشابكة والمعقدة لدولة الرفاهية فى قيام الاقتصاد على التخطيط الحكومى • وازدياد الحاجة الى التكنولوجيا ودورها البارز فى المجتمع الصناعى ، وتدعيم هيئتها بالتكنولوجيين الذين يلتزمون بالنظام القائم على التخطيط المركزى وازدياد مسئوليتها تجاه تمويل الحلول التكنولوجية للمشكلات الاجتماعية الجديدة وبخاصة تلك التى تتفق مع مسلمات الصفوة البيروقراطية فى البناء التقنى لهذه الدولة ، وتأكيد الحاجة الى تأييد العلوم الاجتماعية والى نظرية جديدة تهتم بالكيفية التى

---

(1) R. W. Friedrichs, Op. Cit., PP. 13-21.
(2) A. Gouldner, Op. Cit., PP. 188-197.
(3) R. W. Friedrichs, Op. Cit., P. 25.

تتغير بها الظروف الراهنه الى ما هو أفضل والمعاونه فى التغلب على المشاكل الثيوبية المعترف بها والمعلن عنها ، وعلى التوترات الاجتماعية والصراعات بطريقة منسقة ، واحداث اصلاحات اجتماعية معينـــة عن طريق التغيير المخطط والمتعمد ومواجهة الضغط الذى تمارسه الطبقات الاجتماعية المحرومة نسبيا سودا وعمالا وكذلك الجيوب التى تقاوم هذا التغيير عن طريق الافلات من الضرائب • وهذا فضلا عن تحديـــد الكيفية التى يمكن بها توسيع نطاق القوى الأمريكية فى الخارج بطريقة مباشرة وغير مباشرة من خلال أوجه النشاط الحكومى القومى والهيئات الدولية مثل اليونسكو وذلك بهدف التفوق على الاتحاد السوفيتى فى التحكم وتوجيه حالة التصنيع فى بلاد العالم الثالث وكسب تأييد القوى الرئيسية التى قد تمنعت بها بعض هذه البلاد (١) •

أزمة البنائية الوظيفية :

ولما كانت البنائية الوظيفية فى كل تطوراتها وباعتبارها وريثـــة للاتجاه الوضعى وحتى مع تطورها فى الأنثروبولوجيا الانجليزية وفى صياغة دوركايم لها خلال الفترة الكلاسيكية لعلم الاجتماع ، أقل اهتماما بالدولة وبأهمية دورها ومسئولياتها فيما يتعلق بادارة وتوجيهالاقتصاد وحل المشاكل الاجتماعية • وكانت أيضا تؤكد دور القيم الأخلاقيـــة وتتصور أن المشاكل الاجتماعية راجعة الى انهيار نسق القيم وعيوب فى عملية التنشئة الاجتماعية ، وتبين كذلك أن هذه المكانيزمات التلقائيـــة هى التى تحافظ على النظام فى المجتمع وتصل به الى المستوى الأفضل بدون تخطيط رشيد وتدخل حكومى • الخ ، فانه يمكن لنا أن ندرك مدى التعارض بين المسلمات البنائية الوظيفية وبين حاجات دولـــة الرفاهية ، وان كان هذا التعارض أمرا متوقعا لأن البنائية الوظيفية كان لها جذورها فى بناء العواطف والمسلمات المشتقة من الخبرة الشخصية والتنشئة الاجتماعية فى الدولة السابقة على دولة الرفاهية حيث كانت تأخذ بالنزعه الارادية التى تمجد النضال الفردى ، وتجعل من متطلبات المشروع الحر متطلبات مثالية ، وكلاهما ينتميان الى تصور السوق الحر

(1) A. Gouidner, Op. Cit., PP. 341-351.

واقتصاد دعه يعمل ، الذى وجد بارسونز أن مجتمعه عموما اختط من أجله ، ومن هنا كان يرى البعض أن البنائية الوظيفية تنطوى على تبرير أيديولوجى للوضع القائم عندما تصورت الانساق الاجتماعية على شاكلة المشروعات المنظمة فى اقتصاد السوق (١) ٠ الا أن هذا التعارض من ناحية أخرى والخلاف بين حاجات دولة الرفاهية ومسلمات البنائيـــــة الوظيفية جعل علماء الاجتماع فى أوروبا الغربية وأمريكا يحسون أن علمهم دخل عصر الأزمات والمتاعب وأنه يمر بفترة أزمة مماثلة للفترة السابقة على ظهور نموذج تصورى جديد يوجه البحث السسيولوجى فى ظل دولة الرفاهية بدون أن يتعارض معها فحدثت بينهم ردود فعـــل واستجابات مختلفة ، بين رد الفعل الثورى والثورى المضاد ، ورد فعل بارسونز نفسه ثم محاولة صياغة نماذج نظرية جديدة ٠

الاتجاه الثورى :

لرد الفعل الثورى عدة مظاهر تتجلى فى تيار النقد الهجومى الشديد الذى بدأ يظهر مع حلول الستينات ، والمنصرف نحو البنائية الوظيفية وتصورها للنسق الثابت ، وفى حالة السخط والشعور بالغربة التى سادت بين علماء الاجتماع الشبان على علم الاجتماع الأكاديمى عمومـا والوظيفية بوجه خاص ، والتى تبلورت فى تكوين الخلايا الجماعيـــة المنظمة والحركة الراديكالية واليسار الجديد المتفرع عنها ، كما تجلت هذه الثورة قبل ذلك فى المواقف النقدية لبعض تلامذة بارسونز القدامى من البنائية الوظيفية ٠

اذا كان تيار النقد الذى ظهر مع بداية الستينات ، يحاول كشف الصورة شبه الايديولوجية للبنائية الوظيفية باعتبارها تقدم تبريـــرا للنزعة المحافظة التى سادت الفترة السابقة من تطور علم الاجتمـــــاع الأمريكى فى أوروبا الغربية ٠ وقاد عملية توجية انتباه العلمـــــاء الاجتماعيين نحو الضبط الاجتماعى والاهتمام بعملية التكيف مع الوضع القائم وانصراف نظرهم عن التغير الاجتماعى والصراع - وتدفقت عن

---

(1) Ibid. PP. 341-351.

هذا التيار مقالات ميردال Myrdal وميلز Mills ورونج Wrong وفيجل Vögel وكثيرين غيرهم (١).

وتعد الحركة الراديكالية أو حركة تحرير علم الاجتماع والتى تفرع عنها اليسار الجديد بمثابة ظاهرة عالمية ، انتشرت فى العالم اليوم كحركة اجتماعية لها مجموعة متباينة من الاتجاهات السياسية وتستند الى مجموعة من الأبنية السفلية والمسلمات السائدة فى ذلك الوقت ، وترتبط بالتغيرات والأحداث التى طرأت على البناء الثقافى والاجتماعى للمجتمع ، وتؤكد قيم المساواة والحرية الجماعية والديموقراطية والكرامة والابتكار . وتعادى كل ما يحط من شأن القيم الانسانية وحرية المجتمع ، وتتطلع الى العلاقات الانسانية الدافئة ، بدلا من النظام الرشيد فى المهن والمنشآت البيروقراطية ويحدوها الأمل فى بناء مجتمع جديد واذا كانت هذه الحركة قد ارتبطت بفكر ماركس الشاب ، فانها رفضت الجانب السياسى فى الماركسية التاريخية ، وبدلا من ان تستمد تأييدها من الطبقة العاملة ، استمدته من نمو دولة الرفاهية ، ومن فئات اجتماعية مثل الطلاب والسود والمغتربين وبعض الأغنياء والفنانين وغيرهم من الفئات التى تنادى بالتغير الاجتماعى وتهتم بنقد الاوضاع الداخلية والسياسات القومية الخارجية والرسمية ، والسلطة والتدرج والامتثال للقيم ومن هنا كانت الحركة الراديكالية واليسار الجديد ترفض البنائية الوظيفية ، وتتابع البحث عن اتجاه نظرى جديد يناسب الواقع الاجتماعى الذى يعيشونه ، وهذا ما ظهر فى مؤلفات داهيل وجابريل كوهين بنية D & G. Cohen Beniet أحد قادة العصيان الطلابى فى فرنسا عام ١٩٦٨ (٢) . ولم تكن هذه الثورة جديدة على البنائية الوظيفية ، وانما سبق اليها بعض تلامذة بارسونز القدامى والمنتمين الى مجموعته الأساسية حين حاولوا انتقاد البنائية الوظيفية وأعلنوا صراحة تنازلهم عنها نتيجة للحالة غير الطبيعية التى وصلت اليها . ومن هنا أنكر كنجزلى دافيز وجود نظرية يمكن أن يطلق عليها التحليل الوظيفى ويسهل تمييزها

---

(1) R. W. Friedrichs, Op. Cit., PP. 22-30.
(2) A. Gouldner, Op. Cit., PP. 376-407.

عن غيرها من نظريات في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا لأن الاتفاق على المقصود بالتحليل الوظيفي أصبح أمرا بالغ الصعوبة (١) ٠

الاتجاه الثوري المضاد :

وعلى الرغم من أن الاتجاه الثوري قد ترك أثره على حالة التماسك والوحدة التي سادت بين الباحثين في علم الاجتماع الغربي منذ الحرب العالمية الثانية، والتي جمعت بينهم حول التصور البنائي الوظيفي للنسق المتوازن الا أن الميدان لم يخل من فريق آخر من الباحثين الملتزمين بهذا التصـــور الذين حاولوا المحافظة على حالة التماسك السابقة ، عن طريق مواجهة الاتجـــاه الثوري على تصور النسق الثابت بصورة مضادة ، أنصرفت نحو ادخـــال سلسلة مطولة من التعديلات على المضامين الخاصة بالبنائية الوظيفية في تحليل النسق الثابت والمتوازن ، وما اعتقدوا أنه قد يفيد في تحليل النسق المتغير ٠ ولقد تدفق عن تيار الثورة المضادة مقالات ومؤلفات كانسيـــان Kancian وبراديمير Prademier وسملسر Smelser وفالدينج Falding وكوزر Coser وفانديبرج Van Deu Berghe وكثيرين غيرهم (٢) ٠ اذ انفق سملسر في مقاله « نحو نظرية عامة للتغير الاجتماعي » الكثير من وقته في تقنين الماركسية والتوحيد بينها وبين الوظيفية (٣) وعندما أهتم كوزر بتحليل الصراع فانه ركز أساسا على وظائف الصراع دون معاقاته ، أو انصرف باهتمامه نحو تلك الآثار التي يحدثها الصراع الاجتماعي ، والتي يترتب عليها زيادة في تكيف العلاقات الاجتماعية والجماعات ، وأوضح أن للصراع عدد من الوظائف أهمها اسهامه في الحفاظ على حدود الجماعة ، وأنه

---

(1) K. Davis. The Myth of Functional Analysis As A Special Methed in Sociology & Anthropology. American Sociological Review. 1959 Vol. 24. PP. 757-772.

(2) R. W. Fridrichs, Op. Cit., PP. 31-36.

(3) N. Smelser, Toward a General Theory of Social Change in; Essays in Sociological Explanation. P. 279.

يحول دون انسحاب أعضاء الجماعة منها(١) • وكان فالدينج طموحا للغاية في محاولته تصور حالة للتعايش السلمى بين بارسونز وميلز • وكان فانديبرج يعتقد أنه يمكن التوفيق بين البنائية الوظيفية والديالكتيكية لأن كلا منهما بمثابة وجهة نظر لدراسة المجتمع من جانب واحد ، ومن ثم فهما يكملان بعضهما • وأن دراسة الاتفاق والتداخل بينهما قد يشير الى بداية تمهد للتأليف المثمر بينهما (٢) •

الاتجاه البارسونى المعدل :

لم يقف بارسونز من أزمة البنائية الوظيفية جامدا ، بل قدم بعض الأسهامات التى حاول بها توسيع تصوره للنسق المتوازن ليتضمن قضية التغير البنائى عن طريق وضع الأنساق الاجتماعية فى الاطار الأكبر للتطور الاجتماعى (٣) وفى مقدمة هذه الاسهامات مقالاته عن بعض الاعتبارات حول « نظرية التغير الاجتماعى » ١٩٦١ ، و « القوانين التطورية فى المجتمع » ١٩٦٤ • ويذهب بارسونز (فى مقاله الأخير) الى أن التطور يمر بمرحلتين اثنتين متعاقبتين ، مرحلة بداية وهى المرحلة المرتبطة بالمجتمع البدائى أو القبلى ، وتتميز بسيادة نظم القرابة والتى تستند فيها المكانة الاجتماعية الى معايير القرابة والنسب ، وهذه المرحلة بمثابة نقطة انطلاق لمرحلة التطور الثانية تلك التى تشمل كل ما يجيء بعد المرحلة الأولى ، والتى تظهر نتيجة لأثر التبرير الشرعى والثقافى للوظائف الاجتماعية السياسية المتمايزة ، ونسق التدرج الاجتماعى المتميز • ذلك التدرج الذى يحدث أولا وكشرط لشرعية الوظائف ، ثم يحدد بارسونز أربعة قوانين أخرى للتطور تؤثر فى هذه المرحلة ، وهى أنساق السوق ورأس المال والبيروقراطية ، والجمعيات الديمقراطية ، والقانون ، هذا فضلا عن المتطلبات السابقة على التطور الثقافى والاجتماعى التى يحصرها فى

---

(1) L. Coser, The Functions of Social Conflict, The Free Press of Glence, P. S. A. 1956, P. 7.

(2) P. Van Deu Berghe, Dialectic & Functionalism, American Sociological Review, Oct. 1963, PP. 696-704.

(3) R. W. Friedrichs, Op. Cit. P. 38.

التكنولوجيا واللغة والقرابة والدين (١) · واذا كان البعض يرى من ناحية أن اسهام بارسونز الجديد هذا ينطوى على جوانب التقاء مع الماركسية وخاصة عندما تذكر الأخيرة أنه يمكن التمييز بين مرحلتين فى التاريخ مرحلة المجتمعات العتيقة ثم المرحلة اللاحقة لكل التاريخ المعروف ، وعندما تؤكد أهمية انساق علاقات الانتاج والأسرة واللغة والدين · الا أنه يشير من ناحية أخرى الى أن هذا الأسهام البارسونى الجديد يعتمد على ميكانزمات التطور دون الثورة ، ويحصر العوامل الجوهرية لبناء المجتمعات الحديثة فى التنظيمات البيروقراطية وأنساق المال والسوق والانساق القانونية والاتحادات الديموقراطية وهذه العوامل متوافرة فى المجتمع الامريكى باعتباره يمثل ذروة النمو التطورى ،بينما تفتقر آفاقا حديثة أخرى خاصة الاتحاد السوفيتى الى بعض هذه العوامل · والنتيجة التى يمكن استخلاصها من هذا الاسهام الجديد أن بارسونز يحاول أن يبرهن استعانته بالقوانين التطورية على تفوق النسق الامريكى على النسق الروسى الأمر الذى يمكن القول معه أن اتجاه بارسونز الجديد منح أوروبا الغربية وأمريكا ثمنا عزائيا ونصرا نظريا فى مقابل النصر الحقيقى السياسى والاجتماعى والتكنولوجى الذى حققته روسيا بالفعل (٢) ·

الاتجاه النظرى الجديد :

ومال بعض علماء الاجتماع الآخرين الى توجيه استجابتهم لأزمة علمهم وجهة أخرى تمثلت فى محاولتهم بلورة نماذج نظرية جديدة تماما تتميز بالشمول والراديكالية وباختلاف مسلماتها وأفكارها الرئيسية عن مسلمات وأفكار البنائية الوظيفية · ولقد لمعت شخصية أرفينج جوفمان بين زملائه هارفولد جارفينكل وجورج هومانز وغيرهم الذين أشتهروا بمحاولتهم صياغة مثل هذه النماذج الجديدة ·

---

(1) T. Parsons., Evolutionary Pniversals in Sociology, American Sociological Review, XIXX, No. : 3, 1964, PP. 325-342.

(2) A. Gouldner, Op. Cit., PP. 361-397.

نموذج جوفمـــان :

أعتبر جوفمان المسرح النموذج لفهم الحياة الاجتماعية. ولذلك يحدد نقطة الانطلاق فى تحليله فى دخول الفرد ذاته على الآخرين، ويركز على ما يحدث فى هذا الموقف من تصرفات وسلوك يعبر بها الفرد عن ذاته بقصد أو بغير قصد ، ومدى تأثر الآخرين بهذا السلوك وبمظهر الفرد نفسه (١)، ويذهب الى أن الافراد فى هذا الموقف يناضلون من أجل توصيل صورة مقنعة عن ذواتهم الى الآخرين ، بمعنى أنهم لا يحاولون عمل شيء بقدر ما يحاولون أن يكونوا شيئا ما . وهم بهذا يعلبوا أدورا آكروباتية ويشاركون فى الالعاب بهدف رفع قيمة الذات وذلك دون الاعتماد على الاخلاق والاحترام، وانما على اثارة الشعور الضئيل بالشفقة المتبادل بين الناس وبعضـــهم البعض ، ومن ثم تصبح الحياة الاجتماعية أو الواقع بمثابة مجموعة من قواعد الالعاب التى يمكن التحكم فيها من ناحية الآداء أكثر منها مجموعة من الالتزامات الاخلاقية التى يمكن الاحساس بأثرها أو تضحى هـــذه الحياة بمثابة عملية تفاعل بين مجموعة من الافراد الذين يسعى كـــل واحد منهم نحو اقناع الآخرين بأن ما يدعيه هو حق ، وذلك من خلال النفاذ الى ذواتهم . اذن ليست الاخلاق هى التى تربط الناس ببعضهم . وانما قدرة الافراد على اقناع بعضهم الآخر بأن ادائهم قد بلغ المستويات المتوقعة هى التى تربط بينهم . ويعتبر اذن الموقف أساس فهم الحياة ، وذلك باعتبارها تمارس فى دائرة شخصية ضيقة وغير تاريخية ونظاميـــه . وتستمر فى سيولة كحالة عابرة . فالحياة الاجتماعية ليست بمثابة أبنية اجتماعية ثابتة ومحددة ، وانما هى شبكة مهلهلة تندفع فى تأرجح عبر ممر ضيق يرقبها الافراد فى حذر .. كما أن الافراد ليسوا نتاجا للنسق وانما هم منفلصين ومغتربين عنه ..... والواقع أن جوفمان كان يريد بهذه النظرية تناول أولئك الافراد الذين يعيشون ويتعاملون مع التنظيمات البيروقراطية الكبيرة الحجم ، ذات القوة الساحقة ، التى يقل تأثير الافراد

---

(1) Erving Goffman, Presentation of Self to Others in T. Manis. & B. Meltzer, eds Symbolic Interaction, Allyn & Bacon Boston. 5 Prin, 1969. PP. 220-231.

فيها ، ويحاول بها البحث عن كيفية توافق الافراد معها وتداخلها (١) ٠

نموذج جارفينكل :

تعد نظرية جارفينكل بمثابة اطار مرجعي بديل للبنائية الوظيفية ، ذلك لانها تعتبر عملية ممارسة للحياة اليومية بواسطة وسائل يبنى بها الفاعلين عالمهم ويشيدون واقعهم ، أمرا مشكلا ، وذلك على خلا فالبنائية التى كانت تسلم جدلا بهذه العملية على أنها أمرا معطى ٠ وكان جارفينكل فى اهتمامةبالنظام الاجتماعى ومتطلباته يتخذ موقفا راديكاليــا ، بحيث لا نجده يدرس القيم الاخلاقية المشتركة كأساس لهذا النظام ، وانما يقوم بالبحث الدقيق عن بناء الفعل الاجتماعى فى ثنايا اللغة ـ لغة الحديث اليومية ـ كوسيط للتفاعل الاجتماعى وبحيث أنه كان يحاول الكشف عن العلاقات المعقدة بين التفكير والعقل ويربط بينهما فى عملية المحادثة بين الافراد ،ويبحث عن الابنية التى يمكن بواسطتها التعبير عن مشاعرهم ويوصلون بواسطتها ما يريدونه للآخرين ٠ وان صياغة المحادثات فى هذه الابنية يضع يدنا على الظواهر التى يمكن ملاحظتها ووضع تقارير عنها(٢)٠ اذن يركز جارفينكل على الحياة اليومية ويسعى الى فهم المواقف الاجتماعية من الداخل كما هى ، وكما تظهر للافراد الذين يعيشونها ، ويحـــاول الكشف عن القواعد الضمنية التى تحكم التفاعل الاجتماعى ، وتحدد مدى دلالتها بالنسبة للأشخاص الذين يدخلون فى هذا التفاعل ٠ ويستخدم جارفينكل مناهج الفطرة السليمة والبرهنة ، والحادثة أو بعبارة أخرى يستخدم ما يطلق عليه الأثنوميثودولوجى فى استخلاص وصياغة قضايا نظريته (٣) ٠

مناقشة وتعقيب :

تناولنا معنى النظرية وتعرضنا لأنواعها ، ولمشكلة تصنيفها وأخذنا

---

(1) A. Gouldner. Op. Cit., PP. 378-390.

(2) John Mckinney & Edward Tiryakien. ed. Theoretical Sociology. Perspectives and Developments. Meredith corporation. New York. 1970. PP. 17-18.

(3) A. Gouldner Op. Cit., PP. 390-394.

مثلا على مواجهة هذه المشكلة تتبعت أصـــول التراث النظرى فى علم الاجتماع ، وأوضحنا الطريق الذى سارت فيه وتبلورت بفضلة الاتجاهات الاساسية فى نظرية هذا العلم ، وألقينا الضوء على مضـــمون المـــادية التاريخية والبنائية الوظيفية ، ثم تابعنا انتشار كلا الاتجاهين عن طريق شرائح اجتماعية مختلفة ، فى الاتحاد السوفيتى ، وبلاد الكتلة الشرقية، وفى الولايات المتحدة وأوربا . وتناولت بعد ذلك ، التغيرات الهامة التى طرأت على هذين الاتجاهين موضحا أثر القوى الاجتماعية الهائلة والمصاحبة فى هذه التغيرات، حيث ارتبطت المادية التاريخية منذ البداية بالايديولوجية الثقافية والفكرية التى أعلنت الثورة على المجتمع البورجوازى وأخـذت توجه البحوث السسيولوجية فى هذه الفترة، وهذا ما حاوله انجلزولينين الأول فى كتابه عن حالة الطبقة العاملة فى انجلترا ، والثانى فى مقال عن البدء التنظيم ، وذلك استنادا الى أن المادية التاريخية تعتبر نظريـــة سسيولوجية ومنهج حى فى تحليل الواقع الاجتماعى المتغير أزلا ، هـــذا فضلا عن أنها كانت تتفق مع ظروف تلك المرحلة من تاريخ المجتمع فى بلاد شرق أوربا ، التى كانت تتطلع نحو هدم الانساق الاجتماعية القديمة واقامة انساق أخرى جديدة أو تستلزم احداث التغيير ، غير أنه بعـــد أن تطور المجتمع فى هذه البلاد وأصـــبح أكثر تعقيدا وحقق الكثير من الانجازات ، وأضحى التضامن مقوله سسيولوجية هامة كتعبير طبيعى ومنطقى عن العلاقات الاشتراكية فى الانتاج ، اهتم علم الاجتماع الاكاديمى السوفيتى بالاطارات التصورية التى تركز على عوامل وميكانيزمات الثبات والتكامل والتضامن . ليس على أساس اعتبار المجتمع غير متكامل وانما انطلاقا من ضرورة تقديم المساعدة للمجتمع لكى يتمكن من زيادة مظاهر التكامل والتناسب بين قطاعاته المتباينة وذلك بعد فهم ميكانزماته . وكان من الطبيعى أن يترتب على هذا الاهتمام نمو تصور سسيولوجى جديد يوفره علم الاجتماع الاكاديمى الماركسى ليوجه البحث السسيولوجى فى هذه الفترة الجديدة من تاريخ تطور المجتمع ، ويتفق معها .

ومن ناحية أخرى ارتبطت البنائية الوظيفية منذ البداية بالايديولوجية الثقافية والفكرية التى رفعت راية الاصلاح دون الثورة – وأخذت توجـه البحوث السسيولوجية فى أوربا الغربية وأمريكا فى الفترة من بداية الاربعينات حتى نهاية الخمسينات . وذلك اســـتنادا الى أن البنائية

الوظيفية تعتبر نظرية سسيولوجية لتحليل الواقع الثابت والمتوازن، هذا فضلا عن أنها كانت تتفق مع ظروف تلك المرحلة من تاريخ المجتمع فى بلاد غرب أوربا وأمريكا التى تجعل من متطلبات السوق الحر والمشروعات المنظمة ذاتيا ، متطلبات مثالية ٠ غير أنه بعد أن تطور المجتمع فى هذه البلاد وأزدهرت دولة الرفاهية وتبلورت حاجاتها ومتطلباتها أهتم علم الاجتماع الاكاديمى فى هذه البلاد نفسها فى الفترة من بداية الخمسينات حتى اليوم بالنماذج النظرية التى تركز على ميكانيزمات التغير الاجتماعى ، ليس على أساس أن المجتمع يتطلع الى التغيير الجذرى وانما انطلاقا من ضرورة تقديم المساعدة للمجتمع حتى يتمكن من تحقيق بعض التغيرات التى يريدها ، وذلك بعد فهم ميكانيزماته ٠ وكان من الطبيعى كذلك أن يترتب على هذا الاهتمام نمو تصورات سسيولوجية جديدة يوفرها علم الاجتماع الاكاديمى الغربى ليوجه البحث السسيولوجى فى هذه الفترة الجديدة من تاريخ تطور المجتمع ويتفق معها ٠ ليس الأمر اذن فى علم الاجتماع قاصرا على مجرد تعصب البعض للمادية التاريخية ، وتمسك البعض الآخر بالبنائية الوظيفية على نحو جامد ، وانما انطوى علم الاجتماع على خاصية هامة تعبر عن مرونته وطابعه الديالكتيكى (النقد والمحافظة)، وتجعله يهتم بالتصور النظرى الذى يتفق مع ظروف المجتمع فى المرحلة التاريخية التى يعيشها ٠

والواقع أن الفائدة من ادراك هذه الخاصية المرنة لعلم الاجتماع تزداد بين الباحثين فى بلاد العالم الثالث ، ذلك لانها قد تعينهم على تجاوز كل ما يعانونه من حيرة ولبس وهم بصدد البدء بتصور نظرى يوجه بحوثهم السسيولوجية ٠ اذ لاخلاف أن بلاد العالم الثالث فى معظمها تهتم بكيفية أحداث التغير فى أنساقها الاجتماعية القديمة ، وبكيفية تعبئة الجهود من أجل التنمية والتطور حتى يمكن دخولها المنطلق الصناعى ٠ ومن هنا يمكن تفسير انتشار المادية التاريخية فى هذه البلاد وارتباطها بالحركات الفكرية والثقافية ٠ وكذلك اهتمام علم الاجتماع بهذا التطور النظرى فى توجيه بحوثة ٠ ولكن هذا لم يمنع من انتشار البنائية الوظيفية فى بعض بلاد العالم الثالث التى كادت تصل الى المنطلق الصناعى وحققت تغيرات أساسية فى بعض أنساقها القديمة وأوجدت أنساقا جديدة يستلزم الأمر دراسة ميكانيزمات تكاملها ، وذلك استنادا الى مرونة علم الاجتماع وطابعه الديالكتيكى أيضا ٠

الفصل الثانى

النظرية والبحث فى علم الاجتماع المعاصر

تمهيـــد

أولا : اثر النظرية فى البحـــث

ثانيا : اثر البحث فى النظرية

الفصل الثانى

النظرية والبحث فى علم الاجتماع المعاصر

تمهيد

على الرغم من أن البعض قد استطاع أن يميز فى تاريخ علم الاجتماع بين مجموعتين من علماء الاجتماع ، مجموعة العلماء الذين كانوا يحاولون قبل كل شىء التوصل الى التعميمات ويبحثون عن الطرق التى تمكنهم من صياغة القوانين السسيولوجية ، مغفلين اهمية جمع الملاحظات والبرهنة على هذه التعميمات والقوانين وبين مجموعة اخرى من العلماء الذين يغرقون فى اجراء البحوث الامبيريقية دون أن يهتموا بالربط بين وقائع هذه البحوث أو حتى تفسير حدوثها . الا أن التطورات التى طرأت على علم الاجتماع خلال السنوات الأخيرة تؤكد لنا أن هذه الاتجاهات قد افل نجمها . اذ لم نعد نرى اليوم نموذج عالم الاجتماع الذى يهتم فقط بالقوالب الفكرية الخالصة دون ادراك صلتها بالواقع ، كما لم نعد نرى أيضا نموذج عالم الاجتماع الذى يقع فريسة الوقائع ويغرق فى الاحصاءات دون أن يهتم بتفسير هذه الوقائع والبحث عن دلالتها النظرية . وانما أخذ المنظر يشارك زميله الباحث فى العمل ، وأخذوا يتبادلون معا أطراف الحديث فيما بينهم بل اخذ عالم الاجتماع الواحد يتحدث الى نفسه طالما كان اهتمامه ينصرف الى النظرية بقدر انصرافه الى البحث . ولقد ساعد كل هذا على تأكيد العلاقة بين النظرية والبحث ، وادراك الطبيعة التفاعلية لهذه العلاقة . بمعنى أن هذه العلاقة لا تسير فى اتجاه واحد من النظرية الى البحث أو العكس فقط ، وانما تسير فى اتجاهين متضادين ، يشير الاتجاه الأول الى اثر النظرية فى البحث ، ويشير الاتجاه الثانى الى أثر البحث فى النظرية (١) .

أولا : أثر النظرية فى البحث :

تؤثر النظرية السسيولوجية فى البحث من عدة وجوه ، اذ تعمل

★ تأليف الدكتور على عبد الرازق جلبى .

(1) Robert, K., Merton, Social Theory & Social Structure, The Free Press of Glencoe Illinois, 1951, PP. 83-101.

النظرية على توجيه دوائر البحث نحـو الموضوعات المثمرة ، وتضفـى المغزى والدلالة على النتائج الغفل ، كما تساعد توجيهاتها وتعميماتهـا ومفاهيمها على تنمية وتطـوير البحث من ناحية أخرى .

١ ـ توجيه النظرية للبحث نحو الموضوعات المثمرة :

تحدد النظرية مسار واتجاه البحث وتوجهه نحو تناول الموضوعات التى يحتمل ان تكون أكثر اثمارا من غيرها . والمثال البارز فى تراث علم الاجتماع الـذى يوضح هذه الوظيفة الأساسية للنظرية بالنسبة للبحث ، يمكن أن نستمده من نظرية (كوهن) Cohen (١٩٥٥) ، التى قدمها لتفسير تكوين الثقافة الفرعية الانحرافية فى بعض قطاعـات المجتمـع الأمريكى ، تلك النظرية التى أقامها بناء على نتائج البحوث السابقة حول السلوك الانحـرافى ، وعلى خبـراته الخاصـة بسلـوك عصابـات الجانحين ، وعلى بعض النظـريات الأخـرى فى ميـدان علم النفس والاجتماع ، ولقد رتب (كوهن) قضايا نظريته على النحو التالى :

أ ـ يهدف كل سلوك انسانى الى حل بعض المشكلات .

ب ـ بالرغم من أن لكل اعضاء المجتمع مشكلات يعانـون منها ، الا ان المشكلات من الأنواع المتباينة لا توزع بطريقة عشوائية بين اعضاء المجتمع ، وانما يحتمل أن يواجه اعضاء الطبقة العاملة أنواعا معينة من المشكلات بدرجـة تفوق ما يواجه اعضاء طبقة الموظفـين ، كما يواجه صغار السن هذه المشكلات بمعدل يفـوق ما يواجهه الكبار ، ويـواجه الذكور مشكلات تفوق ما يواجهه الاناث ... وهكذا .

جـ ـ ويعتبر وجود عدد من الافراد يتفاعل بعضهم مـع البعض الآخر ولهم نفس مشاكل التكيف ، شرطا اساسيا لتكوين انمـاط ثقافية جـديدة .

د ـ ويشترط اساسا لتكيف الفـرد ، ان يرضى عنه زمـلاؤه الآخرين الذينتكون لهم اهمية من وجهة نظـره .

هـ ـ ولكنه من الصعب ان يتحقق للكثير من أبناء الطبقة العاملة مثل هـذا الشرط حيث تستخدم معايير الطبقة الوسطى فى الحكـم على اوجه نشاط هؤلاء الابناء فى المدارس ومراكز الترفيه وغيرها من مجالات

النشاط فى المجتمع الاكبر غير انهم غالبا ، لا يكونوا مهيئين لمجاراة مثل هذه المعايير .

و — وتتغلب الثقافة الفرعية الانحرافية على هذه المشكلة عن طريق تنمية معايير للمكانة يستطيع هؤلاء الابناء مجاراتها (١) .

ز — وبما أن معايير الطبقة الوسطى تغرس جزئيا فى نفوس معظم ابناء الطبقة العاملة ، فانه يترتب على ذلك تشوب الصراع بين هذه المعايير ومعايير الثقافة الفرعية للعصابة الجانحة .

ح — ولحل هذا الصراع ، ترفض الثقافة الفرعية الانحرافية معايير الطبقة الوسطى بكل رموزها ومكانتها ، وترفع من شأن معايير العصابة الجانحة .

ويعلق (كوهن) على هذه القضايا النظرية قائلا ، أنها تقترح البحث عن وقائع وبيانات أكثر دقة ووضوحا من نوع مغاير بعض الشيء لتلك الوقائع والبيانات التى يتم جمعها عادة فى البحوث التى تجرى عن السلوك الانحرافى . وذلك لأنه اذا كانت هذه البحوث الأخيرة تعتمد على الاحصائيات الرسمية التى تصدرها المؤسسات البوليسية والقضائية ، وعلى التقارير الرسمية التى تعدها الهيئات الاجتماعية . فان هذه الاحصائيات والتقارير لا تعكس كل الافعال الانحرافية التى تقع بالفعل ، كما أنها لا تقدم لنا صورة دقيقة وغير متحيزة عن كيفية توزيع حالات الانحراف على القطاعات المتباينة للمجتمع ومن أجل هذا يقترح (كوهن) فى ضوء نظريته ضرورة أن يبدأ البحث باختيار عينة عشوائية من جمهور الأحداث (المنحرفين وغير المنحرفين) فى منطقة معينة ، ومن خلال المقابلات الشخصية الواعية والوثيقة يسهل تحديد الافعال الانحرافية التى تقع بالفعل بين افراد هذه العينة . ويضيف (كوهن) الى ما سبق أن نظريته تقترح فضلا عن الاهتمام بدراسة علاقة تصدع الاسرة والشخصية والحى وما اليها بالجناح ، ضرورة توفير الوقائع حول سلوك المنحرف نفسه ، وحول الطبيعة الفردية

---

(1) C., Selltize, et. al., Research Metheds in Social Relations Holt, Rinehart & Winston, U. S. A., 1961., PP. 486-489.

والجمعية لنشاطه الجانح وحول الكيفية التى تختلف فيها الانحــرافات فى المواقف الفردية والجماعية ، وحول الجماعات الجانحــة باعتبــارها انساقا اجتماعيــة . بمعنى الاهتمــام بدراسة بناء هذه الجمــاعات وديناميأتها وتاريخها وثقافتها الفرعية .

وهكذا يوضح لنا مثال نظرية (كوهن) كيف تعمل النظرية على توجيه البحــث نحو موضوعات يحتمــل ان تكون اكثر اثمارا من غيرهــا مــن الموضــوعات التى اعتاد البحــث فى نفس مجــال هذه النظــرية ان يطرقها (١) .

٢ ـ تضفى النظرية على نتائج البحث دلاله ومغزى :

اذا تعمل النظرية على تسهيل ادراك النتائج التى يصل اليها البحث باعتبارها جزء من قضية بالغة التجريد ، اكثر منها اجزاء منعزلة :

فاذا كانت البحــوث الاحصــائية توصلنــا الى نتيجة مؤداهــا أن عصابات الجانحين تشيع بنسبة اكبر بين احياء الطبقة العاملة منه بــين احياء الطبقة المتوسطة فان هذه النتيجة فى حد ذاتها لا تضيف الكثير الى فهمنا للسلوك الانحرافى غير أن النظر الى العصابات باعتبارها تمثــل ميلا عاما لمجموعة من الأفراد تواجه مشكلات مشتركة ، وتحاول التوصل الى حلول مشتركة لها ، يساعد على ادراك مغزى الارتباط بين عصابات الجانحين واحياء الطبقــة العاملة ، ويضفى على هــذه النتيجة دلالــة واضحة . كما أن ربط هذه النتيجة بمفهوم اكثر عمومية مثل هذا يمدنــا بأساس آخر يساعدنا على التنبؤ بحــدوث هذه الظاهرة أو تغيرهــا فى المستقبل الى حد نطمئن اليه اكثر من مجرد الاعتماد على النتائج فى حــد ذاتها . الأمر الذى يجعل بالامكان وضع الحلول واقتراح خطوات الحد من الانحراف مثل زيادة خدمــات الترفيه ، وتدعيم الخــدمات التوجيهيــة والاستشارية لطلبة المدارس ، وزيادة الرقابة على الكتب ، ومد آبــاء المنحرفين بالاعانات المادية ، وزيادة عدد رجــال الشرطة فى المناطق التى يتزايد فيها معدل الانحــراف .

٣ ـ تنطوى النظرية على توجيهات عامة تمدنا بالسياق الــذى يجرى البحث فى نطاقه :

---

(1) Ibid., PP. 489-490.

اذ تشتمـــل مثـل هـــذه التوجيهـــات Orientations على المسلمات المتعلقة بنماذج المتغيرات التى يجب أن تؤخذ فى الاعتبار ، أكثر مما تشير الى العلاقات القائمة بين هـذه المتغيرات . ومن أمثلة هـــذه التوجيهات ما ذهب اليه (دور كايم) قائـــلا : انه يجب البحث عن سبـب الحقيقة الاجتماعية بين الحقائق الاجتماعية الأخرى التى تسبقهـــا ، وان المعايير المفروسة هى العامل الإجتماعى الذى يوجه السلـــوك . وكذلك التوجيه الذى أوضحه (زنانيكى) و (سوروكين) وغيرهما ، والذى ينظران فيه الى المجتمـــع باعتباره نسقا متكاملا يتكون من أجزاء متساندة وظيفيا ومرتبطة فيما بينها . وبالرغم من ان هذه التوجيهـــات لا تحدد فـــروضا معينة ، الا أنها تقوم بوظيفة أساسية هى انها تمـــدنا بسياق للبحـــث يسهل عملية التوصل الى هذه الفروض الى حد أن الباحث الذى يتجاهل نظام الحقائق المتضمنة فى هذه التوجيهات يعرض نفسه للخطر .

ومن أبرز الأمثلة على دور التوجيهـــات النظرية فى توفير سيـــاق للبحث ، محاولة (مالينوفسكى) اعادة أختبار الفرض الفرويـــدى المتعلق بعقدة أوديب ، وذلك فى ضـــوء التوجيه السسيولوجى الذى يعتبـــر أن تكوين العاطفة أمرأ يتأثر بالبناء الاجتماعى . ولقد ساعده هذا التوجيـــه على الكشف عن حقيقة هذه العقـــدة السيكولوجية فى علاقاتها بنســـق علاقات المكـــانة فى مجتمع بدائى يختلف فى بنائه عن ذلك المجتمع الاوربى الغربى . وذلك من خـــلال الافادة من مجموعة الفـــروض غير الناجمـــة عن هذا التوجيه ، وان كانت كلها تتفق معه ، حيث يسهل هذا التوجيـــه عملية تدفق الفروض الواحد تلو الآخـــر فى تعاقب مستمر والتى اثمـــر اختبارها فى البحث عن حقائق سسيولوجية هامة (1) .

٤ — توجه مفاهيم النظرية وتصوراتها عمليـــة جمع وتحليـــل معطيات البحث :

هنـــاك أعتقـــاد خاطىء بأن النظـــرية تتكون من مجمـــوعة مفاهيم ، غير أن عملية صياغة المفاهيم والتحليـــل التصورى ليســـت الا جانبا جوهـــريا فى اى عمل نظرى ، اذن ليست مجموعة مفاهيم المكانـــة والدور والمجتمع المحلى والتفـــاعل الاجتماعى والمسافـــة الاجتماعيـــة

---

(1) R. Merton, Op. Cit., PP. 85-86.

والانومى ، الا جزءاً فى بناء نسق النظرية ، يضاف الى الاوصاف التى يجب ملاحظتها والمتغيرات التى ينبغى أن يتناولها البحث والقضايا المرتبطة منطقيا فيما بينها . وعند هذا الحد تبدو النظرية وقد استكملت بناؤها . ويعتبر اختيار المفاهيم بطريقة تساعد على التوصل الى العلاقات وتحديدها بوضوح أمراً حاسما بالنسبة للبحث ، لأنها توجه عملية جمع وتحليل المعطيات بدقة ولحكام ومن ثم تقلل من احتمالات خطأ النتائج الامبيريقية التى تتجمع فى ضوء هذه المفاهيم — وتعتبر محاولة (سذرلاند) لاعادة النظر فى المفهوم الدارج للجريمة مثالا بناءاً على الكيفية التى يحدث بها توضيح المفهوم مراجعة للفروض المتعلقة بالبيانات التى تم جمعها فى ضوء هذا المفهوم .

فعندما أخذ (سذرلاند) يجرى عملية مراجعة للنظريات الكريمونولوجية التى تشير الى وجود معدل عال للجريمة بين الطبقات الدنيا يفوق نظيره بين الطبقات العليا . والتى توصلت الى هذه الحقيقة استنادا الى بيانات الجريمة الرسمية التى تم جمعها فى ضوء مفهوم اجرائى معين للجريمة ، والتى ادت الى سلسلة من الفروض التى تعتبر حالة الفقر وظروف التخلف والضعف العقلى وغيرها من السمات ذات الارتباط العالى بالمكانة الطبقية الدنيا ، تعتبر من بين العوامل الهامة للسلوك الاجرامى ؛ استطاع عندئذ أن يكشف عن الغموض والخطأ الذى تنطوى عليه هذه النظريات ولقد بدأ مراجعته لهذه النظريات من مفهوم الجريمة نفسه . الذى حاول توسيع نطاقه ليشمل مخالفات القانون الجنائى التى تظهر بين ذوى الياقات البيضاء ورجال الاعمال والادارة ، تلك المخالفات التى تختفى من الاحصائيات الجنائية الرسمية بمقارنتها بغيرها من مخالفات ذوى الياقات الزرقاء اعضاء الطبقة الدنيا . وفى ضوء المفهوم الجديد يتوقع اختفاء الارتباط العالى بين الجريمة والمكانة الاجتماعية الدنيا (١) ؛ لأن (سذرلاند) عندما اخذ يجرى توضيحا تصورياً جديداً لمفهوم الجريمة ؛ حاول اعادة بناء البيانات عن طريق الاشارة الى ما تنطوى عليه وما تستبعده ؛ بواسطة الشك ، فى المسلمات التى قامت على

(1) Ibid., PP. 87-88.

أساسها هذه البيانات الاحصائية وبخاصة تلك المسلمة التى يستند اليها التحديد الامبيريقى للجريمة والتى مفادها أنه يتم تسجيل مخالفات القانون الجنائى التى يرتكبها أعضاء الطبقات الاجتماعية العديدة بطريقة واحدة فى الاحصائيات الجنائية وهكذا تؤثر مفاهيم النظرية وتصوراتها فى عملية جمع وتحليل معطيات البحث . كما تؤثر مفاهيم النظرية وتصـــوراتها من ناحية أخرى فى حل الـ ناقضات الملاحظة بين النتائج . وذلك عن طريـــق ايضاح ان هذه التناقضات مظهرية أكثر منها تناقضات حقيقية لأن المفاهيم التى لا تصاغ بوضوح كاف والتى تشتمل على عناصر متباينة للغـــاية ، توصلنا الى بيانات تختلف جذريا فيما بينها ؛ ومن ثم يظهر التناقض بحدة الى درجة لا يمكن التقليل من شأنها الا عن طريق اعادة توضيح المفاهيم بشكل مناسب ، وهذا طالما ان المفاهيم هى التى توجه فكـــر الباحـــث وسلوكه وادراكاته كما تحدد الموقف الذى يستجيب له وعموما يساعـــد التحليل التصورى الصريح على معـــرفة الى اى شىء يستجيـــب ، واى العناصر يتجاهلها ؟

ومن أهم الأمثلة على أثر المفاهيم فى حل التناقضات الظاهرة بـــين النتـــائج ، البحـــث الذى اجـــراه (وورف Whorf) على بعض المتغيرات التى وضعها تصورياً بأنها اسطوانـــات غاز فارغـــة ، وحاول دراسة استجابة المفحـــوصين نحو هـــذه الاسطوانات . فوجـــد انها استجابات متباينة لأن بعض المفحوصين تصوروا أن مثل هذه الاسطوانات لا خطر من ورائها ومن ثم لم يكترثوا بها ولم يمتنعـــوا عن التدخين والقاء أعقاب السجاير حولها . وتصور البعض الآخر أن الاسطوانات الفارغة من أكثر الأمور خطرا لانها تشتمل على بخار متفجر ، فكانوا اكثر حذرا فى سلوكهم وهذه النتائج المتناقضة فى الظاهر توضح أن الاستجابة لا تكون موجهة نحو الموقف الفيزيقى بقدر ما توجه نحو الموقف المتصور (١) . ولما كان استخدام مفهوم الفراغ فى هذا المثل ، يشوبه الغموض ، لانه اخذ من ناحية على أنه مرادف للصفر والفراغ والسلب والخمـــول ، واخـــذ من ناحية أخرى على أنه يساعد على الاشتعال . ومعنى هذا انه اذا كـــان

---

(1) Ibid., PP. 88-89.

مفهوم الفارغ قد أوضح صراحة المقصود منه امبيريقيا مقدما ، لما كانت هناك مثل هذه النتائج او الاستجابات المتعارضة . وعموما يوضح هذا المثال أثر التوضيح التصوري على البحث ، الذى يشير للباحث بوضوح أى البيانات يتناولها وأى النتائج يهتم بها . وبالاضافة الى ما سبق ، نجد أن المفاهيم النظرية وظيفة أخرى بالنسبة للبحث ، اذ تجدها تساعد على تحديد المؤشرات التى يمكن ان يهتم البحث بملاحظتها فى الواقع . وهذا ما حاوله (تولمان) Tolman (وتل) Tull عندما قاما بتحديد مؤشرات لمتغيرات مثل التماسك الاجتماعى ولغيرها من المفاهيم والأبنية الفرضية ، التى يمكن ملاحظتها فى الواقع ، وتجد تدعيما لها من جانب النظرية .

ثانيا : أثر البحث فى النظرية :

تذخر دوريات ومراجع علم الاجتماع بالمناقشات التى تركز على بيان دور النظرية فى البحث ، وتوضيح وظيفة النظرية فى توجيه البحث واستمراره ، ومن المفيد أن نواصل هذه المناقشات ونتناول أثر البحث فى النظرية بما أن العلاقة بينهما لا تسير فى اتجاه واحد كما سبق أن اشرنا ، وخاصة أن اغلب المناقشات السابقة فى هذا الصدد لم تتناول الا وظيفة رئيسية واحدة للبحث تتمثل فى اختبار فروض النظرية . والواقع أن أثر البحث فى النظرية لا يقف عند هذا الدور السلبى المتعلق بالتحقق من فروض النظرية واختبارها وانما يتجاوزه الى دور أيجابى آخر له اربعة وظائف ، حيث يمكن للبحث أن يسهم فى بدء النظرية ، وفى اعادة صياغتها ، وتعديلها وتوضيحها (١) .

أ — يسهم البحث فى تطوير النظرية :

فاذا كان لدينا نظرية قد حبكت صياغتها حول ما سوف يحدث فى مواقف متباينة . وفى ظل ظروف محددة ، فانه بالامكان أن نستخلص منها استنتاجات تأخذ صورة فروض توجه البحث واذا أمكن اثبات صحة هذه الفروض عن طريق تجارب صممت لهذا الغرض ، فان هذا البحث يسهم فى التحقق من بناء النظرية فى جملتها ، أما اذا لم يتمكن البحث من

---

(1) Ibid., PP. 80-90.

البرهنة على صحة الفروض ، فانه يكون من الضرورى اعادة اختبار النظرية مرة ثانية ، والنظر فيما اذا كان من الواجب استبعادها لأنها غير صالحة ، أو ما اذا كان ينبغى ادخال بعض التعديلات على بنائها ، ثم استخلاص استنتاجات منها وصياغتها فى صورة فروض تخضع للبحث ، للتأكد من أن هذه النظرية المعدلة تجد ما يدعمها فى الواقع . وهكذا لا يسهم البحث فقط فى التحقق من فروض النظرية ، وانما يسهم أيضاً فى تطوير أو تعديل النظرية والواقع أن اسهامات البحث فى تطوير النظرية قد تكون مقصودة ومخطط لها ، أو قد تكون عرضية غير مخطط لهـا .

أ — التخطيط لتطوير النظرية :

وعالم الاجتماع الذى يشرع معتمداً فى تطوير بعض جوانب النظرية يتبع أحد طريقين أو كلاهما ، فهو قد يعيد النظر فى الدراسات القائمة او يختبرها ثانية ، أو قد يضع مشروع خطة لبرنامج من الدراسات التى تركز على المشكلة التى يهتم بها ، ويراعى الارتباط بين نتائج هذه الدراسات . ولا يحتمل ، فى كلا الحالتين ، أن يبدأ هذا العمل من نقطة لا تستند الى دراسات سابقة ، أو صياغات نظرية أخرى ، أو ملاحظات خاصة ، وانما يبدأ عادة من تصورات معينة واحتمالات محددة يكونها فى ذهنه لصياغات بديلة ويحاول اجراء اختباره المقصود للدراسات الموجودة ، أو وضع خطة للدراسات المقترحة التى لابد من تنفيذها ، فى ضوء هذه الصياغات البديلة القابلة للتغير بدورها (1) والمثال الذى نستعين به لتوضيح كيفية التخطيط لتطوير النظرية اعتماداً على النظر فى الدراسات القائمة واختبارها ثانية ، نستمده من كتاب (ميرتون) Merton (وروسى) Rossi المعنون : اسهامات فى نظرية سلوك الجماعة المرجعية Reference Group حيث كانت المادة التى أعادوا النظر فيها تشتمل على البحوث الصغيرة المتضمنة فى كتاب الجندى الأمريكى American Soldier الذى أعده (ستوفر) Stoffer وآخرون عام ١٩٤٩ ، تلك التى لها صلة بالطرق التى يختار بواسطتها المفحوصين جماعات أخرى باعتبارها نقطة مرجعية من

(1) C. Selltize, Op. Cit., PP. 491-493.

اجل تقويم مكاناتهم الخاصة ، وذلك برغم ان هذه البحوث لم تجر فى ضوء مفهوم الجماعة المرجعية . هذا فضلا عن البحوث الأخرى التى استخدم فيها هذا المفهوم نفسه او المفهومات الماثلة ونعنى مفهومات الروح المعنوية والرضى وغيرها . ولقد ركز (ميرتون) و (روسى) على العناصر المشتركة فى هذه البحوث ، وقاما بتفسير اتجاهات اعضاء الجماعات المدروسة ، فى ضوء الحرمان النسبى الذى يعانونه ، بالمقارنة بالجماعة المرجعية التى اختاروها كمعيار واضح لا كيفية التى يختلف بها اختيار الجماعة المرجعية من موقف لآخر . اذ وجد ان المفحوصين يقومون بتقويم مكاناتهم الخاصة بهم اما بالاشارة الى مكانة اعضاء جماعاتهم الداخلية in-group ، أو بالاشارة الى مكانة اعضاء جماعات أخرى خارجية . وقد تكون بعض هذه الجماعات لها نفس المكانة او يكون لبعضها الآخر مكانة اعلى أو اقل . ولقد اثارت هذه المحاولات فى ذهنهما بعض التساؤلات : ماهى الظروف التى يأخذ فى ظلها المفحوصون علاقات جماعاتهم الداخلية اطار مرجعيا لتقويم كل ما يخصهم ؟ وماهى الظروف التى يأخذ فى ظلها المفحوصون علاقات الجماعات الخارجية التى يفتقرون الى عضويتها ، اطارا مرجعيا لهذا التقويم ؟ الأمر الذى ساعدهم على توسيع مجال النظرية ، لأنهما بهذه التساؤلات يشيران الى بعض الاتجاهات والمسارات التى ينبغى أن تسير فيها البحوث مستقبلا (١) .

والمثال الثانى على التخطيط لتطوير النظرية من خلال وضع مشروع خطة لبرنامج من البحوث التى تتركز على مشكلة معينة ، نستخلصه من برنامج بحوث الاتصال الذى نظمته جامعة ييل Yale من اجل تطوير نظرية الاتصال الاقناعى . اذ يذهب (هوفلاند) و (جانز) و (كيلى) Hovland & Janis & kelley فى وصف هدف وطبيعة هذا البرنامج الى أنه لما كانت هناك مجموعة كبيرة متراكمة من الحقائق الوصفية المتعلقة بهذا الاتصال الاقناعى ، ومن أهمها تلك التى توضح اثر البرامج التعليمية وحملات الاعلان والدعاية على السلوك والرأى — ولما كانت هذه الحقائق لا توضح الظروف التى يزداد أو يقل فى ظلها

---

(1) Ibid., PP. 493-494.

فعالية احد أنواع الاتصال الاقناعية هذه او غيرها . معنى ذلك أن بحوث الاتصال الاقناعي اغفلت بعض القضايا النظرية التى لها دلالتها وفعاليتها ، وأن هناك حاجة ماسة للاهتمام بمثل هذه القضايا التى تسهم فى أثراء فهمنا لعمليات الذاكرة والفكر والدافعية والتأثير الاجتماعى ومن هنا انصرف اهتمام برنامج البحوث اولا نحو مجموعة من المشكلات المتعلقة بالعوامل التى تؤثر فى فعالية الاتصالات وتجعلها تحدث تغييرات فى الرأى ؟ وكيف تؤثر الاختلافات فى امكانية تصديق من يقدمون مادة الاتصال ، فى طريقة ادراك وتقويم مادة الاتصال ومحتواه ؟ وفى درجة تعديل الاتجاهات والمعتقدات ؟ .. ولقد استطاعت بحوث الجزء الأول من هذا البرنامج تقديم الاجابات المناسبة على هذه التساؤلات ، ولكن اثارت هذه الاجابات فى الوقت نفسه مجموعة اخرى من التساؤلات يحتمل فيما يبدو أن تكون اكثر اثمارا فى تطوير نظرية الاتصال الاقناعى وتغيير الرأى ، استنادا الى برنامج بحوث خطط له سلفا (١) .

ب - الصدفة فى تطوير النظرية :

يسهم البحث فى تطوير النظرية عن طريق الصدفة والاتفاق وعلى نحو لم يخطط له سلفا ، وذلك من خلال ملاحظة وقائع غير عادية أو غير متوقعة أو استراتيجية تفيد فى تقديم فروض نظرية جديدة أو فى توسيع نطاق نظرية قائمة . حيث قد يساعد البحث الموجه نحو اختبار احد الفروض على التوصل الى بعض الملاحظات غير المتوقعة التى لم تكن فى الحسبان عند البدء فى اجراء البحث ، تؤدى اتفاقا الى نتيجة ثانوية تؤثر بدورها فى تطوير النظرية . كما قد يساعد البحث على ادراك ملاحظة اخرى غير عادية تثير الدهشة نظرا لأنها قد تبدو غير متسقة مع النظرية القائمة أو الوقائع المرتبطة بها ، الى الحد الذى قد تثير معه هذه الملاحظة فضول الباحث وحب استطلاعه وتنبهه وتجعله اكثر حساسية للوقائع فيكتشف غيرها ثم يجرى ملاحظات ثانية ، ويستخلص منها استنتاجات يضعها بعد ذلك فى الاطار الأوسع لنظريته . وبقدر ما ينغمس

---

(1) Ibid. PP. 494-495.

فى الوقائع ، بقدر ما يزداد احتمال اكتشافاته لمثل هذه الملاحظات غير العادية التى تفصح عن اتجاه مثمر للبحث ، بحيث تؤدى الوقائع غير العادية الى نظرية جديدة للغاية او توسع النظرية القائمة ، عندئذ تهدأ حالة الفضول التى تثيرها هذه الوقائع . ويساعد البحث كذلك على ادراك ملاحظات من نوع ثالث توصف بأنها استراتيجية لأنها ترتبط بمضاين النظرية المعنية ، وتوجه النظر نحو شىء جديد يضاف الى الوقائع الملاحظة ، وتذكرنا الملاحظات الأخيرة بزلات اللسان وعثرات القلم والأخطاء المطبعية وسقطات الذاكرة ، التى طالما كان يلاحظها الانسان من قديم الزمان باعتبارها وقائع تافهة ، ولكنها عندما اصطدمت بحساسية فرويد وادراكه الفذ اخذت هذه الأمور صفة الوقائع الاستراتيجية التى امكن فى ضوئها توسيع مجال نظريته عن الكبت والانفعال المرضية (١) . ويمكن ان تلقى دراسة (ميرتون) عن التنظيم الاجتماعى لكرافتاون وهى مدينة امريكية Craftown ، الضوء على هذه الأنواع الثلاثة من الملاحظات غير العادية وغير المتوقعة والاستراتيجية واثرها فى تطوير النظرية على نحو لم يخطط له سلفا . وكانت كرافتاون بمثابة ضاحية يقطن بهاحوالى (٧٠٠) اسرة ، بينهم نسبة كبيرة من ابناء الطبقة العمالية ، ولقد اثمرت هذه الدراسة عن ملاحظة مفادها : تنتمى نسبة كبيرة من سكان هذه الضاحية الى تنظيمات تطوعية وسياسية تفوق ما كان يحدث فى مناطق سكناهم الأصلية واثارت هذه الملاحظة غير العادية ، ملاحظة اخرى عن طريق الصدفة مضمونها : تقع نسبة الزيادة فى المشاركة الجماعية بين الاباء الذين لهم اطفالا صغار حديثى الولادة ، وكانت هذه الملاحظة الأخيرة غير متوقعة لأنها لا تتفق وماهو شائع من معارف ، تلك التى تشير الى أنه عادة ما يرتبط الصغار بآبائهم من ذوى المستويات الاقتصادية الدنيا ، ويحولون دون أن يكون لهم نشاطا فعالا فى الجماعات المنظمة الأخرى التى تقع خارج نطاق اسرهم ، ولقد حاول الأباء أنفسهم تفسير هذه الملاحظة غير المتوقعة على سلوكهم قائلين : انه ليست هناك مشكلة حقيقية أمام خروجنا فى المساء

---

(1) R. Merton, Op. Cit., PP. 98-99.

للمشاركــة فى التنظيمات التطوعية . لأنه من السهــل ان تجد الأمهــات حولهن من يقوم برعاية أطفالهن من بين الشباب الذين تقع أعمــارهم فى الفئة (١٥ ـــ ١٩) سنة . واذا كانت هذه الدراسة قد تطرقت الى ملاحظة غير عادية وأخرى غير متوقعة لم تكــن داخلة ضمن برنامج الملاحظــات الأصلية ، وكان هناك تفسيرا كافيا يشبع حب استطلاع الباحث،فهل يمكن أن تدخل هذه الملاحظات ضمن فئة الملاحظات الاستراتيجية ؟ ـــ الواقــع انه اذا كانت هذه الملاحظة تبدو تافهة اكثر من ملاحظة فرويد خلال الحرب العالمية الأخيرة (حيث كان له ولدان فى الجبهة) عندما اساء قراءة العنوان الرئيسى فى احدى الجرائد « سلام جورز » بدلا من « العدو أمام جورز » الا أن فرويد استطاع أن يحول الملاحظة التافهة الى ملاحظة استراتيجية وبالمثل أمكن تحويل ملاحظة دراسة كرافتاون الى ملاحظة استراتيجيــة لها صلة بمضامين نظرية معينة ، وتوجه النظر نحو قضايا جديدة تضاف الى قضايا النظرية القائمة وتوسع من نطاقها (١) . حيث ادت حساسية (ميرتون) للوقائع الى أن يربط بين اعتقــادات آباء كرافتاون فى سهــولة توفر من يقوم برعايــة أطفالهم أثناء خروجهم للمشاركــة فى التنظيمــات التطوعية وبين بناء العلاقات الاجتماعية الجديدة فى هذه المدينة ، الــذى امتاز بالتماسك ، نتيجة لنمو أواصر الود والتقريب والثقة بينهم على نحو لم يكن يعهدونه فى المواقع الحضرية الأصلية التى كانوا يسكنونها سلفــا قبل انتقالهم الى هــذا المجتمع المحلى . وهكذا تكتسب الملاحظة غــير المتوقعة وغير العادية صفة الاستراتيجية ، لأنها تتسق ومضامين النظرية السسيولوجية التى سبق أن صاغها (ماركس) بقوله« ان الوجود الاجتماعى هو الذى يحدد وعى الافراد ، وعبر عنها (دور كايم) بقوله « ان التصورات الجمعية تعكس الواقع الاجتمــاعى » ، وحددها (شريـــف) Sherif قائلا « ان العوامل الاجتماعية تعتبر بمثابة الاطار للادراك » ، واوضحتها سسيولوجية المعرفة ، عندما ذهبت الى أن « الوضع الاجتماعى يحــدد الاتجاهات النظرية والافكار » كما أن هذه الملاحظة تعمل على توسيــع نطاق النظرية لأنها تضيف اليها قضية جديدة مؤداها : ان « الادراك أو الأعتقاد يعد نتاجا للبناء الاجتماعى » .

---

(1) Ibid, PP. 66-100.

٢ — يسهم البحث فى اعادة صياغة النظرية :

ويعمل البحث على اعــادة صياغة النظرية وتوسيــع نطاقها عن طريق الملاحظة المتكررة للوقائع التى لم تكن متضمنة فى الاطار التصورى ، والتى قل أن يهتم بها فى التحليل . ويصعب حصر الأمثلة التى يعج بهــا تراث علم الاجتماع والتى توضح الكيفية التى يسهم بها البحث فى اعــادة صياغة النظرية . ولكن فى مقدمة هــذه الأمثلة ، يمكن أن نذكر سلسلــة نتائج البحث الجديدة التى ادت بمالينوفسكى الى ان يعيد صياغة نظرية السحر . تلك النتائج التى توصل اليها من دراساته التى اجـراها على قبائل التروبرياند ، ومجمل هذه النتائج أن سكان جزر التروبريانــد قــد أعتادوا الصيد من مياه البحيرة الداخلية بطريقة التسميم ، بــدون أن يعرضوا أنفسهم للخطر وبغير الشك فيما توفره هذه الطريقة من صيــد وافر ، مع العلم بأنهم لا يمارسون شعائر السحر فى هذه الحالة ولكنهم يمارسون هذه الشعائر ، عندما يقومون بالصيد من مياه البحر الخارجية ، لأنهم يتشكــون فى امكانية توفر الصيــد اللازم ، ويتوقعــون المزيــد من المخاطر (١) . معنى هذا أنهم يعتقدون أن السحر يساعدهم فى التغلب على الاحساس بالشك وعدم الثقة ويدعم مساعى الانسان العملية ، ويقلــل من قلقه ويفتــح امامه دروب التخلص من المخاطــر وكان هذا الاعتقــاد بمثابة قضية جديدة يمين اضافتها الى النظرية القديمة للسحر التى توضح دوره فى جلب الحظ وتناول كل مالا يمكــن التحكم فيه من مخاطر . ولمــا كان الاطار التصورى القديم لا يأخــذ هذه القضية فى اعتبــاره ، ومن ثم لا يهتم بتحليلها ، معنى هذا ان مالينوفسكى استطــاع بناء على هــذه الدراسة أن يعيد صياغة نظرية السحر ويوسع من نطاقها .

وهناك مثال آخر نستمده من نتائج بحث أجرى للكشف عن فعاليــة أحد وسائل التأثير فى جمهور المستمعين ، ويوضح أثر البحث فى اعــادة صياغة النظرية المتعلقة باقناع الجماهير ، وكانــت عينة البحث كبــيرة وممثلة لسكــان مدينة نيويورك الذين أجريت لهم استبارات تدور حــول انطباعاتهم عن البرنامج الاذاعى الذى يذاع على فترات متكــررة لــدة

(1) Ibid. PP. 100-102

ثمانية عشر ساعة يوميا وتقدمه احدى نجوم الاذاعة ، من اجل اقناع الجماهير بشراء سندات الحرب ولقد اختلفت انطباعات افراد عينة البحث بين الاقبال الشديد على شراء السندات ، وبين رفض شرائها والاستياء من الحملة الدعائية والتجارية التي يقوم بها البرنامج ويضاف الى ما سبق أن الاقتناع بشراء السندات ، كان يستند الى اقناع آخر فى أمانة وصدق نجمة الاذاعة التى تقدم البرنامج . ولقد اثارت هذه النتيجة الأخيرة عدة تساؤلات لماذا ظهر هذا الاقتناع الكامل فى امانة النجمة ؟ ، ولماذا اظهر أفراد العينة هذا الأقتناع وهم قد تعودوا على الشك وعدم الثقة فى مجتمعهم الذى اشتهر بالمنافسة والانقسام ونقص الأخلاق ؟ ولماذا اعتقدوا أن دوافع هذه النجمة لا تصدر الجشع والطموح والاعتزاز بأصلها الطبقى ؟ وماهى اذن الأسس السيكوبسيولوجية التى يستند اليها هذا الأقتناع ؟ (١) ، ولقد عثر القائمون بالبحث على مفتاح للاجابة على هذه التساؤلات تمثل فى أحد النتائج التى توصلوا اليها والتى مفادها ان هناك نسبة كبيرة ممن اعتادوا سماع برنامج هذه النجمة كانوا مقتنعين بنزاهتها ووطنيتها وصمودها فى حملتها ، الأمر الذى دعم اقتناع الجمهور بأمانتها .

معنى هذا أن الاقتناع بأمانة النجمة ، يرجع الى عملها المتواصل وصمودها وتكريس وقتها كله للبرنامج ، ولتضحيتها . وهذه النتيجة الأخيرة التى مفادها ان الدعاية عن طريق العمل تفوق فى فعاليتها الدعاية عن طريق الكلمة . وهى نتيجة جديدة لم يأخذها اطار نظرية اقناع الجماهير فى اعتباره ، ولم يهتم بتحليلها ، الأمر الذى يمكن القول معه أن هذا البحث استطاع أن يعيد صياغة النظرية وأن يوسع من نطاقها عن طريق اقتراح متغيرات جديدة .

٣ — يسهم البحث فى اعادة تحديد محور اهتمام النظرية :

عندما يبتكر البحث أساليب واجراءات جديدة يستعين بها فى تجميع الوقائع وتحليلها ، فانه قد يتغير محور اهتمام النظرية نحو موضوعات لم تكن فى متناولنا قبل ذلك تثير الفروض الجديدة وتوجه البحث ثانية نحو

(1) Ibid. PP. 102-104.

مجالات مثمرة ، تزيد من جرائهـا وتتفق البيانات والوقائع ، حول هذه المحاور التى تغيرت نحوها النظرية .

والأمثلة على اسهام البحث فى تغيير محور اهتمام النظرية ، عديدة فى تراث علم الاجتماع نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ، ما ترتب على ابتكار أساليب تحليل المضمون والجداول والاستبارات المركزة وغيرها ، واستخدامها فى البحث وتراكم وقائع وبيانات كثيرة وجـديدة غيرت من اهتمام نظرية الدعاية ، نحو امكانية استخدام الدعاية كوسيلة للضبـط الاجتماعى والتحكم فى ظروف المجتمع العالمى المتغيرة بأنساقه الايديولوجية المتصارعه وتكنولوجيته الحديثة الخاصة بالاتصال بالجماهير واستخدامها كسلاح فى الحـرب الدائرة بينها . وماترتب على الاستفادة من الأساليب الاسقاطية الجديدة ، واختبـارات الرورشاخ وتفهم الموضوع وتكملـة القصة من وقائع وبيانات اعادة تحديد محور الاهتمام فى نظرية الطـابع وتكوين الشخصية ، فى علاقتها بالبناء الاجتماعى (١) .

وما ترتب على ابتكـار مورينـو للأساليب السـيومتريـة ، من أحياء الاهتمام بنظرية العلاقات الشخصية المتبادلة وتغيير محور اهتمام النظرية نحو الجماعات الأولية . والأبنية الاجتمـاعية غير الرسمية التى تتوسط بين الفرد والتنظيمات الرسمية الكبيرة والـذى وجد صدى واسع فى التراث المتعلق بدور الجماعة غير الـرسمية فى الأنساق الاجتماعيـة للمصنع مثلا ، أو فى البيروقراطية والتنظيمات السياسية . وما ترتـب كذلك ، عن استخدام الاستبار المتكـرر لنفس الجماعة ، من اعـــادة تحديد اهتمام علماء النفس الاجتماعى بنظرية تكوين الاتجاه واتخـــاذ القـرار ، والمشاركة السياسية ، وغيرها . ولكن مع كل هذه الأمثلـة التى توضح أثر البحث فى تغيير اهتمام النظريـة ، ينبغى الا يغيب عــن ذهننا أن هذا الأثر يتوقف على أن تكـون الوقائع السـيولوجيـة التى توصلنا اليها أساليب البحث الجديدة ، داخلة فى اطـار مقولات وثيقـة الصلة بالنظرية . وهذا ما يؤكده تالكوت بارسونز بقوله « ان الوقائـع الجديدة تكون لها اهمية ودلالة نظرية عندما يكـون بالامكان وضعهــا

---

(1) Ibid, PP. 105-106.

ضمن اطار من المقولات التحليلية . » الأمر الذى يعمل بدوره على تقدم النظرية . وذلك لأن أساليب البحث المبتكرة حديثا ، قد تصرف اهتمام النظرية عن القضايا وثيقة الصلة والتى لها اهمية من الناحيتين النظرية والانسانية ، اكثر مما تغير اهتمام للنظرية نحو المضامين المثمرة (١) .

٤ – يسهم البحث فى توضيح مفاهيم النظرية :

ينصرف أكبر جانب فى ذلك العمل الذى يعرف باسم التنظير نحو الاهتمام بتوضيح مفاهيم النظرية . ولكن بالرغم من ان موضوع المفاهيم المحددة بوضوح يحتل هذه الاهمية فى علم الاجتماع ، الا انه يؤخذ على كثير من البحوث فى هذا العلم ، أنها عنيت اساسا بتصميم البحوث وتناول العلاقات السببية بين المتغيرات ، وقل اهتمامها بعملية توضيح المتغيرات الجوهرية ، وتحليل المفاهيم فى ضوء عناصرها التصورية . وهذا الوضع ينطبق على بحوث (شابل) عن اثر مشروعات الاسكان على مستوى معيشة الأسرة ، وعلى التجارب السيكولوجية عن اثر الأسر البديلة على ذكاء الأطفال ، وغيرها . غير أنه يمكن للبحث الذى يتسم بالحساسية لمثل هذا المطلب أن يتجنب عدم الأهتمام بالمفاهيم ، ويعمل على تحديد المفاهيم والمتغيرات بالوضوح الكاف الذى يحتاجه تقدم البحث والنظرية . ويتحقق أسهام البحث فى توضيح مفاهيم النظرية عن طريق تحديد مؤشرات للمتغيرات موضوع الاهتمام فاذا نظرنا الى مفهومات مثل الروح المعنوية والتماسك الاجتماعى نجد انها فى حاجة الى توضيح ، اذا كان يجب على الباحث أن يجرى تحليلاته على أساس متسق تساعده على تحديد درجات الروح المعنوية العالية او المنخفضة ، والتماسك الاجتماعى او الانشقاق . ومن الطبيعى أن يلجأ هذا الباحث الى ابتكار المؤشرات التى يمكن على ضوئها ملاحظة او دراسة موضوعات الروح المعنوية أو التماسك الاجتماعى ، على أن تكون هذه المؤشرات دقيقة وواضحة . ولقد أدرك (دور كايم) الحاجة الى ابتكار مؤشرات لمفاهيمه ، برغم ما يقال عن مصطلحاته ومؤشراتها انها لم تكن ناضجة ومثيرة للخلاف . اذ نجده يصرح أكثر من مرة « أنه من الضرورى أن تبدل الحقيقة الداخلية التى يصعب ملاحظتها ، بحقيقة خارجية أخرى ترمز لها ، وأن تدرس الحقيقة الأولى من خلال الثانية ، وهكذا يقف

---

(1) Ibid, PP. 106-108

الاصطلاح المتصور والمؤشر عليه ، احدهما ازاء الآخر ، ويرتبطان على هذا النحو ، بحيث يعتبر المؤشر على حد تعبير (دور كايم) و (سوزان لانجر) Langer ، هو ذلك الجانب من موضوع معين والذى يسهل ادراكه اما الجانب الآخر فهو ذلك الجانب الذى يصعب ادراكه ، برغم انه وثيق الصلة بالجانب الأول (١) . وهناك مثال جوهرى يوضح لنا كيف ان البحث يسهم فى توضيح مفاهيم النظرية . ويستمد هذا المثال من تصور اساسى فى علم الاجتماع ، يقر أن للافراد ادواراً اجتماعية متعددة . وانهم يميلون الى ضبط سلوكهم على ضوء توقعات محددة بنائيا ، تخصص لكل دور منها . ويرتبط بهذا التصور ، تصوراً آخر مفاده أنه يزيد احساس الافراد بضغط الادوار الاجتماعية المتصارعة ، وخاصة فى المجتمع الاقل تكاملا . وهناك امثلة على هذه الأدوار المتصارعة لا حصر لها ، اذ يخضع الشيوعى الكاثوليكى لضغوط متعارضة من الحزب والكنيسة ، ويعانى الشخص الهامشى من ضغط الجماعات المتصارعة ، وتتمزق المراه العاملة بين مطالب الأسرة وضرورات المهنة . وبرغم أن هذه التصورات قد مر على كشفها عشرات السنين فى علم الاجتماع ، الا أن الاهتمام بها انحصر فى مجرد محاولة تفسيرها ، أو تقديم الحلول لها ، اذا اشار (توماس و زنانيكى) الى أنه يمكن التقليل من الصراع بين الأدوار الاجتماعية عن طريق تجزئة الدور أو تحديد مطالب كل دور صراحة . كما ذهب آخرون الى ان الصراع المستمر بين الأدوار يعد بمثابة عملية معوقة للمجتمع بمثل ما هى معوقة للفرد ، وهكذا لم ينصرف الاهتمام بمثل هذا التصور نحو تحديده بوضوح الأمر الذى يسهم بدوره فى حل كثير من المشاكل التى اثارها : مثل على أى أسس يمكن أن يتنبأ المرء بسلوك الشخص الذى يمارس أدواراً متصارعة ؟ وأى الأدوار يكون لها الأولوية عندما يتخذ قرارا ضروريا ؟ .. الخ . وهكذا تنبه الباحثون حديثا الى أن هذا التصور الأساسى فى علم الاجتماع ، يستلزم بذل الجهد من أجل اجراء التوضيح الاجرائى واللازم لمفاهيم : التضامن وصراع الدور ، والموقف ، .. فاندفعوا نحو البحث عن المؤشرات التى ترمز لهذه المفاهيم (٢) .

---

(1) Ibid. PP. 108-109.
(2) Ibid, PP. 109-110.

الفصل الثالث

توظيف البحوث العلمية الاجتماعية فى خدمة قضايا التنمية .

— تمهيد .

اولا : معنى التنمية الاجتماعية وأهدافها .

ثانيا : أهمية البحث العلمى فى التنمية .

ثالثا : معايير تحديد مجالات البحوث العلمية والأحصاءات الاجتماعية التى تخدم التنمية الاجتماعية .

رابعا : مجالات البحوث العلمية والأحصاءات الاجتماعية التى تخدم التنمية الاجتماعية فى البلاد العربية .

١ — مجالات البحوث العلمية والاحصاءات الاجتماعية فى المرحلة الأولى والمشكلات التى تثيرها .

٢ — مجالات البحوث والاحصاءات الاجتماعية فى المرحلة الثانية .

٣ — مجالات البحوث والاحصاءات فى المرحلة الثالثة .

الفصل الثالث

توظيف البحوث العلمية الاجتماعية فى خدمة قضايا التنمية *

تمهيد :

ينطلق هذا الفصل من محاولة الاجابة على تساؤل مؤداه ما هى مجالات البحث العلمى والاحصاءات التى تخدم أهداف التنمية الاجتماعية ؟ غير أننى أرى أن هناك مجموعة من التساؤلات يلزم الاجابة عليها تمهيدا لصياغة الاجابة المناسبة على هذا التساؤل من أهمها ، ما المقصود بالتنمية الاجتماعية ؟ وما هى أهداف التنمية الاجتماعية فى البلاد العربية ؟ وما أهمية البحث العلمى والاحصاءات التى تخدم أهداف التنمية ؟ أو بعبارة أخرى ما هى نتائج التجارب الانسانية السابقة التى يمكن أن نستخلص منها مجموعة المعايير والمحكات التى نستطيع أن نحدد على ضوئها مجالات معينة للبحث العلمى والاحصاءات التى تخدم أهداف التنمية الاجتماعية فى البلاد العربية ؟ . واستنادا الى كل هذه التساؤلات قسمت مقالى الى الموضوعات التالية :

أولا : معنى التنمية الاجتماعية وأهدافها .

ثانيا : أهمية البحث العلمى فى التنمية الاجتماعية .

ثالثا : معايير تحديد مجالات البحث العلمى والاحصاءات .

رابعا : مجالات البحوث العلمية والاحصاءات الاجتماعية التى تخدم التنمية الاجتماعية فى البلاد العربية .

أولا : معنى التنمية الاجتماعية واهدافها :

يتداخل مفهوم التنمية DEVELOPMENT مع عدد آخر من المفاهيم المتداولة فى تراث علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية الاخرى ، وخاصة مفاهيم النمو GROWTH والتحول TRANSFORMATION والتحديث مما أدى الى حدوث اللبس بين مدلولاتها ، واستخدام البعض واحد من هذه المفهومات بمعنى التنمية (١) ، الأمر الذى دعانى الى تحديد معنى التنمية من خلال توضيح الفرق بينها وبين هذه المفاهيم الأخرى . اذ يشير النمو الى الزيادة فى الانتاج أو المنتج ، بحيث يسهل تحديد النمو الاقتصادى ، مثل الزيادة فى الدخل التى يمكن ملاحظتها عبر فترة زمنية

---

* تأليف الدكتور على عبد الرازق جلبى .

معينة . كما يمكن تحديد النمو التعليمى على ضوء زيادة عدد الخريجين فى المستويات التعليمية المتباينة وفى تخصصات مختلفة ، وكذلك يمكن ادراك الازدهار الفنى والعلمى والايديولوجى والفلسفى وهكذا . فالنمو بمثابة عملية كمية ، تتراكم منها الثروة فى مجالات مختلفة .

والتحول عبارة عن عملية يعمل فيها التغير على اعادة تشكيل القيم السائدة ، والمفاهيم المستخدمة كاطارات مرجعية ، وكذلك تشكيل انماط جديدة للسلوك ، وهى عملية يمكن ملاحظتها فى مراحل تاريخية متباينة ، ومجالات مختلفة ، ومستويات مغايرة ، ذلك مثل التحول من نظام الانتاج الاقتصادى الذى يحقق الاكتفاء الذاتى ، الى نظام التبادل ، أو التحول الى زراعة المحاصيل ، أو التحول الى التعليم الالزامى . غير أن التحول ليس دائما عملية تغير من المجتمعات الأكثر الى الأقل تقليدية أو من أحد أنواع التقليدالى آخر .

أما التحديث فيتمثل فى عملية زيادة الانفتاح المجتمعى (والفردى) والمرونة والقدرة على حل المشاكل البالغة التعقيد . وكذلك التغلب على الصعوبات وعلى خلق الفرص الجديدة .

غير أن التنمية تختلف عن كل هذه العمليات السابقة . فى أنها تمثل عملية اعادة بناء وتركيب . وتنويع النشاط وتوسيع مجاله . وزيادة التخصص وترشيده . وتنسيق السلوك واضفاء طابعا نظاميا على أنواعه (٢) . كما تختلف التنمية عن العمليات السابقة فى أنها تنطوى على أهداف عامة تحدد للمجتمع . قد تعلى من شأن السعادة أو تزيد من فرص الحياة لكل أعضائه . وهذا يتطلب بدوره وعلى الأقل عدالة اجتماعية واقتصادية ، ورخاء وحرية سياسية وصحة وتعليم ... وما اليها . كما أن تحقيق هذه الأهداف يتطلب بناء يتسم بالمرونة ، بمعنى أن يتيح لكل أعضاء المجتمع فرصة متساوية فى الادراك والمطالبة والتمتع بأنصبتهم فى موارده على نحو فعال ... وعلى ضوء هذا التحديد لعملية التنمية ، يمكن القول بأنه ليس هناك مجتمع قد حقق التنمية بعد . وانما لا يزال العالم كله يمر بمرحلة تنمية طالما كانت التنمية عملية مستمرة باعتبارها تنطوى على هدف أو تحدد لنفسها حالة مثالية تتوق الى تحقيقها (٣) .

ولما كانت الايديولوجية هى فلسفة الغايات والأهداف التى يتـوق اليها المجتمع وترتبـط بالخير العام لأفـراده (٤) . فانه يمكن توضيـح المقصود بأهداف التنمية الاجتماعية وتباينها استنادا الى هذه الفلسفة . حيث تهدف التنمية فى المجتمعات التى تسودها الايديولوجية الرأسمالية الى التوسع فى انتاج السلع والخدمات الخـاصة ، ولا يجرى الاتجـاه الى تنمية السلع والخدمات العامة الا جزئيا . ويكون هدف الدولـة هو المحافظة على التوازن النسبى بين الفئـات والطبقات من أصحـاب المصالح الخاصة والمتعارضـة ، بما تتجه اليه من نـواحى الاصـلاح الاجتماعى ، بالحلول الجزئية والموضعية والوقتية المؤدية الى التخفيف من متاعب عدم الاستقرار الاقتصادى ودفع مخاطة الخلل الاجتماعـى دون احداث تغيرات جذرية فى العلاقات الاقتصادية الاجتماعية بالتدخل المباشر فى توزيع الملكية والثروة وتوزيع الدخول فى المجتمع تهدف التنمية فى المجتمعات التى تسودها الايديولوجية الاشتراكية الى الربط المتكامـل بين التوسع فى انتاج واستهـلاك السلع والخـدمات الخاصة ، وبين التوسع فى انتاج واستهلاك السلع والخدمات العامة . ويكـون هـدف الدولة هو احداث تغييرات جذرية فى البنيان الاقتصـادى والعـلاقات الاجتماعية والعمل على زيادة الثروة والانتاج واعادة توزيع الدخل .

وتهدف التنمية فى المجتمعـات النامية (العالم الثالث ومن بينهـا البلاد العربية) ، الى حل الكثير من المشكـلات التى يعانى منها السكان ، وخاصة ضآلة نصيب الفرد من الدخل القومى،وانخفاض مستوى الادخار والاستثمار ، وضعف الانتاج الصناعى بالنسبة لعدد السكان ، والحاجة الملحة الى تحسين طرق المواصلات ووسائـل النقل ، وتوفير القـوى المحركة ، وارتفاع نسبة القوى العاملة فى الزراعة ، مما أدى الى ضغط السكان على الاراضى الزراعية . ونقص مستوى التغذية بصفة عامة . وعدم كفاية الخدمات الاجتماعية لمواجهة حاجات السكان الأساسية (٦) أو بعبارة أخرى تهـدف التنمية الاجتماعية فى المجتمـات الناميـة الى مواجهة تحديات زيادة الانتاج ورفع مستوى المعيشة وارساء التنظيمات وغرس المبادىء الجديدة وتطبيق قواعد العدالة وتجـديد المجتمع على أساس التكنولوجيا الحديثة ، والتفكير العلمى ، وخلق المناخ الثقـافى

الايجابى الذى يساعد على مواجهة هذه التحـديات (٧) . اذن تعتبـر التنمية عملية تغيير جذرى يعيد بها الانسان بناء المجتمـع على ضـوء أهداف محددة تختلف من مجتمع لآخر ، باختلاف الايديولوجية التى يأخذ بها . وتستفيد كل المجتمعات بدرجات متفاوتة من نتائج البحـث العلمى الاجتماعى فى بلورة هذه الأهداف وفى وضع خطط ومشروعات التنمية ، وفى التنفيذ الفعلى لهذه الخطط والمشروعات وفى تقييم هذه الخطط (٨) .

ثانيا : أهمية البحث العلمى فى التنمية :

تعلق كافة الدول على البحث العلمى اهمية كبيرة الى الدرجة التى تميز معها بالخطورة ، واضحى عنوانا للحقبة التى نعيشها ولا يفـوته فى هذه الحقبة عمل آخر فى الأهمية والخطورة . غير أن اهمية وخطـورة البحث العلمى فى البلاد المتقدمة تختلف عنها فى البلاد النامية . اذ يندفع العمل فى ميادين البحث العلمى فى البلاد المتقدمة بقوة ، ويتصف بالمثابرة عليه والانصراف اليه ، ومن أولى الدوافع الى ذلك ، توافر الرغبة فى تلك البلاد ونمو التجربة فى أن تقوم مؤسسـات البحث العلمى لديها باجراء البحوث والدراسات التى تفيد فى حل المشاكـل العلمية والفنيـة التى تعترض سير الخطط وتصميم وتنفيذ مشروعات التنمية . وعلى الرغم من أن المراحل التى تجتازها كثير من البلاد النامية ؛ ومحور التفكير الحـالى فيها وانشغال الرأى والحكم قد ادت الى أن لا يلقى البحـث العلمى من الاسبقية والاهمية ما يتمتع به فى البلاد المتقدمة ، الا أن حاجة البلـدان التى بدات تنشغل بالأخذ بأسباب التقدم والتنمية الى البحـث العلمى يفوق غيرها من البلاد . لأنه يخدم هذه البلدان النامية خدمـات جليلة . اذ تقوم مؤسساته بتكوين كادرات متنوعة فى مجالات العلم والتكنولوجيا وتوفر احتياطيا علميا ، أو بعبارة أخرى أن البحث العلمى هو السبيـل الى قيام طبقة من العلماء والخبراء المدربين ، تكـون فى النهاية المرجـع الذى يستعان به عند مواجهة المشكلات ، والمـلاذ الأخير فيما يواجـه التخطيط والصناعة والانتاج والمشروعات من عقبات (٩) ، وتلعب دورا بالغ الأهمية فى قيادة حركة المجتمع نحو تحقيق أهداف التنمية .

ومع ادراك هذه الأهمية والخطورة للبحث العلمى فى عملية التنمية ، ووضوحها ، الا انه لا يزال هناك خلاف حول امكانية الاستفـادة منه فى

برامجها . اذ يرفض البعض الاستعانة بالبحث العلمى ، نتيجة لعدم ايمانهم بجدواه فى شئون المجتمع ، وعادة ما يظهر هذا الرفض بين كبار الموظفين الذين تدرجوا فى مسئوليات الادارة ، واكتسبوا خبرات عملية يعتزون بها،ولايثقون فى سواها وخاصة ماياتى عن طريق العلماء او الباحثين . ذلك لأنهم يرون أن ظواهر المجتمع ليست فى حاجة الى بحث ، وأن كل شيء واضح ، ولم يعد هناك ما يكتشف عن طريق الخبرة والتمرس بالعمل . ومن هنا كان الباحث الذى يتمتع بمركز اكاديمى عندما يشارك فى العمل الاجتماعى يحتل مركزا صعبا ودقيقا ، لأنه لا يحظى بالتقدير المهنى الكبير ، وقد ينزعج زملاؤه الأكثر تصميما على اصدار تشريع أو انجاز مشروع معين ، من أسلوبه العلمى الخاص فى رؤية الأشياء ويزيد الأمر صعوبة عندما يحرمه نقص المعلومات عن المجتمع من الأدلة التى يستند اليها فى الدفاع عن وجهة نظره وفى مقابل رفض البعض الاستعانة بالبحث العلمى ، نجد آخرين يرفضون العمل والحركة فى المجال الاجتماعى الا على اساس من البحث العلمى والدراسة الموضوعية الهادفة ، ايمانا منهم بأنه على ضوء البيانات الدقيقة والحقائق العلمية التى يجمعها الباحثون عن امكانيات المجتمع واحتياجاته يمكن رسم السياسة الاجتماعية ووضع الخطط لتنفيذها على أساس واضح (١٠) ولعل هذا التباين فى الرأى حول امكانية الاستفادة من البحث العلمى فى التنمية يعكس المواقف المتباينة التى يتخذها الباحثون أنفسهم من مسائل السياسة العملية ، والى نظرتهم الشخصية الى امكانية قيام تعاون بينهم وبين رجال التخطيط والتنفيذ . اذ يرى بعض الباحثين أن تقتصر جهودهم على تناول الجوانب النظرية التى تستهدف تقديم اضافات مبتكرة الى العلم دون النظر الى ما قد يترتب على بحوثهم من تطبيقات عملية . لأن العلم فى نظرهم لا يحقق تقدما ملموسا الا اذا كانت أهدافه مجردة ، وكلما بعد الباحث العلمى عن مشكلات السياسة العملية كانت الحقائق التى يتوصل اليها اكثر صدقا وموضوعية .

غير أن هناك فريقا آخر من الباحثين يرى أن أهمية العلم تبدو من خلال تطبيقاته العملية ، والاستفادة من نتائجه فى التنفيذ . لأن القيمة

الحقيقية للعلم تبدو من خلال مساهمته فى حل مشكلات الحياة الواقعية ثم أن البحث التطبيقى قد يكشف عن معلومات وبيانات وحقائق لم يسبق للبحث العلمى النظرى اكتشافها والوصول اليها (١١) .

والرأى المرجح فى هذا الصدد أن البحث العلمى يفقد أهميته بالنسبة للتنمية اذا كان هناك خلاف فى امكانية الاستفادة به بين الباحثين من ناحية وبين المسئولين عن التنفيذ من ناحية أخرى فلا قيمة لبحوث علمية تدرك مسئولية المساهمة فى وضع الخطط والمشروعات والكشف عن عقبات تنفيذها ، وتقويم برامجها بما يخدم أهداف التنمية الاجتماعية ، بدون أى تقدير من جانب المسئولين عن التنفيذ لهذه المساهمة وتوفير المناخ الملائم لتحقيقها وازالة العقبات التى تواجهها ، كما أنه لا قيمة لرغبة المسئولين عن التنفيذ فى الاستفادة من البحث العلمى وتوفير الامكانيات اللازمة له ، مع وجود باحثين لا يدركون وظيفتهم الاجتماعية ، ولا يقدرون مسئولياتهم تجاه بلادهم ويكتفون بمجرد تقديم الاضافات المبتكرة الى العلم دون النظر الى ما قد يترتب عليها من تطبيقات عملية .

ثالثا : معايير تحديد مجالات البحوث العملية والاحصاءات الاجتماعية التى تخدم التنمية الاجتماعية :

تعتمد عملية التنمية الاجتماعية على الأهداف التى يحددها كل مجتمع لنفسه ومن ثم تختلف باختلاف هذه الأهداف وباختلاف الاطار الايديولوجى الذى تنبع منه .

ولقد اتضح الاختلاف فى تقدير قيمة البحث العلمى الاجتماعى فى عملية التنمية ، ودرجة الأهمية التى تعلق عليه ، باختلاف هذه الأهداف ايضا . فهل ينعكس هذا الاختلاف أيضا على المهام التى يضطلع بها البحث العلمى فى البلدان المختلفة طالما أنه يتسق والأهداف التى ترسم له والخطط والمناهج التى توضع فى كل بلد ؟ وهل يقع التفاوت أيضا فى أهدافه مع اختلاف المراحل التى تمر بها عملية التنمية الاجتماعية ذاتها ؟ واذا كنت أعتقد أن الاجابة على هذه التساؤلات يمكن أن تلقى الضوء على المعايير التى تساعدنا على تحديد مجالات البحث العلمى

والاحصاءات التى تخدم أهداف التنمية الاجتماعية فى البلدان النامية . ومنها البلاد العربية . فان الاسترشاد بالتجارب الانسانية السابقة فى عملية التنمية الاجتماعية للبلدان المختلفة التى سبقتنا فى هذا الصدد ، أمر لا مفر منه لاستخلاص النتائج التى تجيب على هذه التساؤلات وتضع أيدينا على المحكات والمعايير التى تهدف الى الكشف عنها .

والبحث عن التجارب السابقة فى عملية التنمية الاجتماعية يدور فى نطاق العلم الذى يضطلع بمهمة البحث الاجتماعى ولا يخرج على حدوده ، ونعنى به علم الاجتماع . ويمكن لكل من يحاول تتبع حركة علم الاجتماع ونموه وتطوره ، أن يلاحظ انقسام هذا العلم بعد سان سيمون الى اتجاهين أساسيين يتمايز كل منهما عن الآخر من الناحيتين البنائية والنظرية ، يتمثل الاتجاه الأول فى علم الاجتماع عند كارل ماركس أو الماركسية ، ثم علم الاجتماع الماركسى بعد ذلك الذى حقق نجاحا ضخما فى أوروبا الشرقية — ويشير الاتجاه الثانى الى برنامج أوجست كومت الخاص بانشاء علم الاجتماع الخالص ، الذى تمثل بعد ذلك فى علم الاجتماع الاكاديمى والجامعى الذى تبلور فيما بعد فى الاتجاه الوظيفى كما يرمز اليه بأعمال تالكوت بارسونز ، والذى حقق تطورا ورواجا هائلين فى الولايات المتحدة (١٢) . واضحى هذان الاتجاهان يمثلان تصوران يخالفان بعضهما على خط مستقيم (١٣) . واخذ يوجهان حركة البحث العلمى الاجتماعى على نحو يخدم اهداف التنمية الاجتماعية النابعة من الايديولوجية — التى سادت فى كل بلد من البلاد السابقة . اذ كان ينظر الى المادية التاريخية على أنها ذلك الجانب من الماركسية الذى يمثل نظرية سسيولوجية ومنهج حى فى تحليل الواقع الاجتماعى والمتغير دائما (١٤) . ومن ناحية أخرى كان وجود نظرية واحدة وتصور مشترك يوجه عمليات البحث فى علم الاجتماع الغربى الذى تمتد بدايته الى أوجست كومت فى القرن التاسع عشر ، لم يتحقق الا بعد نهاية الثلاثينات وبداية الاربعينات من القرن الحالى ، وذلك عندما اخذت أفكار بارسونز تنتشر فى الجامعات الامريكية وأقسام علم الاجتماع بها . كبناء لنظرية فريدة فى علم الاجتماع الغربى ، يأخذ مفهوم النسق الاجتماعى

صفة جوهرية فيها كأداة تصورية لفهم الواقــع الاجتماعى ويركــز على حالة التوازن داخله (١٥) . ولم يكن انتشار هذه الاتجــاهات النظرية ــ المادية التاريخية عند ماركس والوظيفية البنائية عند بارسونز ، راجعــا الى الصدفة ، وانما الى ارتباط كل منها بحركة ثقافية فكرية معينة دون غيرها . اذ ارتبط الاتجاه الأول منذ البداية بالحركة الثقافية والفكــرية التى عملت من اجل الجماعات المناضلة والجماعات الدنيــا التى كانــت بطبيعتها ثائرة على المجتمع البورجوازى الذى رفضهم . أما الاتجـــاه الثانى فقد ارتبط بفكر الاكاديميين فى الجامعات الذين كانوا يعملــون على تدعيم الطبقة الوسطى ، والذيــن انحصــر نشاطهم فى الاصــلاح دون الثورة (١٦) . اذن كان علم الاجتماع منذ نشأته واضطلاعه بمهمة البحث الاجتماعى متأثرا بالايديولوجية السائــدة . وبدا وكأنه لم يستطــع أن يتجنب المساس بالايديولوجية ، كما أن الايديــولوجية لم تستطــع هى الأخرى أن تتجنب المساس بمادة ومحتوى هذا العلم الاجتماعى وكذلــك بمناهجه ، وأصبح من غير المستطاع تفادى الارتباط المباشر بينهما (١٧) .

وهنا يمكن أن نشير الى اعتماد لينين على الماركسية عامة والمادية التاريخية خاصة فى اجراء تحليل متميز للبناء الاجتماعى للمجتمع الروسى فى نهاية القرن التاسع عشر . وذلك انطلاقا من حاجة المجتمع الروسى فى ذلك الوقت الى حل المشاكل الناشئة عن هدم النسق الاجتمـــاعى القائم واقامة انساق اجتماعية جديدة ، ومن الايمان بأنه من غير الممكــن بدون الاعتماد على العلم والبيانات العلمية الموضوعية المتحقــق منهــا والدقيقة حل هذه المشاكل . وذلك أيضا تنفيذا لقرار انشاء الاكاديميــة الاشتراكية للعلوم الاجتمــاعية بعد مايو عام ١٩١٨ ، والذى أشار الى ضرورة اجراء سلسلة من البحوث الاجتماعية متركزة فى مجالات الصراع الاجتماعى والتغير الاجتماعى ومشكلاته (١٨) .

كما يمكن ان نشير من ناحية أخــرى الى اعتماد علم الاجتمـــاع الامريكى على الاتجاه البنائى الوظيفى فى توجيه حركة البحث الاجتماعى خلال فترة امتدت من نهاية الاربعينات الى بداية ستينات القرن الحالى ، ولذلك انحصر اهتمام البحث فى دراسة دور القيم الاخــلاقية وتفســير

المشاكل الاجتماعية بارجاعها الى انهيار نسق القيم والعيوب فى عملية التنشئة الاجتماعية ، وكذلك فى تحليل الميكانيزمات التلقائية التى تحافظ على النظام فى المجتمع ، وتناول الضبط الاجتماعى والاهتمام بعملية التكيف مع الوضع القائم (١٩) .

ولو ألقينا نظرة سريعة من ناحية ثالثة على محتويات بعض مؤلفات علم الاجتماع فى أحد بلاد أوروبا الشرقية ، وأمريكا ، لا تضح لنا الاختلاف فى مجالات البحث الاجتماعى بين هذه البلاد باختلاف أهداف التنمية والايديولوجية . اذ يتضمن كتاب ليونارد بروم وفيليب سيلزنيك عن علم الاجتماع ، حصر عناصر التحليل السوسيولوجى ، فى التنظيم الاجتماعى والثقافة والتنشئة الاجتماعية والجماعة الأولية ، والتدرج الاجتماعى والروابط والسلوك الجمعى والسكان والايكولوجيا والأسرة والدين والتعليم والاقليات والجريمة . أما كتاب انتى فيامينجو عن أسس علم الاجتماع العام فيتضمن الاشارة الى بناء وديالكتيك قوى الانتاج وعلاقات الانتاج والمجتمع باعتباره كلية وتفسير البنائين الفوقى والتحتى ، وبناء نمو الوعى الاجتماعى وبناء نمو التكوينات الاقتصادية — الاجتماعية الخاصة والقوى المحركة وشرعية التطور الاجتماعى . يؤكد اذن المؤلف الأول على الجوانب الثابتة للظواهر الاجتماعية وخاصة الثقافة والتنشئة الاجتماعية ، بينما يؤكد المؤلف الثانى على الجوانب الدينامية منها وخاصة التغير الاجتماعى . وهذا الاختلاف فى تأكيد مجالات البحث دون غيرها يرجع الى أن المشتغلين بدراسة الانسان والمجتمع ، يأخذون بالسياسات الموضوعة ويطبقونها ، ولا يستطيع علماء الاجتماع تجنب مشكلة القيم الاجتماعية فى أعمالهم (٢٠) . ومعنى هذا أن الايديولوجية ترسم الحدود للعلماء وتجعلهم يتجهون نحو دراسة جوانب معينة من الواقع الاجتماعى دون غيرها (٢١) . وتقف بمثابة معيار تحدد على ضوئه مجالات البحث العلمى التى تخدم أهداف التنمية . والسؤال الذى يثار هنا ، هل ظلت الايديولوجية تلعب هذا الدور ، مع التغير الذى طرأ على علم الاجتماع باعتباره العلم الذى يضطلع بمهمة البحث الاجتماعى ؟ أم ظهرت فى هذا الصدد معايير أخرى تحدد مجالات للبحث الاجتماعى والاحصاءات التى تخدم أهداف التنمية الاجتماعية ؟

لقد طرأ على علم الاجتماع وبالتالى على الاتجاهات الاساسية داخله ، تغيرات هامة نتيجة لتأثير بعض القوى الاجتماعية الهائلة والمصاحبة ، وليس فقط نتيجة لتراكم نتائج البحوث الامبيريقية على النحو الذى يشير اليه المنهج التقليدى . ولم يلاحظ التغير الذى طرأ على علم الاجتماع الماركسى الا بعد عقد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى السوفيتى عام ١٩٥٦ . حيث بدأت تظهر الحاجة الى تصور نظرى جديد يوجه البحث الاجتماعى نحو دراسة الميكانيزمات التى تؤدى الى الثبات الاجتماعى والنظام وذلك من أجل المحافظة على المنجزات التى حققتها الانساق الجديدة . وظهرت مجالات جديدة للبحث ، مثل التدرج الاجتماعى والتنظيمات والسكان ووسائل الاتصال .. لم يكن الاهتمام منصرفا اليها فى الفترة السابقة ، على أن هذا التغير فى مجالات البحث لم يكن ناتجا عن اتجاه يناهض الاشتراكية والحزبية ، لأنه صدر عن توجيه من القيادة العليا للاحزاب الشيوعية وتوصيات مؤتمراتها ، تلبية لوجهات النظر الجديدة والافكار النامية فى المجال السياسى أو بعبارة مختصرة عن الافكار الايديولوجية الناشئة (٢٢) . كما أنه لم يلاحظ التغير الذى طرأ على علم الاجتماع الامريكى الغربى الا مع حلول الستينات وبعد أن وقعت احداث هامة وتغيرات داخل وخارج الولايات المتحدة ، مثل تضخم قوة السود ونشوب ثورة الحقوق المدنية .. (٢٣) وهنا بدأت تظهر الحاجة الى تصور نظرى جديد يوجه البحث السسيولوجى فى هذه المرحلة نحو الاهتمام بالكيفية التى تتغير بها الظروف الراهنة الى ما هو افضل والمعاونة فى التغلب على المشاكل القومية والمعترف بها والمعلن عنها ، وعلى التوترات الاجتماعية والصراعات بطريقة منسقة ، ونحو كيفية أحداث اصلاحات اجتماعية عن طريق التغيير المخطط والمعتمد لمواجهة الضغط الذى تمارسه الطبقات الاجتماعية المحرومة نسبيا مثل السود والعمال ، وتحديد كيفية توسيع نطاق القوى الامريكية فى الخارج ، والتفوق على الاتحاد السوفيتى فى التحكم وتوجيه حالة التصنيع فى بلاد العالم الثالث وكسب تأييد القوى الرئيسية التى تمتعت بها بعض هذه البلاد (٢٤) .

معنى هذا انه ظهرت مجالات جديدة للبحث الاجتماعى لم تكن موضع اهتمام فى الفترة السابقة ، مثل التغير الاجتماعى . والمشاكل القومية والتوترات الاجتماعية ، والصراع الاجتماعى ، والتغيير المخطط ، والطبقات الاجتماعية والعلاقات الدولية ، وغيرها . ولكن هذا التغير كان تلبية لوجهات النظر الجديدة والافكار النامية وعن ازدهار ونمو دولة الرفاهية بما لها من حاجات ومسلمات تختلف عن المسلمات والافكار والايديولوجيات السابقة على هذه الدولة .

يتضح اذن أن الايديولوجية واهداف التنمية ظلت تلعب دورها فى تحديد مجالات البحث الاجتماعى والاحصاءات التى تخدم عملية التنمية الاجتماعية برغم التغيرات التى طرأت على علم الاجتماع باعتباره العلم الذى يضطلع بمهمة البحث الاجتماعى ، واذا كنا بصدد تحديد مجالات البحث العلمى الاجتماعى والاحصاءات التى تخدم عملية التنمية الاجتماعية فى البلاد العربية ، فان حصيلة تجارب التنمية الانسانية تشير علينا أن نحتكم الى الايديولوجية التى تستند اليها برامج وخطط التنمية فى هذه البلاد والى الاهداف التى تتوق اليها وبرغم ما قد يواجهنا من صعوبات التعرف على ابعاد الايديولوجيات المعلنة أو غير المعانة للكثير من هذه البلاد وكذلك صعوبات التباين بين هذه البلاد فيما تعتبره ايديولوجية خاصة بها كما أن هذه البلاد ليست فى مستوى واحد ، لا فى درجة تبينها لفكرة التنمية ، ولا فى ممارستها ، ولا فى السعى اليها ولا فى القدرة عليها ، فأنه بالامكان تحديد بعض الاهداف التى تشترك فيها معظم البلاد العربية باعتبارها أولا تتميز بوجود عوامل نوعية من اهمها اتضاح الشعور بالاشتراك فى المصير واتساع دائرة النفوس التى يمسها هذا الشعور بجذوته (٢٦) . وباعتبارها ثانيا جزءا واحدا من مكونات ما يعرف بدول العالم الثالث . وتتلخص هذه الاهداف فيما يلى :

١ — اعادة النظر فى بناء السكان والتحكم فى عوامل تغيره . حيث أن تزايد السكان بالنسبة الى الأراضى الزراعية فى بلد مثل مصر ، يعرقل برامج التنمية الاجتماعية فيها .

وذلك فى الوقت الذى تشكل قلة السكان فى بلاد مثل السودان والعراق والسعودية عقبة أمام التنمية (٢٧) .

٢ ـــ اعادة بناء المجتمعات الريفية ، ذلك لأن الأمة العربية مازالت أمة زراعية ، ومازال غالبية مجتمعاتها ريفية من حيث عدد السكان ومن حيث المساحات التى تشغلها ، وفرص العمالة وطاقة الانتاج وارتفاع نسبة القوى العاملة فى الزراعة مما أدى الى ضغط السكان على الأرض الزراعية ، وقل نصيب الفرد من الدخل القومى (٢٨) .

٣ ـــ اعادة تنظيم المشروعات الصناعية . اذ أنه برغم الجهود المبذولة فى التصنيع واقامة الصناعات الجديدة والاستفادة بالتقدم التكنولوجى الا أنه يلاحظ ضعف الانتاج الصناعى على نحو لا يحقق الحاجات المتزايدة عليه .

رابعا : مجالات البحوث العلمية والاحصاءات الاجتماعية التى تخدم التنمية الاجتماعية فى البلاد العربية

اذا كانت مجالات البحث العلمى والاحصاءات التى تخدم التنمية الاجتماعية فى البلاد العربية تنحصر فى الاطار الذى يضم الاهداف المشار اليها سلفا ، فان السؤال الذى يثار هنا : ما هى مجالات البحوث العلمية والاحصاءات الاجتماعية التى يستلزم الاهتمام بها فى كل مرحلة من مراحل عملية التنمية الاجتماعية والتى لا تخرج عن اطار الاهداف المذكورة ؟ وما هى المشكلات المنهجية التى تطرحها دراسة هذه المجالات فى كل مرحلة ؟ وخاصة وأن التنمية الاجتماعية تستلزم اجراء دراسات بحوث علمية وذلك فى أثناء مرحلة بلورة أهدافها بناء على دراسة الواقع الاجتماعى وتقدير ما يتطلبه من حاجات وما يتوافر فيه من امكانيات ، وترجمة هذه الأهداف الى مشروعات وخطط . كما أنها تحتاج أيضا الى اجراء بحوث علمية اثناء مرحلة تنفيذ المشروعات وتطبيق الخطط لرصد المشكلات التى تواجهها والكشف عن العقبات التى تعترضها ، كما أنها تتطلب اجراء بحوث علمية أخرى أثناء مرحلة الانتهاء من المشروعات ووضع الخطط موضع التنفيذ ، من أجل تقييم نتائج هذه المشروعات على ضوء الأهداف المتوقعة منها وتحديد ايجابياتها وسلبياتها .

(١) مجالات البحوث العلمية والاحصاءات الاجتماعية فى المرحلة الاولى والمشكلات التى تثيرها :

من الواجب علينا أن نتنبه قبل الاشارة الى مجالات البحوث العلمية الى ضرورة توفير المتخصصين فى مجالات البحوث العلمية والاحصاءات الاجتماعية من ذوى الكفاءات العلمية والخبرة العلمية فى التخطيط للبحث وتصميمه وجمع البيانات وتبويبها ومعالجتها ، وصياغة التقارير وكذلك تدعيم مراكز البحث بما يحتاجه من امكانيات ومعدات واجهزة ، ومخصصات مالية للانفاق على هذه العمليات .

ولما كانت مجالات البحوث العلمية والاحصاءات الاجتماعية فى المرحلة الأولى تهدف الى التعرف على الواقع الاجتماعى وتصوير البناء الديموجرافى وتحديد معالم البناء الاجتماعى للمجتمعات الريفية والتنظيمات الصناعية للوقوف على امكانياتها واحتياجاتها باعتبارها دعائم فى وضع خطط ومشروعات التنمية . فان المجالات الفرعية للبحوث العلمية والاحصاءات تتضح على النحو التالى :

(أ) لكى نخرج بصورة واضحة عن البناء الديموجرافى للمجتمع ، يستلزم الأمر دراسة حجم السكان وتحديد عددهم ، وتركيب السكان أو خصائصهم من فئات العمر والنوع والدين ، والزواج ، ومستويات التعليم وتوزيع السكان على الريف والحضر وما اليها . كما يتطلب الأمر دراسة عوامل تغير السكان من مواليد ووفيات وهجرة بحيث تهتم بدراسة نوع المواليد والتعرف على معدل الخصوبة . ونسب المتزوجين بأكثر من واحدة . وترتيب الفرد فى الأسرة وتصنيف الوفيات حسب السن والنوع وسبب الوفاة (٢٩) ، وتحليل الهجرة بأنواعها داخلية وخارجية . وتحديد مناطق الجذب والطرد للسكان والقاء الضوء على عوامل الهجرة . ولا يمكن انكار الحاجة الى دراسة القوى العاملة ، والموارد البشرية والعمالة وغيرها ، من موضوعات نحدد على ضوئها نسبة المعتمدين وهم الأشخاص تحت سن ١٦ سنة أو فوق سن ٦٥ سنة أو افراد الجماعة غير المنتجة اقتصاديا . والى أى حد تشكل عبئا على بقية أفراد القوى العاملة فى المجتمع والتى تقوم بشغل وظائف على

المستويات المتباينة فى الدولة وفى المجالات والتخصصات المختلفة (٣٠) ومعرفة نوعية التخصصات والكفاءات الموجودة فى اختيار المشروعات المناسبة لها . كما لا يصح أن نغفل دراسة متغيرات سكانية وظروف من اهمها التعليم والصحة والاسكان والخدمات الاجتماعية . وان نوفر احصاءات عن عدد المدارس والفصول والطلبة فى كل مرحلة تعليمية وعدد المدرسين ومؤهلاتهم ومستوياتهم العلمية . وكذلك عدد المستشفيات والأسرة ، وعدد المرضى مقسمين حسب السن والنوع ، وعدد الاطباء ومساعديهم المرضين والمرضات والأجهزة الطبية المتوافرة ، وكذلك عدد الوحدات السكنية ، وتقسيمها حسب المستويات الاقتصادية وعدد الافراد فى كل وحدة سكنية ، وكذلك معرفة عدد مراكز الخدمة أو المؤسسات فى مجالات رعاية الطفولة والشباب والمسنين وذوى العاهات والوحدات المجمعة والجمعيات التعاونية الزراعية وغيرها (٣١) .

غير أن توفير صورة البناء الديموجرافى من خلال التركيز على الامكانيات والاحتياجات كخطوة سابقة على وضع مشروعات التنمية ، من خلال دراسة هذه المجالات يثير الكثير من المشكلات . اذ يعتمد الباحثون فى الوصول الى الاحصاءات الاجتماعية عن هذه الموضوعات ، على مصادر متعددة ، من اهمها التعداد ، والاحصاءات الحيوية والبحوث أو الاستقصاءات . ويقصد بالتعداد عد جميع السكان أو الأشخاص على قيد الحياة فى وقت واحد تقريبا . أما الاحصاءات الحيوية ، فهى عملية تسجيل للأحداث الحيوية ، التى تقع خلال سنة ميلادية من مواليد ووفيات وهجرة وحالات الزواج والطلاق وقت حدوثها . أما البحوث والاستقصاءات والتى تصمم للحصول على معلومات محدودة . قد ينحصر اغلبها فى سد النقص فى الاحصاءات والبيانات التى يوفرها التعداد والتسجيل الحيوى ، وان كان التعداد هو أفضل مصدر للحصول على الاحصاءات الاجتماعية ، الا أنه يلاحظ أن الأرقام التى يصل اليها قد تخضع جزئيا لظروف التحريف والبعد عن الدقة ، لأن هناك بعض طوائف من الناس قد تستبعد من مجال التعداد . أو قد يصعب عد بعض الطوائف الأخرى بالاجراءات العادية بدون اتخاذ احتياطات خاصة .

كما أن حصر الخصائص الشخصية من سن ونوع وميلاد وظروف معيشة وغيرها ، يواجه ببعض الصعوبات ، اذ يصعب وضع الناس فى فئات معينة ، أو يصعب تبويب النشاط الاقتصادى لبعضهم ، وقد يكون تقرير سن الشخص عادة موضع شك ، فقد يدلى الناس باجابات متناقضة فيما يتعلق بأعمارهم . والخلاصة ان الاحصاءات الاجتماعية التى تجمع عن طريق التعداد قد لاتخلو من غموض وابهام . وتواجه كذلك الاحصاءات الاجتماعية التى يوفرها التسجيل الحيوى ببعض الصعوبات ، اذ يصعب على القائمين بالتسجيل اتباع تعليمات نظام التسجيل كاملة ، وقد تختلف البيانات التى يدلى بها نتيجة للحصول عليها من اناس ليس لهم علاقة مباشرة بالوقائع التى يتم تسجيلها ، فالوفاة مثلا تبلغ من شخص غير المتوفى . كما قد لا يكون هناك حافز كبير للأدلاء ببيان دقيق عن هذه الوفيات . ويصعب من ناحية أخرى معالجة مفهوم المولود الحى ، فقد يترتب على ذلك نوعا من الخلط بين المولود الحى والمولود الميت . ونتيجة لكل هذه الصعوبات والادلاء غير الصحيح بالبيانات يحدث الغموض ويتأخر التسجيل الى العام التالى وتفسد الاحصاءات فى العامين . وقد تظهر أيضا صعوبات اخرى فى عملية التسجيل الحيوى نتيجة لاستبعاد اجزاء هامة من المجتمع كأمر ناجم عن احتمال تعميم عملية تسجيل الأحداث الحيوية فى قطاعات المجتمع بأكمله أو قد يكون هناك تراخى فى تنفيذ قوانين التسجيل فتحذف بعضها ، ويختلف الحذف باختلاف نوع الوقائع ، اذ يكون تسجيل المواليد اكثر دقة واستكمالا من تسجيل الوفيات ، والأخيرة أكثر دقة من تسجيل الزواج والطلاق والهجرة وهكذا ، كما تتعرض الاحصاءات الناجمة عن التسجيل الحيوى لاخطاء أخرى ناجمة عن الاهمال فى التبليغ أو تأخر التسجيل عن وقته المحدد ، والتسجيل فى أكثر من مكان وهكذا (٣٢) .

ومن الجدير بالذكر أن الاحصاءات الاجتماعية والحقائق التى يوفرها التعداد والتسجيل الحيوى فى حد ذاتها لا تعطى الصورة المطلوبة عن البناء الديموجرافى ، وانما يستقى منها الباحثون المادة الخام التى يجرون عليها تحليلاتهم لاستخلاص النتائج التى تلقى الضوء على هذا

البناء الديموجرافى ، فقد يقوم الباحث برسم هرم سكانى بناء على بيانات التعداد المتعلقة بالسن والنوع لتحديد التركيب النوعى والعمرى للسكان ، وهو يتيح عدة اجراءات منهجية للوصول الى صورة هذا الهرم ، التى يستطيع فى ضوئه أن يقارن بين تركيب السكان فى مجتمعه والمجتمعات الأخرى ويستخلص مجموعة من النتائج التى تدل على طبيعة تركيب السكان وامكانياته وحدوده وقد يقوم الباحث أيضا بوضع رسوم بيانية عن جوانب أخرى من البناء الديموجرافى كأن يوضح مثلا التركيب المهنى أو توزيع السكان على الريف والحضر أو ما اليها . أما البحوث والاستقصاءات التى تجرى لسد النقص فى بيانات التعداد والتسجيل الحيوى ، فهى مثلا تحديد العلاقات بين مكونات البناء الديموجرافى ، بين التركيب العمرى وتوزيع السكان على الريف والحضر . وبين التركيب النوعى وهذا التوزيع ، وبين التركيب التعليمى والتوزيع السابق ، وهكذا . وتثير هذه البحوث مشكلات من نوع آخر ، سنشير اليها بعد تناول المجالات الأخرى للبحوث المتعلقة بالسكان . فلا تقتصر دراسة السكان لتحديد الامكانيات والاحتياجات فى الوضع الراهن للواقع الاجتماعى على دراسة البناء الديموجرافى قبل البدء فى وضع المشروعات ورسم الخطط ، انما يتطلب الأمر دراسة تغير هذا البناء من حيث التعرف على العوامل التى تؤثر فى هذا التغير وهل يسير اتجاه التغير نحو الزيادة او النقص فى عدد السكان ومتابعتهم ، وتحديد فعالية كل عامل من عوامل التغيير مثل المواليد والوفيات والهجرة وكذلك التعرف على آثار التغير فى بناء السكان ، وذلك أيضا من خلال الاعتماد أما على الاحصاءات الاجتماعية التى يوفرها التعداد أو على تلك التى يوفرها التسجيل الحيوى أو تلك التى يتوصل اليها من خلال البحوث والاستقصاءات .

ذلك لأن معرفة اتجاهات التغير هى بناء السكان على مقارنة الوضع الراهن لحجم السكان بما كان عليه فى فترات تاريخية سابقة ، أمر لاغنى عنه فى وضع المشروعات ورسم الخطط التى تعالج هذه الاتجاهات فى تغير السكان بما يتفق مع الموارد الموجودة ووسائل العيش حتى يترتب على تجاهلها الكثير من المشكلات الاجتماعية من مجاعات

وأزمات اقتصادية ، كما أن الوقوف على فعالية كل عامل من عوامل تغير بناء السكان ودرجته . ضرورى لوضع خطة التحكم فى هذه العوامل، وكذلك معرفة آثار التغير فى بناء السكان أمر نحتاجه قبل الاتفاق على الخطط والمشروعات التى تلزم للتغلب على الآثار السلبية لهذا التغير أو لتدعيم الآثار الايجابية له . غير أن دراسة هذه الموضوعات تثير بدورها مجموعة أخرى من الصعوبات والمشكلات . فى مقدمتها قضية المنهج العلمى الاجتماعى نفسه ، وقدرته على النفاذ الى الحقائق وقدرة الباحث على التفسير والكشف عن العوامل الكامنة وراء الظواهر الاجتماعية (٣٢) . وكذلك قضية الاعتماد على العينات وحدودها وتصميم وسائل جمع البيانات فى اطار يحقق شروط الثبات والصدق فضلا عن توفر الباحثين المدربين على جمع البيانات وغيرهم القادرين على اجراء التحليلات الاحصائية والوصول الى النتائج اللازمة .

(ب) واذا أردنا أن نتعرف على مجالات البحوث والاحصاءات الاجتماعية التى تلقى الضوء على بناء المجتمعات الريفية فى المرحلة الأولى السابقة على وضع الخطط ورسم السياسات . نجد من الضرورى أن نشير الى أن مبعث الاهتمام بدراسة المجتمعات الريفية أن القرية هى وحدة الدراسة فى هذه المجتمعات ، ولكن لا ترجع أهمية دراسة القرية الى أنها تمثل جزءا من المجتمع الكبير أو أن ثقافتها جزءا من الثقافة فقط ، وأن هذا سيؤدى الى فهم طبيعة الحياة الاجتماعية فى اكبر قسم من هذا المجتمع ، وانما ايضا لأن سكان الريف الذين يعتمدون على الزراعة كمهنة أساسية وكطريقة فى الحياة يمثلون الجزء الأكبر من السكان العاملين يكفى أن نشير الى أن سكان الريف فى جمهورية مصر العربية حسب تعداد ١٩٦٦ قد بلغ ١٦ مليون نسمة وسكان الحضر قد بلغ ٩ مليون نسمة تقريبا (٣٣) . ولكن السؤال الذى يواجهنا ونحن نشرع فى تحديد مجالات البحوث والاحصاءات التى تكشف عن بناء المجتمعات القروية وتبرز امكانياتها واحتياجاتها هو انه هل بالامكان تركيز هذه البحوث على القرية فقط باعتبارها وحدة تنظيم هذه المجتمعات ؟ وبناء على الاعتقاد الشائع فى وجود سمات مشتركة تميز

المجتمع العربى وخصائص اقتصادية وديموجرافية وثقافية وتكنولوجية موحدة تجمع بين مختلف المناطق الريفية ، كانشغال الغالبية العظمى من السكان بالزراعة ، وانخفاض مستوى الدخل الحقيقى للفرد ، وقلة المدخرات وانعدامها تقريبا بالنسبة للطبقات الفقيرة ، واتجاه الشطر الأكبر من النفقات الاستهلاكية للأفراد وللاسر نحو الطعام ، وانخفاض المستوى الصحى ، نتيجة لانتشار الوسائل البدائية فى العلاج وقلة المرافق الصحية وارتفاع نسبة الأمية ، بين الافراد وانتشار ظاهرة تشغيل الاحداث ، وانخفاض المركز الاجتماعى للمرأة ، وخضوع السلوك الفردى للعادات والتقاليد السائدة (٣٤) . أم أنه يمكن أن تنحصر هذه الدراسة فى اجراء مسح اجتماعى لهذه المجتمعات ؟ غير أن التركيز على القرية بناء على هذا الاعتقاد أمر يجانبه الصواب من عدة نواحى نظرا للاختلافات التى نجدها بين القرى تبعا للقرب أو البعد عن المدينة او المواصلات ، وتبعا للحجم والسكان ومساحة الأرض وتوزيع الملكية وما اليها (٣٥) كما أن حصر الدراسة فى المسح الاجتماعى للمجتمعات الريفية . عملية تحتاج الى وقت وجهد وامكانيات مادية قد لا تتوافر بالقدر الملائم مما يصعب عليه اتباع هذا الاجراء . ومن هنا ظهرت فكرة اختيار النماذج المثلة Representative Types على أساس أن النموذج بمثابة تجريد يختلف قليلا عن الحقيقة الواقعة وذلك انطلاقا من أشتراك عدد من القرى فى مجموعة من الخصائص المشتركة أو القواعد ، مثل الأرض من حيث المساحة والجودة وتوزيع الملكية من حيث عدد الملاك والمؤجرين للارض والعاملين فيها ، والسكان من حيث تزايدهم أو تناقصهم ، ومدى اعتمادهم على الأرض فى حياتهم ، والعائلة باعتبارها هى أو أحد أقسامها أساس التنظيم الاجتماعى فى القرية ، والقرب أو البعد من المدينة أو طرق المواصلات أو المصانع (٣٦) ثم تصنيف القرى المختارة أو تنميطها بناء على قواعد اختيار النماذج المثلة ، ثم اختيار قرية من كل نموذج وتركيز الدراسة على مجموعة القرى المختارة من النماذج المختلفة وتناول مجموعة البناء الاجتماعى لكل قرية وخاصة انماط العلاقات الاجتماعية السائدة ، والنسق الأسرى ، ونسق

القرابة ، والنسق الاقتصادى ، ونسق التدرج الاجتماعى ، ونسق القيم والمعايير الاجتماعية ، والنسق الدينى ، وعوامل الضبط الاجتماعى والحراك ، لأنه قبل اقتراح المشروعات وتنفيذها ، ينبغى دراسة مكونات بناء المجتمع القروى ، والتعرف على آراء الناس ، والاهتمام بالقيم والمثل التى يعتنقها الأفراد ، اذ كثيرا ما يضع اغفالها العوائق والعراقيل فى سبيل نجاح المشروعات ، وقد يؤدى الى فشلها تماما رغم المزايا والفوائد التى تعود عليهم من ورائها (٣٧) . ولكن اجراء البحوث على هذه الموضوعات وجمع الاحصاءات الاجتماعية حولها ، يجب أن يسير فى حذر بحيث تتناسب مع القوى البشرية للهيئة التى تجريها والخبرات العلمية لأعضائها والامكانيات المادية التى يجب أن تتوافر فى كل مرحلة من مراحل البحث المختلفة . مما قد يضطرنا الى حصر هذه البحوث فى عينات ممثلة ، الأمر الذى يتطلب وضع أساس لأختيار العينات الذى لن يكون مضبوطا بصورة حاسمة ولكنه قريب من الواقع بقدر الامكان ، كما يجب أن تتبع هذه البحوث الطريقة الانثربولوجية فى الدراسة ، فضلا عن وسائل جمع البيانات المعروفة فى علم الاجتماع (٣٨) . وفى مقدمتها المقابلة . غير أن هذه الشروط المنهجية تثير كما سبق أن اشرنا مجموعة من المشكلات ، منها حدود العينات ، وصعوبة تطبيق المنهج الانثربولوجى والاعتماد على الاخباريين ، وحدود المقابلة كوسيلة لجمع البيانات من المجتمع الريفى (٣٩) .

ولما كانت القرية فى المجتمعات الريفية النامية تواجه الآن تغيرات اجتماعية وثقافية تتسع باستمرار نتيجة لازدياد الخصائص الحضرية بتأثير المدينة أو المناطق الصناعية . فان الأمر يتعين على الباحثين أن يلتفتوا الى تسجيل اتجاهات هذا التغير وتحديد عوامله والتحقق من فعالية كل منها وكذلك تناول عملياته الاطرادية مثل التمثيل والتكيف ، والكشف عن آثاره ، لما لهذه الدراسة من فائدة عملية فى عمليات التخطيط والانعاش الريفى ، ولكن دراسة التغير الاجتماعى تواجهها صعوبات كثيرة خاصة وانه اذا كانت المجتمعات القروية موضع الاهتمام ، لم تدرس من قبل ، وليس هناك من المعلومات التاريخية ما

يمكن الافادة منها فى رسم صورة حقيقية لها فى الفترة التى يراد مقارنتها بالفترة الحالية . الى جانب أن الاعتماد على ذاكرة كبار السن لفترات اطول مما تعى ذاكرتهم وتجربتهم المباشرة قد تؤدى الى الحصول على معلومات مبالغ فيها أو ذات صبغة خيالية ، كما أن الاعتماد على التطور الاقتصادى والاجتماعى للمجتمع لن يفيد الا فى اعطاء فكرة عامة لا تصلح فى القاء الضوء المميز فى هذه الدراسة (٤٠) .

(ج) وعندما ننتقل الى نقطة تحديد مجالات البحوث والاحصاءات الاجتماعية التى تسهم فى التعرف على التنظيم الحالى للمشروعات الصناعية فى البلاد العربية والكشف عن امكانياتها واحتياجاتها قبل الشروع فى وضع خطة ورسم سياسة تنميتها . نجد أن الأمر يختلف سواء من حيث المدخل أو المنهج الذى يجب اتباعه لتحقيق هذا الهدف ، ومن حيث طبيعة الموضوعات نفسها التى يمكن ان تجرى حولها الدراسة فمن ناحية لا يصلح التركيز على المصنع باعتباره وحدة للتنظيم الصناعى لأن هذه المصانع تختلف فيما بينها من حيث حجمها وتكنولوجيتها واهدافها ، وبالتالى لا تصلح عملية التركيز على النماذج الممثلة المتبعة فى دراسة المجتمعات القروية ، وهنا قد يكون من المناسب حصر هذه الدراسة فى المسح الاجتماعى لهذه التنظيمات الذى يتناول مكونات التنظيم الرسمى ، والتى تنحصر فى حجم التنظيم أو عدد العاملين فيه وخصائصهم ، وامكانياته المادية وطاقته الانتاجية وطبيعة تكنولوجيته ، ويركز على التنظيم باعتباره مجموعة من المناصب التى تتدرج فى شكل هرمى ، ويتناول القواعد القانونية التى تحدد ظروف العمل داخله ابتداء من اختيار الافراد لشغل مناصبه حتى الاحالة الى المعاش ، ثم يحاول اخيرا الاشارة الى وظيفة هذا التنظيم ونوعية انتاجيته غير أن الأمر يختلف وتتضاءل قيمة المسح الاجتماعى ونحن نفكر فى دراسة التنظيم غير الرسمى أو البناء الاجتماعى الداخلى لهذه التنظيمات الصناعية ، وهو جانب لا يقل فى أهميته عن التنظيم الرسمى اذا كنا نحاول الكشف عن الجوانب المتباينة فى تنظيم هذه المشروعات . حيث تظهر لنا قيمة دراسة الحالة لمصانع بعينها قد تختلف من حيث الحجم أو مستوى التكنولوجيا . أو نوع الانتاج الذى تتخصص فيه ، وتجرى مثل هذه الدراسات على مكونات البناء الاجتماعى الداخلى ، وخاصة على العلاقات الاجتماعية فى

موقف العمل داخل التنظيم ، والجماعة الأولية وانماطها المتباينة وأسس تكوينها ، وعلى القيادة الطبيعية الطبيعية وخصائصها وظروف تكوينها ، وعلى الاتصال التلقائي ، أنماطه واتجاهاته ومضمونه ، وعلى المعايير الاجتماعية التى تتكون بين العاملين فى التنظيم ، وعلى أهداف الجماعات الأولية ووظائفها ، وعلى العلاقات الدينامية بين هذه الجماعات ، أو طبيعة التكامل أو الصراع بينها (٤١) وهنا تبدو الحاجة واضحة الى المناهج الوصفية والتاريخية والمقارنة والى أساليب الاستخبار والطريقة السسيومترية فى دراسة هذه المجالات للبحوث وجمع الاحصاءات الاجتماعية . على أنه بقدر ما تتطلبه هذه المناهج والأدوات من شروط منهجية ، بقدر ما يواجهها من صعوبات سبق الاشارة الى بعضها .

(٢) مجالات البحوث والاحصاءات الاجتماعية فى المرحلة الثانية :

يترتب على دراسة الواقع الاجتماعى مع التركيز على مختلف الموضوعات المرتبطة بالسكان وبناء المجتمعات الريفية وتنظيم المشروعات الصناعية السالف الاشارة اليها ، بهدف التعرف على امكانياتها واحتياجاتها كخطوة سابقة ، على وضع المشروعات ورسم خطط التنمية ، قيام هذه المشروعات والخطط التى تستفيد من الامكانيات من أجل تحقيق الاحتياجات .

(أ) فقد تشمل الخطة قيام مشروعات سكانية ، مثل تلك المشروعات المتعلقة بتنظيم الاسرة والتى تشير الى زيادة النسل أو عدم زيادته أو سن التشريعات التى تحدد أو تسمح بالهجرة التلقائية الداخلية أو الخارجية ، أو تنظيم مشروعات للهجرة القسرية والتهجير من منطقة الى أخرى . ويجىء هنا دور البحث العلمى ليحدد بعض المجالات التى يسعى الى التركيز عليها وجمع الاحصاءات الاجتماعية حولها اسهاما منه فى الكشف عن العقبات التى تواجه تنفيذ الخطط على نحو يحقق الهدف منها . وتشخيص المشكلات التى تعترض طريق المشروعات وتعوق أداءها لوظائفها . اذ يمكن الاشارة فى هذا الصدد الى دور القيم والاتجاهات فى السلوك الايجابى ، من حيث تقبل سياسة تنظيم الأسرة ،

والاقبال على استخدام وسائل منع الحمل اذا كانت السياسة الموضوعة تقتضى هذا والى دور وسائل الاتصال فى توفير جو الاقتناع بهذه السياسة وأساليبها ، والى اثر التعليم وعمل المرأة على سلوكها الانجابى والمجاراة لأهداف برامج تنظيم الأسرة والى دراسة الخصوبة وعلاقتها بالطبقات الاجتماعية او بالمستوى الاقتصادى الاجتماعى . على أن تأخذ هذه الدراسة فى اعتبارها دور أجهزة تنظيم الأسرة ذاتها فى تنفيذ السياسة المطلوبة ، وذلك من حيث القوى البشرية التى تعمل داخل هذه الأجهزة ومشكلاتهم واتجاهاتهم وقيمهم تجاه هذه السياسة نفسها واقتناعهم بما يقومون به من عمل وعلى الامكانيات المادية والفنية التى تستخدمها فى تنفيذ أهداف السياسة التى ينادون بها . وأن تدور البحوث حول تشريعات الهجرة التلقائية ، لتكشف عن مشكلات تطبيقها وتحديد صور الاستثناءات التى تظهر للافلات من هذه القوانين ومن عدم تطبيق القانون على كل الحالات ، والظروف التى تتدخل فى هذا الصدد نتيجة للتأثير الذى تمارسه بعض القوى الاجتماعية فى المجتمع وهكذا ، كما تدور البحوث وتجمع الاحصاءات الاجتماعية حول تجارب التهجير أو الهجرة القسرية ، لتكشف عن مشكلات المهجرين فى البلد الجديد ، والتى تعوق تكيفهم مع الظروف الجديدة ، والعقبات التى يضعها السكان الأصليون أمام القادمين الجدد نتيجة لتعارض المصالح واختلاف الأهداف وتلقى الضوء على صور السلوك الانحرافية التى تنشأ عن التعارض بين المعايير الاجتماعية للسكان الأصليين والقادمين الجدد .... وهكذا .

(ب) كما قد تشمل الخطة مشروعات تقام فى المجتمعات الريفية ، مثل مشروعات اعادة توزيع ملكية الأرض الزراعية ، مشروعات تنظيم الانتاج الزراعى وتجميعه ، أو مشروعات كهربة الريف أو استصلاح الأراضى وقيام مجتمعات مستحدثة وغيرها . وقد يتركز البحث حول الصراع الاجتماعى الناشىء بين الملاك القدامى والملاك الجدد فى ظل

اعادة توزيع ملكية الأراضى ، وتحديد صوره ومجالاته ونتائجه ، باعتباره عقبة فى تنفيذ القانون الذى نص عليه والاستفادة الكاملة من أهدافه ، أو قد تتركز البحوث حول صور الافلات من تطبيق هذا القانون ، أو صور التحايل على تطبيقه بأعتبارها من المشكلات التى ترتبت على قيام هذا المشروع ... كما قد يتركز البحث حول التعرف على العقبات والصعوبات التى تعترض تنفيذ مشروع تنظيم الانتاج الزراعى الذى يهدف الى نشر الوعى التعاونى ، ومحاربة الاستغلال ، وخلق قيادات واعية فى الريف (٤٢) . وذلك من خلال القاء الضوء على مظاهر السلوك الانحرافى التى قد تنتشر بين أفراد الجهاز الوظيفى فى مجال الارشاد الزراعى ، والجمعيات التعاونية ، وصور استغلال السلطة فى هذه الأجهزة ، وظواهر الصراع الاجتماعى بين هذه الأجهزة وبين المرابين والوسطاء الذين كانوا يقومون بالكثير من الادوار التى تلعبها اليوم أجهزة التعاون فى القرية ، وتحديد صورها ومجالاتها ونتائجها حتى يمكن التحكم فيها والقضاء على أثرها فى اعاقة هذه الأجهزة عن القيام بدورها ... الخ .

(ج) وقد تنطوى خطة اعادة تنظيم المشروعات الصناعية ، على مجموعة من التشريعات التى تحول نظام ملكية هذه المشروعات من الملكية الخاصة الى الملكية العامة ، أو التى تدخل تغييرا على التدرج الهرمى لبناء السلطة داخلها من خلال مشاركة القاعدة مع القمة فى اتخاذ القرارات . أو التى تدخل تغييرا على القواعد القانونية التى تنظم عمليات التعيين فى الوظائف والأجور والترقيات والمكافآت والاحالة الى المعاش وغيرها . أو التى تدخل تغييرا على نظام العمل أو على النسق التكنولوجى أو على أهداف المشروع من أهداف اقتصادية خالصة الى أهداف اقتصادية واجتماعية فى الوقت نفسه . ومن ثم تتركز البحوث حول مشكلات نظام الملكية الجماعية ، وتوزيع المسئولية ، وصور الانحراف المتمثلة فى الاختلاسات والاهمال والتسيب وغيرها ، وحول صور الصراع على مراكز السلطة الجديدة . وعواملها ومجالاتها وآثارها

على تحقيق المشروع لأهدافه ، وعلى صور التلاعب فى تطبيق قوانين التعيين والاجور والمكافآت والترقيات ، بناء على فعالية قيم المحسوبية والمحاباة وغيرها . وعلى صور عدم التكيف مع النسق التكنولوجى الجديد ، والتعارض بين المهارات والخبرات الجديدة وتلك التى اعتادت على نظام العمل وأساليب التكنولوجيا القديمة ... الخ .

(٣) مجالات البحوث والاحصاءات الاجتماعية فى المرحلة الثالثة :

وعندما نصل الى المرحلة التى تلى قيام المشروعات وتنفيذ الخطط وسن التشريعات بهدف احداث التنمية الاجتماعية فى مجالات السكان والمجتمعات الريفية والمشروعات الصناعية ، تظهر مجالات للبحوث وتجمع احصاءات اجتماعية تهدف الى تقويم هذه المشروعات والخطط والتشريعات عن طريق مقارنة النتائج التى حققتها بالفعل بما كان مستهدفا منها . ذلك لأن التقويم عبارة عن منهج علمى يستهدف الكشف عن حقيقة التأثير الكلى أو الجزئى لبرنامج من برامج التنمية فى النطاقين القومى أو المحلى ، ووسيلته فى هذا هو الكشف عن حقيقة التغيرات المادية والمعنوية (٤٣) . وتستلزم عمليات التقويم توفير المعايير التى يمكن اتخاذها أساسا للمقارنة ، أو التوصل الى المؤشرات ، أو قد تستلزم تحديد المدخلات INPUTS العائد OUTPUTS بالمفهوم الاقتصادى وأن كان هذا المفهوم الأخير يصعب اتباعه فى المشروعات الاجتماعية . فقد تتركز البحوث حول مشروع تنظيم الأسرة لتقويم ما تم تحقيقه من الأهداف الأساسية ، والكشف عن العوامل التى ساعدت على تحقيقها ، على ضوء مجموعة من المؤشرات ، مثل معدل الخصوبة أو المواليد ، وعدد المترددين على أجهزة تنظيم الأسرة ، أو عدد الذين يستخدمون بالفعل وسائل منع الحمل . ... الخ . أو قد يجرى بحث تقويمى لواحد من مشروعات التهجير ، من أجل تقدير ما تم تحقيقه من الأهداف الأساسية له ، على ضوء مؤشرات التكيف مع ظروف

الحياة الجديدة ، التقدم فى مجـال العمل أو لدراسة ارتفـاع مستـوى المعيشة ، أو دخل الأسرة ، قلة المشكلات فى العمل والأسرة ، والمجتمع المحلى ... الخ .

أو قد تتركز البحوث وتجمع الاحصاءات الاجتماعية بهدف تقـويم تشريعات اعادة توزيـع ملكية الأرض ، على أساس مؤشرات ، رفـع مستوى المعيشة ، زيادة الدخل ، زيادة الوعى ، زيادة الانتاج ، الاقبال على التعليم ، والمشاركـة فى الحياة السياسية والاجتمـاعية ، أو قـد يدور البحث حول تقييم مشروع تنظيم الانتاج الزراعى ، استنـادا الى مؤشرات زيادة الوعى التعاونى ، والمشاركـة فى النشاط التعـاونى ، وظهور القيادات الجديدة ، وزيادة الانتاج . وتحسين ظـروف العمل . وزيادة الدخل ... الخ . وقد تتركز البحوث وتجمع الاحصاءات من اجل تقويم تشريعات تغيير نظام ملكية المشروعـات الصناعية ، على ضـوء مؤشرات الالتزام بالواجبات العملية ، وغياب صور التسيب والاهمـال والاختلاس وزيادة الانتـاج . وكذلك تقويم تشريعـات بناء السلطـة وتحقيق المشاركة الجماعية فى اتخاذ القرارات ، استنادا الى مؤشرات زيادة معدل المشاركة الفعالة من جانـب الفئات الدنيا فى بناء التنظيـم وزيادة الوعى الاجتماعى بالحقوق والواجبات وزيادة علاقات التكـامل والتماسك وغياب الصراع بينهم وزيادة الانتاج وغياب صور السلـوك الانحرافى وما اليها .

المراجـع

١ — الدكتور محمد على محمـد ، القيم الثقافية والتنمية ، مؤتمـر علم الاجتماع والتنمية ، المركـز القومى للبحوث الاجتمـاعية والجنائية ... غير منشور ١٩٧٣ .

(2) Dov Weintraub, Devlopment Change-Towards a Generalized Conceptualization on its Basic Dimentions of the Relation Among Them, Dep., of Sociology, Hebrew Univ., Jern., PP. 9-13.

(3) Kyong-Gong Kim, Tomard a Sociological Theory Development; A Structural Perspective, Rural Sociology, vol. 38, No. 4, 1973, PP. 462-476.

٤ — الدكتور احمد محمـد خليفة ، الايديولوجية والبحـث العلمى الاجتماعى ، المجلة الاجتماعية القومية ، العـدد الأول المجلـد الأول ، يناير ١٩٦٤ ص ص ٧ — ١٩ .

٥ — الدكتور محمود أحمد الشافعى ، التخطيط للتنمية الاقتصادية ؛ فى التنمية الاقتصادية ومشكلات السلوك الاجتمـاعى ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، القاهرة يونيو ١٩٦٣ ، ص ص ١٧٦ — ١٧٨ .

٦ — الدكتور حنا رزق ، المشكـلات السكانية فى الدول الناميـة ؛ المرجع السابق ص ٢٧٣ .

٧ — الدكتور سيد عويس ، تنظيم البحث العلمى لأغراض الـدفاع الاجتماعى ، المجلة الجنائية القومية ، مايو ١٩٧١ .

٨ — الدكتور عزت حجازى ، البحث العلمى والتنمية ، اعمال مؤتمر

علم الاجتمـــاع والتنمية فى مصر ، المركـــز القومى للبحـــوث الاجتماعية والجنائية ، غير منشور .

٩ — شيت نعمان ، العمل العلمى ومؤسساته فى البلاد المبدئة ، دار الطليعة بيروت ، طبعة أولى ، ١٩٦٨ ص ص ٢٥ — ١٤٥ .

١٠ — الدكتور عبد الباسط محمد حسن . البحوث الميدانية وأهميتها فى التخطيط للتنمية الريفية فى العالم العربى ، المجلة الاجتماعية القومية ، المجلد السابع ، العدد الثالث ص ص ٤٩ — ٧٤ .

١١ — الدكتور عبد الباسط محمد حسن ، المرجـــع السابـــق ، نفس الصفحات .

(12) Alvin Gouldner. The Coming Crisis of Western Sociology, Heineman, New Delhi, 1971. P. 111.

(13) David, Lochwood, Some Remarks on the social system, British Journal of Sociology, 1956, PP. 134-146.

(14) F. Konstantinov & V. Kelle, Historical Materialism, Marxist-Sociology, in : P. Hollander, American & Soviet Sociology, edts. Prentice Hall, Inc., New Jersey., 1964. P. 515.

(15) R.W. Friedrichs, A Sociology of Sociology, The Free Press, New York, 1970. PP. 12-15.

(16) A. Gouldner, Op. Cit., PP. 2 P-12.

١٧ — دكتور أحمد محمد خليفـــة ، الايديولوجية والبحـــث العلمى الاجتماعى مرجع سابق ص ص ٧ — ١٩ .

(18) G. Osipove, Lenin & Marxist Sociology, Social Sciences Today, No. 3. PP. 3-19.

(19) A. Gouldner, Op. Cit. PP. 34-351.

٢٠ — مرجريت كولسون ، دفيد ريدل ، مقدمة نقدية فى علم الاجتماع ، ترجمة عربية اعداد دكتور غريب سيد احمد ودكتور عبد الباسط محمد ، ١٩٧٣ ، دار الكتب الجامعية ، ص ص ١٨ — ٢١ .

٢١ — دكتور احمد محمد خليفة ، الايديولوجية والبحث العلمى الاجتماعى مرجع سابق ص ص ٧ — ١٩ .

(22) A. Gouldner, Op. Cit. PP. 455-462.
(23) R. W. Friedrichs, Op. Cit. PP. 25.
(24) A. Gouldner, Op. Cit., P. 34-351.

٢٥ — الدكتور عبد الباسط محمد حسن ، مرجع سابق ص ص ٤٩ — ٧٤ .

٢٦ — الدكتور مصطفى سويف ، نحن والعلوم الانسانية ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩١٩ ، ص ١١٠ .

٢٧ — الدكتور عبد الباسط محمد حسن ، مرجع سابق ، ص ص ٤٦ — ٧٤ .

٢٨ — الدكتور محمد ابراهيم كاظم ، التطور القيمى وتنمية المجتمعات الريفية ، المجلة الاجتماعية القومية ، المجلد السابع ، العدد الثالث ، سبتمبر ١٩٧٠ ، ص ص ٣ — ٢٤ .

٢٩ — الدكتور عبد الباسط محمد ، مرجع سابق ، ص ٤٩ — ٧٤ .

(30) D.M. Heer, Society & Population, P. 83.

٣١ — الدكتور عبد الباسط محمد ، مرجع سابق ص ص ٤٩ — ٧٤ .

٣٢ — جورج باركلى ، اساليب تحليل البيانات السكانية ، ترجمة عربية اشراف دكتور عبد المنعم ناصر الشافعى ، دار الكتب الجامعية ، القاهرة ١٩٦٨ .
ص ٢ — ٤ — ١٥ — ١٦ — ١١٩ — ١٢٠ .

٣٣ — السيد يس السيد ، البحث العلمى والتخطيط للدفاع الاجتماعى فى اطار التنمية القومية ، المؤتمر العربى أصول التنمية والدفاع الاجتماعى ، الدوحة ١٩٧٢ .

٣٤ — دكتور محمد عاطف غيث وآخرون ، دراســة نظرية ومرجعية للمجتمع الريفى المجلة الاجتماعية القومية ، المجلد السادس العدد الثالث ، سبتمبر ١٩٦٩ ، ص ص ٥ — ٢٢ .

٣٥ — الدكتور عبد الباسط محمد حسن ، مرجع سابق ، ص ص ٤٩ — ٧٤ .

٣٦ — الدكتور محمد عاطف غيث وآخرون ، مرجع سابق ص ص ٥ — ٢٢ .

٣٧ — الدكتور عبد الباسط محمد حسن . مرجع سابق ص ص ٤٩ — ٧٤ .

٣٨ — الدكتور محمد عاطف غيث وآخرون ، مرجع سابق ص ص ٥ — ٢٢ .

٣٩ — الدكتوران جمال زكى وعبد الحليم محمود ، المقابلة كوسيلــة لجمع البيانات من المجتمع الريفى ، المجلة الاجتماعية القومية ، العدد الثانى ، المجلد الثانى مايو ١٩٦٥ ، ص ص ٣ — ٢٨ .

٤٠ — الدكتور محمد عاطف غيث وآخرون ، مرجع سابق ص ص ٥ — ٢٢ .

٤١ — دكتور على عبد الرازق جلبى . البناء الاجتماعى للمصنع ، دراسة فى ديناميات الجماعات الصغيرة . المجلة الاجتماعية القــومية ، ١٩٧٤ ، العدد الثالث المجلد العاشر .

٤٢ — هيئة تحرير المجلة الاجتماعية القــومية ، اعادة بناء القــرية المصرية ، المجلة الاجتماعية القومية ، المجلد العاشر ، العدد الاول ، يناير ١٩٧٣ ص ص ٩٧ — ١٠٤ .

٤٣ — الدكتور ابراهيم أبو لغد ، التقويم فى برامــج تنمية المجتمــع ، مبادىء وخبرات المركــز الدولى للتربية الأساسيــة فى العالم العربى ، سرس الليان ، ١٩٦٠ ، ص ١٢ .

الباب الثاني

الآفاق المعاصرة لعلم الاجتماع وتطبيقاته

الفصل الرابع

الشباب والمشاركة السياسية

(أولا) التعريف بالمشاركة السياسية واهميتها فى المجتمع .

(ثانيا) بناء المشاركة السياسية بين الشباب المصرى .

١ — صور المشاركة السياسية بين الشباب المصرى .

٢ — درجات المشاركة السياسية بين الشباب المصرى .

(ثالثا) ديناميات المشاركة السياسية بين الشباب المصرى .

١ — التعليم وتنمية قدرات المشاركة السياسية بين الشباب المصرى .

٢ — التعليم وممارسة المشاركة السياسية بين الشباب المصرى .

٣ — المهنة وممارسة المشاركة السياسية بين الشباب المصرى .

نتائج وتوصيات .

الفصل الرابع

الشباب والمشاركة السياسية ★

(اولا) التعريف بالمشاركة السياسية وأهميتها فى المجتمع :

المشاركة السياسية هى العملية التى يلعب من خلالها الفرد دوراً فى الحياة السياسية لمجتمعه ، وتكون لديه الفرصة بأن يسهم فى وضع الأهداف العامة لذلك المجتمع وتحديد أفضل الوسائل لانجازها . وقد تكون عملية المشاركة السياسية من خلال نشاطات سياسية مباشرة ، كأن يتقلد الفرد منصباً سياسياً او يحظى بعضوية الحزب أو يقوم بترشيح نفسه للانتخابات ، أو يكتفى بمجرد التصويت أو مناقشة القضايا العامة والاشتراك فى الحملات السياسية ، كما يمكن أن يحقق المشاركة من خلال نشاطات سياسية غير مباشرة ، كأن يقتصر الفرد على مجرد المعرفة والوقوف على المسائل والقضايا العامة ، والانتساب بالعضوية فى بعض الهيئات التطوعية أو الجماعات الأولية . وتتحدد المشاركة السياسية فى نظر البعض الآخر فى ضروب النشاط التطوعى الذى يسهم به اعضاء المجتمع فى تحديد السياسة العامة له سواء تم ذلك مباشرة أو بطريقة غير مباشرة ، وتنطوى ضروب النشاط التطوعى هذه التى يمكن فيها ان يساهم اعضاء المجتمع على عمليات التصويت ، وحضور الاجتماعات ، والاتصال والتمثيل ، والانضمام الى الحزب ، وكتابة الخطب والمساهمة فى الحملات السياسية وتجميع الآصوات ، والنضال من اجل منصب عام او دوراً رئيسياً فى الحزب باعتبار الأخيرة اكثر صور المشاركة السياسية الفعالة .

وباستطاعتنا ان نسوق تعريفات أخرى تحدد المقصود بالمشاركة السياسية ، غير أن هذا أمر يجاوز نطاق هدفنا فى هذا المقام . ولكن الشىء الجدير بالاعتبار فى ضوء ما تشير اليه تعريفات المشاركة السياسية المشار اليها سلفاً . أن المشاركة تمثل سلوكاً تطوعيا أو نشاطا اراديا له أهداف واضحة ، ويكتسب بناءاً محدداً حيث تختلف درجات المشاركة وتتباين صورها ، ويتحقق طابعها الدينامى كعملية اجتماعية مستمرة .

★ تأليف الدكتور على جلبى .

فالمشاركة السياسية باعتبارها سلوكاً تطوعياً أو نشاطا إراديا ، تختلف من ناحية عن انواع من السلوك التطوعى الأخرى مثل دفع الضرائب والخدمة فى الجيش واداء واجبات المحلفين فى بعض المحاكم . لأن هذه النشاطات الأخيرة ليس لها الأهداف المحددة والواضحة التى تسعى اليها المشاركة السياسية وهى تحديد السياسة او الأهداف العامة للمجتمع وتعيين افضل الوسائل لانجازها ، او بمعنى ادق تحقيق وتعميق الممارسة الديمقراطية . كما تختلف المشاركة السياسية من ناحية أخرى عن ضروب السلوك التى تهدف الى دمج كل مواطن فى الشئون السياسية ، وتحقيق التصويت بالاجماع فى عمليات الانتخاب وتنظيم الجماهير فى شبكة محكمة من جماعات الشباب والأحزاب الشعبية والتعاونيات والجمعيات الترفيهية والثقافية والحلقات الدراسية واللقاءات والمؤتمرات والاستعراضات العسكرية والعمالية (الجماهيرية) ، ذلك لأن مثل هذه الضروب للنشاط ليست تطوعية ولا يسمح اى واحد منها للجماهير بأن يكون لها تأثيرا على السياسة العامة أو اختيار الحكام ، بقدر ما تمثل ضروباً للنشاط تمارسها الصفوة السياسية لتزييف الديمقراطية وتعويد الجماهير على تقبل نظامها وتضفى مظهراً شرعيـاً عليه ، ومن ثم تدعم طريقتها الديكتاتورية فى الحكم . وبناء على ذلك حددت ضروب النشاط التطوعى التى تحقق المشاركة السياسية وتعميق الديمقراطية فى مجرد المعرفة والوقوف على القضايا السياسية العامة ، أو مناقشة هذه القضايا والاشتراك فى الحملات السياسية ، والانتساب بالعضوية الى بعض الهيئات التطوعية أو التصويت والترشيح للانتخابات وحضور الاجتماعات والاتصال ، والتمثيل والانضمام الى الحزب وكتابة الخطب أو القائها ، والنضال من اجل منصب عام أو منصب فى الحزب . الأمر الذى يمكن معه القول أن المشاركة السياسية تكتسب بناءاً محدداً من خلال الصور التى تظهر عليها المشاركة والدرجات التى يمارس بها اعضاء المجتمع هذه الصور للمشاركة ، مما يؤثر فى ديناميانها ويجعلها تتغير وتختلف باختلاف نوع الفرد وتعليمه وديانته وعمره ودخله ومهنته ومكانته أو طبقته الاجتماعية . وحينما نأخذ هذه الملاحظات حول المشاركة السياسية فى

الاعتبار ، يمكن بالمثل الاستطراد فى بيان اهميتهـا للمجتمع . اذ تعتبـر المشاركة السياسية حجر زاوية فى كل ديمقراطية وذلك بغض النظر عما تمتاز به الديمقراطية من خصائص اخرى مثل الاجمـاع وحكم الأغلبية والمساواة والمسئولية والسيادة العامة . ويتوقف نمو وتطور الديمقراطية على توسيع نطاق حق التصويت وحقوق المرشحـين وعلى مد نطاق المساهمة فى الأهداف السياسية ، وجعلها حقوقاً يتمتع بها كل انسان . ولقد كانت الرغبة فى تدعيم مبادىء الاجمـاع والمعـارضة السياسة والمسئولية وراء هذا التوسع فى المشاركة السياسية . ذلك لأن المشاركة تعتبر بمثابة الوسيلة الأساسية التى يمكن أن يتحقق بواسطتها الاجماع او تنمو المعارضة ويتعمق الشعـور بالمسئولية لدى الحاكم والمحكوم . وكثيراً ما نظر الى المشاركة السياسية باعتبارها مصدراً للحيوية والطاقة الخلاقة وميكانيزما دفاعياً ضد الظلم والطغيان ، هذا فضـلا عن كونها وسيلة لتدعيم الحكمة الجماعية . بل أن اسهام الكثيرين فى شئون الدولة يعطى كل واحد منهم فرصة التعبير عن مصالحة الخاصـة ، ويعمل على ضمان الخير الأعظم للعدد الكبير ، ويدعم الاستقرار والنظام . هذا فضلا عن أن المجتمع سوف يجنى الكثير من خلال اعتماده على مواهب ومهارات اكبر عدد ممكن من الشعب ، كما قد يستفيد المشاركـون ذاتهم ، حيث تمكنهم المشاركة من التمتع بكرامتهم وأحساسهم بقيمتهم الخاصة ، وتنبه الحكام والمحكومين نحو واجباتهم ومسئولياتهم ، وتوسع من نطاق الوعى والادراك السياسى . زد على ذلك ما للمشاركة السياسية من أهمية على مستوى المؤسسات فى الدولة ، فهى تسهم فى حل الصـراع بين العاملين بها وتحسن من ظروف الاتصال بينهم وتزيد واقعيتهم وارتباطهم بالنظـم واهدافه ، وترفع من شأن الولاء والتأثير والمسئولية وتحسن من الفعالية وترفع من مستوى الأداء وتحقق التكيف الاجتماعى ، وتقضى على صور استغلال السلطة والاغتراب وتحقق قيمة المساواة والحرية . وبناء على ما سبق يمكن القول أن المشاركة السياسية تعتبر شرطـاً ضروريـاً فى تحسين ظروف التنمية الاجتماعية .

(ثانيا) بناء المشاركة السياسية بين الشباب المصرى :

ليست المشاركة السياسية باعتبارها سلوكاً تطوعياً عملية طبيعية يرثها الانسان ، وانما هى عملية مكتسبة يتعلمها الشخص اثنـاء حياته ،

ويتوقف ممارسة الفرد لها على مدى توفر المقدرة والدافعية والفرص التى يتيحها المجتمع ، وتقاليده السياسية . وبرغم اهمية المشاركة فى تدعيم الديمقراطية ، الا أن حق المشاركة لا يمارسه كل الذين يملكونه ، اذ تختلف المشاركة باختلاف الوقت ، والمكان والظروف وباختلاف نوع المشاركة وصورتها . وتنتظم الصور المختلفة للمشاركة السياسية فى تدرج هرمى أو بناء يكون متصلا طبقاً للمتطلبات الوقتية والجهدية التى يحتاجها كل صورة منها . اذ يناقش معظم الناس السياسات أكثر مما يدلون باصواتهم ويقوم الكثيرون بالتصويت أكثر مما يلتحقون بحزب أو يساهمون بالعمل فى الحملات السياسية ، وقد يكتفى بعضهم بمجرد مناقشة السياسات مع الآخرين ، أو التقدم الى الانتخابات الرئاسية او انتخاب ممثلى الأحزاب ومجلس الشعب والمساهمة فى نفقات الحملات السياسية والقومية وحضور اللقاءات السياسية ، وعضوية النوادى السياسية والتنظيمات ، والعمل على الفوز بأحد المناصب السياسية او التمتع بوضع مؤثر فى الحزب . . وعموماً يميل الناس الى الحديث عن السياسة أكثر مما يميلون الى الانشغال الفعلى بها . ويحرص الناس على التصويت فى الانتخابات القومية أكثر من الانتخابات المحلية ، وعلى الانتخابات الرئاسية أكثر من الانتخابات الثانوية ، وعلى الانتخابات المتعلقة بمرشحين أكثر من الانتخابات الخاصة بقضايا ومسائل عامة ويتوقف هذا فى جانب منه على وقت عملية التصويت وعلى نوع الانتخاب ، وعلى درجة الاهتمام السياسى والوعى بين المشاركين .

أما جمهور المهتمين بالقضايا والمسائل السياسية العامة فيمثل أقلية بشكل متميز ، حيث لم يكن لثلث المبحوثين فى أحد المسوح الأمريكية السابقة اى رأى أو معلومة تتعلق بستة عشر قضية سياسية شهيرة ، بل كان المهتمون والقادرون على التوصل الى آراء حول هذه القضايا ، قلة بسيطة . كما لوحظ فى بحث آخر ان جماعة صغيرة فقط هى التى ابدت اهتماماً مستمراً بالسياسة ، بينما كانت الأغلبية غير مكترثة . وكل هذه الحقائق تشير الى جانب آخر فى بناء المشاركة السياسية فى المجتمع ، وهو توزيع المشاركة السياسية بين الناس أو بعبارة أدق درجات مشاركتهم ، حيث يصنف مثلا بعض الباحثين الناس حسب درجة مشاركتهم السياسية

الى مجموعة المصوتين وهى تمثل عـدداً صغيراً من اصحـاب النشاط السياسى والمناصب الحزبية أو السياسية ، ثم مجموعة المفكـرين الذين يهتمون بالبحث عن المعلومات السياسية والتقدم بالأصوات ، ثم مجموعة غير المكترثين واللامبالين الذين لا يشاركون ابداً فى أى نشاط سياسى . وبرغم ما قد تنطوى عليه هذه المحاولة فى التصنيف من تعسف ، الا انها تشير الى ميل الصور المختلفة للمشاركة السياسية الى التجمع فى درجات يحصل على أعلى نسبة منها الأشخاص الذين يشغلون فى واحد او اكثـر من صور المشاركة الفعالة ، والذين يميلون فى الوقت ذاته الى أن يكونوا ذوى فعالية كذلك فى صور اخرى للمشاركة ، بينما يحصـل على نسبة بسيطة من هذه الدرجـات الأشخاص الذين تعودوا على عدم التصويت ويتجنبون عادة أوجه النشاط السياسى الأخرى وأبسطها قراءة الأخبار السياسية .. وهكذا ينطوى بناء المشاركـة السياسية على بعـدين اساسيين هما صور المشاركة السياسية ، ودرجات المشاركة السياسية. نحاول فى ضوء هذه الحقائق القاء الضوء على بناء المشاركـة السياسية بين الشباب المصرى :

١ ــ صور المشاركة السياسية بين الشباب المصرى :

وتمدنا معطيات الدراسة الحالية بالأساس الذى يمكن القول استناداً اليه بأن هناك بناءاً نامياً للمشاركة السياسية بين الشباب المصرى ، بفضل ما استحدث فى المجتمع الأكبر من أساليب تعمل على تحقيق المشاركـة وتعميق الديمقراطية . وليس أدل على ذلك من نمو عدد ملحوظ من صور المشاركة السياسية تمثلت فى :

(أ) حرص الشباب المصرى على الوقوف على القضايا السياسية والعامة من خلال متابعة الأخبار السياسية الداخلية والخارجية من وسائل الأعلام المتوفرة لهم .

(ب) اقامة نسق للاتصال من خلال الاهتمام بالمناقشات السياسية بين الناس .

(ج) الاشتراك فى الحمـلات السياسية من خلال القيـام بتوعية الأهالى من الناحية السياسية والاسهام فى مشـروعات تحسين البيئـة المحلية بالجهود الذاتية .

(د) ميلهم الى التمسك بحق التصويت من خلال الادلاء بأصـــواتهم فى الاستفتاءات والانتخابات التى تتم على المستويين القومى والمحلى .

(هـ) حرصهم على الاشتراك بالعضوية فى احد الأحزاب السياسية .

الوقوف على القضايا السياسية والعامة :

ولما كانت ممارسة المشاركة السياسية تتوقف على المتطلبات الوقتية والجهدية التى تحتاجها كل صورة منها.وكانت عملية الوقوف على القضايا السياسية والعامة ليست فى حاجة الى وقت وجهد كثــيرين لذلك زادت نسبة من يمارسون المشاركة السياسية بين الشباب المصرى الذين يبدون حرصاً على الوقوف على القضايا السياسية والعـــامة من خلال متابعـــة الاخبار السياسية الداخلية والخارجية وبلغـــت نسبة (٧٦ر٠٦٪) من اجمالى عينة البحـــث ، بعضهم يحرص على متابعة هذه الأخبار دائماً بنسبة (٧٢ر٣٧٪) والبعض الآخـــر يتابع هذه الأخبـــار احياناً بنسبة (٣٣ر٣٩٪) ، وتدل هذه المعطيات على أن الشباب المصرى حريص على الارتباط بالأحداث المحيطة به ، ويسعى الى الحقائق والمعلـــومات التى تعينه على زيادة وعيه وادراكه بكل ما يجـــرى حوله . ولا شك أن هذه السمة الايجابية تستحق التسجيـــل ، وتشير الى توفـــر اساس يمكن أن تستند اليه فى تـــدعيمه مشاركته السياسية . وتختلف هذه الصـــورة للمشاركة السياسية بين الشباب المصرى من مكان لآخر داخل المجتمع . اذ تزيد نسبة فرص الشباب المصرى على الوقوف على القضايا السياسية والعامة ومتابعة الأخبار السياسية فى محافظتى الاسكندرية والسويس ، حيث بلغت نسبتهم فى عينة البحث (٨٤ر١٠٪) و (٨٣ر٥١٪) على التوالى ويقل حرص الشباب المصرى على الوقوف على هذه القضايا فى محـــافظة المنيا حيث بلغت نسبتهم (٦٦ر١٣٪) .

ولا شك فى انه يمكننا الاستفادة من هذه الحقـــائق التى توضح الفروق بين محافظات الجمهـــورية فى ممارسة هذه الصورة من صـــور المشاركة السياسية ، أولا ، فى البحث عن العـــوامل التى ادت الى زيادة نسبة هذا النوع من المشاركة فى محافظات دون غيرها ، وعن العوامل التى ادت الى انخفاض هذا النوع من المشاركة فى محافظات اخرى وثانياً ، فى تدعيم العوامل الأولى بعد التعرف عليها ، والتغلب على الظروف التى ادت الى النوع الثانى من العوا مل . ويعتمد الشباب المصرى فى الوقوف على

القضايا السياسية والعامة ومتابعة الأخبـــار السياسية على وسائل الأعلام المختلفة الــرسمية مثل الاذاعة ، والتليفـزيون والصحف اليومية والندوات والمؤتمرات والاحاديث غير الرسمية مثل كلام الناس والزملاء ، ولكن بنسب متفاوتة ، حيث تحتل الاذاعة المكانة العليا وتمثل المصـــدر الأول الذى يعتمد عليه الشباب المصرى فى متابعة الأخبـــار السياسية الخارجية والداخلية يليه الصحف اليومية ، ثم التليفزيون ، ثم كلام الناس، وأخيراً الندوات والمؤتمرات ، والتى كانت نسبتها على التوالى (٢٦ر٥٦ ٪) و(٦٥ر٤١ ٪) ، (٧٤ر٣٨ ٪)و (٨٩ر٥ ٪) و (٤٦ر١ ٪) . وان كـــان أيضا اعتماد الشباب المصرى على هذه المصادر الأعلامية فى متابعة الأخبـــار السياسية يختلف من مكان لآخر داخل المجتمع . اذ تزيد نسبة اعتمــــاد الشباب المصرى فى محافظة سوهــاج على الاذاعة فى متابعة الأخبـــار السياسية على بقية نسبة الشباب فى المحافظات الأخرى وكان اعتمــاد الشباب فى محافظة الاسكنــدرية على الاذاعة فى هــذا الشأن أقل منه فى بقية المحافظات الأخرى ، حيث بلغت النسب الدالة على ذلك ، (١٤ر٧٠ ٪) و(٣٨ر٤٤ ٪) على التوالى . كما زادت ايضاً نسبة الشباب فى محافظـــة سوهاج والذين يعتمدون على التليفزيون فى متابعة الأخبار السياسية على بقية الشباب فى المحافظات الأخرى ، وكانت نسبة الشباب فى محافظـــة الشرقية أقل النسب فى هذا الصدد ، والتى بلغت نسبتهم (٧٩ر٥٥ ٪) ، (٥٨ر٢٩ ٪) على التوالى . وزادت نسبة الشباب فى محافظـــة السويس الذين يعتمدون على الصحف اليومية فى متابعة الأخبــار السياسية على بقية الشباب فى المحافظات الأخرى وكانت نسبة الشباب فى محافظة المنيا أقل النسب فى هذا الشأن ، والتى بلغت نسبتهم (١٢ر٥٦ ٪)و (٦٦ر٢٨ ٪) على التوالى.

الاشتراك فى المناقشات السياسية :

وعلى الرغم من أن الاشتراك فى المناقشات السياسية التى تدور بين الناس فى المجتمع تمثل صورة أخرى من صور المشاركة السياسية والتى لا تحتاج كثيراً من الوقت والجهد . وانهــا تكون مع عملية الوقـــوف على القضايا السياسية والعامة ، مجموعة صور المشاركة التى يفضلها جمهور المشاركين فى المجتمع باعتبارهم يميلون الى الحديث عن السياسة أكثر مما

يميلون الى الاشتغال الفعلى بها ، الا انه قد دلت نسبة الشباب المصرى الذين تعودوا على الاهتمام بالاشتراك فى المناقشات السياسية بين الناس فى عينة البحث بشكل ملحوظ والتى بلغت (٢٨ر٢١٪) وحتى عندما نضيف الى هذه النسبة من يهتمون بالاشتراك فى هذه المناقشات السياسية أحياناً والتى بلغت (١٥ر٢٠٪) ذلك لأن مجموع النسبتين تبلغ (٤٣ر٤١٪) وهى اقل من نصف عينة البحث . وطبيعى ان تختلف نسبة اشتراك الشباب المصرى فى المناقشات السياسية بين الناس من مكان لآخر داخل المجتمع اذ كانت نسبة الشباب المصرى فى محافظة سوهاج والذين يهتمون بالاشتراك فى المناقشات السياسية اكبر النسب فى هذا الصدد وتفوق نسبة الشباب المصرى الأخرى ، وكانت نسبة الشباب فى محافظة الغربية اقل النسب فى هذا الصدد ، والتى بلغت (٢١ر٣٥٪) ، و (٠ر١٥٪) على التوالى .

وكانت نسبة الشباب فى محافظة الاسكندرية والذين يهتمون أحياناً بالاشتراك فى المناقشات السياسية بين الناس أعلى النسب بين المحافظات ، وأقلها نسبة الشباب فى محافظة المنيا ، حيث كانت هذه النسب (٢٧ر٣٠٪) ، (٦ر١١٪) على التوالى .

الاشتراك فى الحملات السياسية :

ومن الملاحظات الجديرة بالاهتمام فيما يتعلق بصور المشاركة السياسية بين الشباب المصرى ، والتى تخالف القول الشائع بأن الناس يميلون الى الحديث فى السياسة اكثر مما يشتغلون فعلا بها ، زيادة نسبة الشباب المصرى الذى يحرص على الاشتراك فى الحملات السياسية ، وخاصة تلك الحملات التى تأخذ طابعاً عملياً وفعليا بعكس الحال فى الحملات السياسية التى تدخل فى نطاق القول دون العمل حيث بلغت نسبة الشباب المصرى الذى يسهم بدور فعال فى مشروعات تحسين البيئة بالجهود الذاتية (٩٤ر٥٥٪) فى مقابل (٨١ر٢٤٪) منهم يقومون بدور فى حملات توعية الاهالى بالناحية السياسية . وهذا معناه ان الشباب المصرى يفضل المشاركة السياسية الفعلية ، الأمر الذى يتسق مع حماس الشباب ورغبته فى القيام بعمل فورى يعود بالنفع المباشر على المجتمع الذى ينتمى اليه ، وهذا يتضح من خلال قيام (٨٢ر٣٤٪) ممن يسهمون فى

المشروعات بالعمل فى فصول محو الأمية ، وقيام (٢٦ر١١٪) منهم بتنظيم مجموعات خاصة لتقوية طلبة المنطقة ، او قيام (٢٧ر٨٪) بالاشراف على نظافة الحى وهكذا .

وطبيعى ان نجد فروقاً فى ممارسة المشاركة السياسية بين الشباب المصرى من خلال المساهمة فى مشروعات تحسين البيئة هـذه من منطقة الى اخرى داخل المجتمع المصري ، حيث كانت نسبة الشباب المصـرى فى محافظة الشرقية اعلى نسبة بين المحافظات الأخرى ، ونسبة الشباب فى محافظة السويس اقل النسب فى المحافظات عموماً وذلك فيما يتعلق بالمساهمة فى فصول محـو الأمية ، حيث بلغت هذه النسب (٥٤ر٤٨٪) و (٠٦ر٢٠٪) على التوالى .

اما ممارسة الشبـاب المصرى للمشاركـة السياسية من خـلال الاشتراك فى حملات التوعية السياسية فتتضح من خـلال قيام (٠٥ر٩٪) من الشباب المصرى بحث الأهـالى على الاهتمام بالانتخـابات واهتمام (٩ر٨٪) بعقد مناقشات سياسية معهم وقيام (٣٩ر١٣٪) بقراءة الجـرائد والمجلات لهم أو حثهم على قرائتها . ويظهر الاختلاف من منطقة الى أخرى داخل المجتمع المصرى فى ممارسة هذا النـوع من المشاركة . اذ تزيـد نسبة الشباب المصرى فى محافظة سوهاج والذين يقومون بحث الأهالى على الاهتمام بالانتخابات على بقية المحافظات الأخـرى وتقل النسبة فى محافظة السويس عن غيرها من المحافظات الأخرى فى هذا الصدد ، تلك التى بلغت (١٣ر١٩٪) و (١ر٥٪) على التوالى .

وتزيد نسبة الشباب المصرى الذين يقومون بقراءة الجرائد والمجلات للأهالى او حثهم على ذلك ، فى محافظة سوهاج حيث بلغت (٣١ر٣٢٪) فى مقابل (٩ر١٠٪) من الشباب المصرى فى محافظة الدقهلية يمارسون هذا النوع من النشاط وهى اقل نسبة بين بقية المحافظات الأخرى .

التصويت فى الانتخابات

التصويت فى الانتخابات حق يخوله الدستور فى المجتمع الديمقراطى لكل فرد ، دون تفرقة بينهم لأى سبب ومع ذلك نجد أن هناك من اعتـاد باستمرار على ممارسة هذا الحق ، والقيام بالتصويت فى كل انتخـاب او مناسبة ، بينما يقـوم البعض الآخر بالتصـويت على نحو متقطـع . ويحرص الشباب المصرى على ممارسة حقه فى التصويت والادلاء بصوته

فى الانتخابات والاستفتاءات القومية والمحلية . وزادت نسبة الشباب المصرى الذى يدلى بصوته فى الاستفتاءات والانتخابات القومية على نسبة من يقومون بالتصويت فى انتخابات المجالس المحلية حيث بلغت النسبة على التوالى (٧٣ر٤٤ ٪) ، فى مقابل (٨٧ر١٩ ٪) . وهذه النتيجة تتفق مع القول السابق بأن الناس يحرصون على التصويت فى الانتخابات القومية أكثر من الانتخابات المحلية ، وعلى انتخابات الرئاسة اكثر من انتخابات المرشحين فى المجالس النيابية . ولنا أن نتوقع اختلاف الشباب المصرى فى ممارسته لحق الانتخاب من منطقة لأخرى داخل مجتمعه — حيث بلغت نسبة الشباب المصرى الذى يدلى بصوته فى الاستفتاء والانتخابات أقصاها فى محافظة قنا والتى بلغت (٠٦ر٦٠ ٪) بينما كانت نسبة الشباب المصرى الذى يدلى بصوته فى الاستفتاء فى محافظة الاسكندرية اقل النسب بين المحافظات الأخرى وبلغت (٢ر٣٤ ٪) وبلغت نسبة الشباب المصرى الذى يدلى بصوته فى انتخابات المجالس المحلية اقصاها فى محافظة المنيا، بينما بلغت هذه النسبة اقلها فى الاسكندرية عن بقية المحافظات الأخرى ، تلك النسب التى بلغت (٢٦ر٢٦ ٪) و (٨٧ر١١ ٪)على التوالى .

عضوية الحزب :

وتمثل عملية الانضمام الرسمى الى الحزب والتمتع بعضويته اكثر صور المشاركة السياسية فعالية ، واهم أنواع السلوك التطوعى ايجابيه. ذلك لأنها تعبر عن درجة عليا من الاهتمام السياسى والوعى لدى الذين يحرصون عليها ، وتشير الى تطلعهم الى احد المناصب السياسية او الأوضاع المؤثرة فى الحزب أو على المستوى العام وبالتالى الرغبة فى التمتع بالقوة والتاثير المباشر فى السياسة العامة . والملاحظة الجديرة بالاهتمام هنا هى انخفاض نسبة الشباب المصرى الذى يحظى بعضوية احد الأحزاب فى المجتمع والتى بلغت (٥٩ر٨ ٪) . واختلاف هذه النسبة من مكان لآخر داخل المجتمع ، حيث كانت أكبر نسبة من هؤلاء الذين ينتمون الى احد الأحزاب من بين الشباب المصرى ، موجودة فى محافظة سوهاج ، واقل نسبة موجودة فى محافظة الغربية والتى بلغت (٩٥ر١٦ ٪)و(٢٥ر٤ ٪) على التوالى .

وبالنظر الى صور المشاركة السياسية بين الشباب المصرى كما تجسدها الشواهد السابقة نجد انها تنتظم فى شكل بناء أو هرم تدرجى

تتمثل قاعدته المتسعة فى اهتمام الشباب المصرى بالوقوف على القضايا السياسية والعامة ، وقمته الضيقة تشير الى نسبة من يشاركون بالعضوية فى احد الأحزاب وبين القمة والقاعدة تتدرج صور المشاركة الأخرى . وذلك نتيجة لما استحدث فى المجتمع الأكبر من أساليب تعمل على تحقيق المشاركة وتعميق الديمقراطية وخاصة التغيرات التى ادخلت على النظام السياسى والتقاليد والقيم السياسية القائمة ، حيث اتسع نطاق المشاركة من خلال التوسع فى نظام الحكم المحلى ، وزاد الاعتماد على الاستفتاء والانتخاب فى اقرار السياسة العامة والقضايا السياسية الهامة ، واستبدل التنظيم الواحد بتعدد الأحزاب . ولعل حداثة هذه التجربة الديمقراطية وديناميات التغير وأساليب التمسك بالقديم على حساب التردد فى الأخذ بالأساليب الجديدة ، من بين العوامل التى تمكن من فهم الطبيعة النامية لبناء المشاركة السياسية بين الشباب المصرى على النحو الذى كشفت عنه نتائج الدراسة الحالية .

ومن المتوقع أن تختلف هذه الصور الايجابية للمشاركة السياسية بين الشباب المصرى من مكان لآخر داخل المجتمع : اذ تعد محافظة سوهاج فى مقدمة محافظات الجمهورية التى يتمتع الشباب المصرى فيها بدرجات مشاركة عالية وفى العديد من صور المشاركة السياسية مثل الاشتراك فى المناقشات السياسية وحملات التوعية ، وعضوية الأحزاب السياسية يليها فى ذلك محافظات الاسكندرية والسويس وقنا والشرقية والمنيا ، حيث يتمتع الشباب المصرى فى هذه المحافظات بدرجات عالية من المشاركة من خلال الوقوف على القضايا السياسية الهامة والتصويت فى الانتخابات القومية ، والاشتراك فى المشروعات ، والتصويت فى الانتخابات المحلية .

وتشترك محافظات السويس والاسكندرية والغربية فى مرتبة واحدة من حيث تمتع الشباب المصرى فيها بدرجات مشاركة اقل فى عدد من صور المشاركة وخاصة التصويت فى الانتخابات القومية والمحلية (محافظة الاسكندرية) ، والاشتراك فى المشروعات وحملات التوعية (محافظة السويس) والاشتراك فى المناقشات السياسية وعضوية الأحزاب السياسية (محافظة الغربية) وتميز الشباب فى محافظة المنيا بدرجات مشاركة أقل فى الوقوف على القضايا العامة والسياسية .

٢ ـ درجات المشاركة السياسية بين الشباب المصرى :

ومن الجدير بالملاحظة ان اسهام الشباب المصرى فى صور المشاركة السياسية لا يتم بدرجات واحدة ، وانما بدرجات متباينة يأخذ توزيعهـــا ايضا بناءاً أو شكلا هرمياً عكسيا . والاقتصـــار فى معالجـــة المشاركة السياسية على البعد الأول الذى يتمثل فى صـــور المشاركـــة السياسية والذى يعبر عن الجانب الايجابى فى بناء المشاركة السياسية فيه اغفـــال لبعد آخر هام وهو درجات عدم المشاركة أو حالات عدم المشاركة والتى تعبر عن الجانب السلبى فى بناء المشاركة السياسية والتى قد ترجـــع الى دوافع مغايرة ، وتمثل صوراً سلوكية مختلفة لها دلالاتها واهميتها فى فهم وتعميق عملية المشاركة السياسية اذ يميز البعض بين مجموعتين من غير المشاركين أو على حـــد تعبيرهم بين مجموعتـــين الأولى تتسم بالتبلـــد السياسى وهم مجموعة الذين لا يسعون الى المشاركة ، والذين لا يدخل ضمنهم العجزة وغير المكترثين سياسياً ، أو المطـــرودين ثم مجموعة من يفضلون باختيارهم عدم المشاركة . وتكبر الجماعة الأولى من حيث الحجم الجماعة الثانية ، وتشتمل على الأشخاص الذين اعتادوا على عدم ممارسة حقهم فى التصويت ، والذين تتوافر لديهم معرفة قليلة بالقضايا السياسية أو بالمرشحين والذين قد يغمض عليهم فهم الأحداث السياسية ، ويندر أن يكونوا قادرين على ربط انفسهم بما يحدث خارج نطاق حياتهم الخاصة ، ويزداد التبلـــد السياسى من هذا النـــــوع بين الأقل فى التعليم ، وغير الناجحين ، والمعزولين وبعض رجـــــال الدين ، وبين اولئـــــك الذين يشغلون ادواراً ينظر فيها الى السلبية السياسية على أنها معيار أو قيمة، وذلك مثل مجموعة النساء الذين يشغلون أدواراً فى بعض النظم السياسية التى يسيطر عليها الرجال . أما المجمـــوعة الثانية من الذين يتسمـــون بالتبلد السياسى والتى برغم صغر حجمها نسبيا الا أنها أكثر تمايـــزا عن المجموعة الأولى فهى تشتمل على أولئك الذين يحتقـــرون السياسة لأنها تبدو لهم على انها خدمة ذاتية ونوعاً من الفساد وقد يتبنى البعض وجهة النظر هذه كنوع من الاسقاط لمشاعر العداوة وعدم الرضـــا عن حياتهم الخاصة ويأخذ البعض الثانى بهذا الراى تعبيراً عن خيبة الأمل المصاحبة للفشل فى تحقيق المثالية وعدم الكمال البشرى ويميل البعض الثالـــث الى

هذا الرأى لما يحملوه من سخرية للبشرية وكل ترتيباتها ، كما لا تزال هناك مجموعة رابعة تحررت من سحر السياسة ، لأن النظام السياسى القائم لا يخدم مصالحها ، أو لأنه لا يبدو أن للسياسة مغـزى أو معنى كاف فى نظرهم . أما البعض الأخير فهو يمثل مجموعة الأشخاص ذوى الاتجـاه الواقعى ، الذين اقتنعوا بأن فرصتهم فى التأثير فى النظـام السياسى العملاق او الهائل فرصة تافهة ، ولا تضمن لهم اى استثمار لما ينفقوه من وقت وطاقة ، او الذين اعتقدوا ان النظام السياسى لا يقدم لهم اية بدائل أصيلة ، وان كل الجهود التى تبذل للتغيير جهوداً عقيمة ، وتمثل نوعاً من الخداع الذاتى . ويخطىء من يظن أن كل صور عدم المشاركة والانسحاب المشار اليها سلفاً ، تتسم بالسلبيـة فى كل جوانبها . ذلـك لأن التبلد السياسى وعدم المشاركة او الاكتراث قد يكون من بين أنواع السلـوك التى تدعم ايجابياً فى بعض الجماعات الفرعية داخل مجتمعاتهم المحليـة بعيداً عن الثقافة السائدة ، ومن أمثلتهم جـماعات الغجر والـزنوج فى أمريكا وغيرهم من الأقليات المحرومة بشكل صريح أو ضمنى .

وتدلل درجات المشاركة السياسية المشار اليها سلفاً على ظواهـر السلبية السياسية ، والتى يمكن التعبير عنها بمصطلحات اللامبالاة والشك السياسى اذ تتمثل اللامبالاة فى عدم اهتمام الأفراد بالمواقف والأحـداث بصفة عامة ، أو عدم الاهتمام بكل ما يحدث فى المجتمع عموما أو فى بعض قطاعاته ، ويترتب على ذلك الامتثال الكامل والطاعة العمياء لكل ما يأتى من قبل السلطة ومقدار الشعور بالمسئولية والقـدرة على تحملهـا ، والاحساس بالغير . ويتمثل الشك السياسى فى عدم الثقة فى أحـوال وأقوال الآخرين والشعور بأن العمل السياسى عمل ردىء وفقدان الثقة فى رجال السياسة ، ويعبر الاغتراب عن شعور الفرد بالغربة عن حكومته ومجتمعه والنظام السياسى والاعتقاد بأن السياسة والحكومة فى مجتمعه يسيرها آخرون لصالح آخرين وطبقاً لمجموعة قواعـد غير عادلة ، ويشعر بأن المجتمع والسلطة لا يحسان به ، ولا يعنيهمـا أمره ، وبأنه لا قيمة له فى ذلك المجتمع ، فيفتقـد أهدافه ، وحمـاسه ودافعيته على المشاركة .

وانطلاقا من مجموعة الحقائق السابقة نستطيع الاستطراد فى بيان

درجات المشاركة السياسية بين الشباب المصرى وخاصة درجات السلبية السياسية بينهم .

بعض مظاهر اللامبالاة بين الشباب المصرى :

وتبدو بعض مظاهر اللامبالاة السياسية بين الشباب المصرى واضحة فى عدم اهتمام (٢٤٪) منهم بالوقوف على القضايا السياسية والهامة والتقاعص عن متابعة الأخبار السياسية الداخلية والخارجية وفى عدم اشتراك (٤٥٪) من هؤلاء الشباب فى المشروعات التى تنظم فى المجتمع لتحسين ظروف البيئة المحلية بالجهود الذاتية بل ان حالة اللامبالاة السياسية بين الشباب المصرى تتضح بجلاء من خلال تعليل (٣٤ر١٧٪) بعدم ادلائهم بأصواتهم فى الانتخابات بأنهم مشغولون دائماً ، مع ملاحظة تباين الشباب المصرى فى هذه الزاوية من بلد لآخر ، حيث زادت النسبة بين شباب محافظة المنوفية على بقية الشباب فى المحافظات الأخرى وكانت النسبة بين شباب محافظة الاسكندرية أقلهاوهى على التوالى (٧٢ر٢٢٪)، و (ـــر١٢٪) .

بعض مظاهر الشك السياسى بين الشباب المصرى :

ويمكن أن نستدل على بعض مظاهر الشك السياسى بين الشباب المصرى من عدم اشتراك نسبة (٥٩٪) منهم فى المناقشات السياسية لعدم الثقة فى الآخرين ، كما تنعكس بعض صور الشك السياسى بين الشباب المصرى فى عدم اشتراك (٧٦٪) منهم فى حملات التوعية السياسية ، لعدم ثقتهم فى أقوال الآخرين ونواياهم .

وكذلك فى ارجاع (٤٥ر٢١٪) من هؤلاء الشباب سبب عدم ادلائهم باصواتهم فى الانتخابات الى أن المرشحين لا يفعلون شيئاً ، ونلاحظ اختلاف الشباب المصرى فى هذا الصدد من محافظة لأخرى ، حيث زادت النسبة بين شباب الاسكندرية على بقية الشباب فى المحافظات الأخرى وكانت النسبة بين شباب محافظة قنا أقلها والتى بلغت (١٨ر٣٠٪) (٨٤ر١٣٪) على التوالى .

بعض مظاهر الاغتراب بين الشباب المصرى:

كما تبدو بعض مظاهر الاغتراب بين الشباب المصرى من تقرير (٤٢ر١٥٪) منهم بأنهم لايدلون بأصواتهم فى الانتخابات لأن أصواتهم

لا قيمة لها ، ويتفاوت الشباب المصرى من بلد لآخر من هذه الزاوية حيث بلغت النسبة بين الشباب فى محافظة المنوفية اعلى النسب بين شباب المحافظات الأخرى ، وانخفضت النسبة بين الشباب فى محافظة السويس، عن نسب الشباب فى المحافظات الأخرى والتى قدرت (٢٢ر٠٤٪) ، و (١٠ر٨٨٪) على التوالى اضف الى ما سبق من مظاهر الاغتراب بين الشباب المصرى ما سبق أن أوضحناه من شواهد تدلل على انفصال الشباب عن مجتمعهم ونظمهم السياسية وفقدهم لحماسهم ودافعيتهم الى المشاركة وخاصة نسبة الشباب الذى لا يشارك فى الانتخابات المحلية والتى بلغت (٨١٪) ونسبة الشباب الذى لا يتمتع بالعضوية فى أحد الأحزاب والتى بلغت (٩٢٪) .

وهكذا انطوت معطيات دراستنا الحالية على بعض الشواهد التى تكشف عن درجات عدم المشاركة بين الشباب المصرى والتى أمكن تصنيفها وفقاً للمفهومات والقضايا التى سبق ان طرحناها فى هذا الصدد، الى مظاهر اللامبالاه السياسية ، ومظاهر الشك السياسى ، ومظاهر الاغتراب . ولوحظ أن درجات عدم المشاركة السياسية بين الشباب المصرى تنتظم فى شكل تدرج هرمى ، يقع على رأس هذا الهرم بعض مظاهر الاغتراب بين الشباب (١٥ر٤٢٪) ، ويليه فى التدرج بعض مظاهر اللامبالاة (١٧ر٣٤٪) ثم تنتشر بعض مظاهر الشك السياسى لتشغل قاعدة الهرم ، (٢١ر٤٥٪) ، وان دلت هذه الظواهر على شىء فانما تدل على أن بناء المشاركة السياسية النامى بين الشباب المصرى تواجهه عقبات تتمثل فى هذه الصور السلبية من لامبالاة وشك ، واغتراب تحول دون تعميق الديمقراطية وبالتالى لا توفر الظروف الضرورية والمناسبة لتحقيق التنمية الاجتماعية .

وقد لوحظ أيضا ان هذه الصور السلبية للمشاركة السياسية بين الشباب المصرى تختلف من مكان الى آخر داخل المجتمع . حيث تنتشر صور اللامبالاة السياسية والاغتراب بدرجات عالية بين الشباب المصرى فى محافظة المنوفية . وتحظى محافظة الاسكندرية بدرجات عالية من حيث انتشار مظاهر الشك السياسى بين شبابها . ويقل انتشار مظاهر اللامبالاة السياسية بين شباب محافظة الاسكندرية ، والشك السياسى بين شباب قنا ، والاغتراب بين شباب السويس .

(ثالثا) ديناميات المشاركة السياسية بين الشباب المصرى :

ان ظهور ذلك البناء النامى للمشاركة السياسية بين الشباب المصرى على النحو الذى استخلصناه من معطيات وشواهد الدراسة الحالية ، وانتظام صور المشاركة السياسية بينهم وتوزيع درجاتها بهذا الشكل لا يجب أن يفهم منه أن المشاركة السياسية بين الشباب المصرى تتميز بوضع استاتيكى ثابت ، ذلك لأننا على الأقل قد لاحظنا اختلافاً وتغيراً فى صور المشاركة السياسية ودرجاتها بينهم من منطقة لأخرى داخل هذا المجتمع .

والواقع ان ظاهرة المشاركة السياسية تعتبر بمثابة ظاهرة معقدة وعملية دينامية تعتمد على متغيرات كثيرة ولكل متغير منها وزنه النسبى فى تحديد وجود هذه الظاهرة وفى تغيرها وهذا لا يعنى بالضرورة أنه لا يمكن استخدام نموذج تصورى نستعين به فى فهم ظاهرة المشاركة السياسية هذه وتفسير حركتها الدينامية . وانما يمكن على الأقل تجميع المتغيرات ذات الصلة على نحو يساعد فى تحقيق ذلك الهدف . اذ أن هناك مجموعة من العوامل الاجتماعية مثل التعليم والمهنة والمكانة والدخل والدين والنوع .. الخ ، توجه الافراد نحو او بعيداً عن المشاركة السياسية ، هذا فضلا عن الفروق بينهما فى الدوافع والقدرات ، والتى ستؤدى بالأفراد الى ان يكونوا مختلفين للاستجابة للمشاركة السياسية ، ثم الأثر الذى تحدثه طبيعة البيئة السياسية ذاتها بما فى ذلك البناء السياسى والنظم الحزبية ونمط القيم والمعتقدات السياسية السائدة على النشاط السياسى ، بحيث ترتبط وتتشابك المجموعات الثلاثة من المتغيرات فيما بينها ترابطاً وثيقاً ، واى تغير فى احداها ، يقلل أو يزيد من المشاركة .وعليه فان أى تحليل للمشاركة السياسية ينهض على واحد من هذه العوامل والمتغيرات فقط ، بدون ان يأخذ فى اعتباره المتغيرات الأخرى ، قد يبدو مضللا ولا يساعد على فهم دينامية هذه المشاركة .

ومع أخذ هذه الملاحظات فى الاعتبار نحلل دينامية المشاركة السياسية بين الشباب المصرى وخاصة فى ضوء المتغيرات والعوامل التى

وفرت الدراسة الحالية شواهد عليها وامدتنا بمعطيـــات حولها ، وهى متغيرات التعليم والمهنة والعمل .

التعليم والمشاركة السياسية بين الشباب المصرى :

يعد التعليم من أكثر المتغيـرات ارتباطاً بالمشاركـة السياسية ، ويزداد فى وجوده أثر المتغيرات الأخرى على هذه الظـاهرة ، فللتعليم ارتباط عال وثابت بالمشاركة ، ذلك لأنه يساعد جزئياً على تنمية الاحساس بالواجب المدنى ، والاهتمام ، والمصلحة والمسئولية ، والكفـاءة ، وينمى فى الوقت ذاته خصائص شخصية معينة لازمة للمشاركـة وهى الثقـة بالنفس والسيطرة والتميز والفصاحة .

وتقوم المؤسسات التعليمية ذاتها بدور المواقع الاستراتيجية التى يكتسب فيها الفرد مهارات المشاركة حيث يتعلم كيفية الانضمـــام الى التنظيمات واهميته ، وانجاز الواجبات والمشاركة فى الاجتماعات ومناقشة المسائل السياسية والاجتماعية والاقتصادية الهامة ، والتنظيم من أجـل تحقيق أهداف جماعية ، ويكون الأشخاص الأكثر تعلما افضل فى المقدرة على نقـل اهتماماتهم السياسية ومعلوماتهم الى ذويهم وابنائهم مما قـد يكون له أثره فى دوام واستمرار العلاقة بين التعليم والمشاركة . ويعمـل التعليم من ناحية أخرى على تنمية متغيرات ثلاثة أخرى لها علاقـة قوية وتأثير فى المشاركة ، هى النضـــوج والحساسية للمصالح الخاصـة ، والتنشئة الاجتماعية الفعالة على الثقافـة السياسية ، وكما ان لهـذه العوامل اثرها وعلاقتها بالفـروق بين الناس فى قيامهم بعملية التصويت فلهذه العوامل أيضاً دلالتها فى تمييز المواطنين الذين لهم فعالية سياسية عن المواطنين العاديين .

(أ) التعليم وتنمية قدرات المشاركة السياسية بين الشباب المصرى:

توفر الدراسة الحالية مجموعة من الشواهد التى توضح العلاقـة بين التعليم وتنمية قدرات المشاركة السياسية بين الشباب المصرى ، من خلال اثر التعليم فى تخريج جيل واع ، وفى تربية النشأ على تحمل المسئولية

وفى تنمية الوعى السياسى وفى تطوير قدرتهم على العمل السياسى واتخاذ القرار وفى زيادة ميلهم لخدمة البيئة المحلية ، والاسهام فى حل مشاكل المجتمع .

التعليم وتخريج اجيال واعية ومثقفة :

بلغت نسبة الشباب المصرى الذى يعتقد أن نظام التعليم الحالى يخرج أجيالا واعية ومثقفة (٧١ر٤٩ ٪) وأن هذه النسبة بلغت بين الشباب المتعلم من أفراد عينة البحث (١٠ر٣٣ ٪) ، فى مقابل (٦٠ر١٦ ٪) من بين غير المتعلمين ، ويوضح الفارق الكبير بين النسبتين الارتباط بين التعليم ، وتخريج أجيال واعية ومثقفة ، طالماكان الاعتقاد فى ذلك يزيد بين المتعلمين ، ويقل بين غير المتعلمين .

التعليم وتربية نشأ يتحمل المسئولية :

وبلغت نسبة الشباب المصرى الذى يعتقد أن نظام التعليم الحالى يربى نشأ قادراً على تحمل المسئولية (٣٥ر٧٣ ٪) . فبعضهم كان يعتقد أن التعليم يقوم بهذا الدور الى حد ما ونسبتهم (٣٥ر٢٦ ٪) ولما كانت هذه النسبة قد بلغت بين الشباب المتعلم من أفراد عينة البحث (٥٣ر٥٥ ٪) ، وبلغت بين الشباب غير المتعلم (٨٢ر١٩ ٪) ، أمكن القول بناء على هذا الفارق الكبير بين النسبتين ان التعليم يسهم فى تربية نشأ يتحمل المسئولية .

التعليم وتنمية الوعى السياسى بين الشباب المصرى :

وبلغت نسبة الشباب المصرى الذى يعتقد أن نظام التعليم الحالى ينمى الوعى السياسى بين الشباب (٩٢ر٥٨ ٪) ، بعضهم كان يعتقد ان نظام التعليم ينمى الوعى السياسى بين الشباب الى حد ما بنسبة (٠٤ر٢٢ ٪) ولما كانت هذه النسبة قد بلغت بين الشباب المتعلم من أفراد عينة البحث (٠٢ر٤٤ ٪) وبلغت نسبة الشباب غير المتعلم (٨٢ر١٤ ٪) ، يمكن القول استناداً الى الفارق بين النسبتين ان التعليم يسهم فى تنمية الوعى السياسى بين الشباب المصرى .

التعليم والعمل السياسى واتخاذ القرارات :

ولقد بلغت نسبة الشباب المصرى الذين يعتقدون أنهم على مستوى تحمل المسئولية فى مجال العمل السياسى واتخاذ القرار (٨١ر٤٣٪) كما ان هناك اختلافاً بين الشباب من منطقة الى أخرى من هذه الناحية ، حيث بلغت نسبة الشباب المصرى فى محافظة سوهاج أعلى نسبة بين شباب المحافظات الأخرى ، وبلغت نسبة الشباب فى محافظة الاسكندرية أقل نسبة بين الشباب فى المحافظات الأخرى،وكانت هذه النسب (٢٦ر٥٥٪) و (٧٠ر٣٤٪) على التوالى .

ولما كانت نسبة الشباب المصرى المتعلم من افراد عينة البحث الذين يعتقدون أنهم على مستوى تحمل المسئولية فى مجال العمل السياسى واتخاذ القرارات قد بلغت (٢٩ر٣٢٪) وبلغت نسبة الشباب غير المتعلم فى هذا الصدد (٥٠ر١١٪) أمكن القول فى ضوء الفرق الواضح بين النسبتين ان هناك علاقة بين التعليم وتحمل الشباب مسئولية العمل السياسى واتخاذ القرار أو بعبارة أخرى يؤثر التعليم فى جعل الشباب على مستوى تحمل المسئولية فى مجال العمل السياسى واتخاذ القرارات .

التعليم وخدمة البيئة المحلية :

وبلغت نسبة الشباب المصرى الذين يعتقدون أنهم على مستوى تحمل المسئولية فى مجال خدمة البيئة المحلية (٥٢ر٦٤٪) . ولقد لوحظ فى ضوء معطيات الدراسة الحالية ان هناك اختلافاً بين الشباب من منطقة لأخرى فى هذه الناحية حيث بلغت نسبة الشباب فى محافظة الغربية أعلى نسبة بين شباب المحافظات الأخرى الذين يعتقدون أنهم على مستوى تحمل المسئولية فى مجال خدمة البيئة ، وكانت نسبة الشباب فى محافظة بنى سويف تمثل أقل النسب بين المحافظات الأخرى تلك التى بلغت (١٩ر٧٣٪) و (٤٨ر٦٪) على التوالى .

والسؤال الذى قد يثار هنا ، هل يتفق الاعتقاد السائد بين الشباب المصرى على انهم علىمستوى تحمل المسئولية فى مجال خدمة البيئة المحلية مع سلوكهم الفعلى فى هذا المجال ؟ .. والاجابة على ذلك يمكن ان نستخلصها من مقارنة النتائج التى انتهينا اليها سلفاً حول اسهام

الشباب المصرى فى مشروعات خدمة البيئة والتى دلت على أن شباب محافظات الشرقية هم أكثر شباب المحافظات مشاركة فى هذا الصدد بمقارنتها بالنتيجة القائلة بأن شباب محافظة الغربية هم أكثر شباب المحافظات مشاركة فى مشروعات خدمة البيئة . وان دل ذلك على شىء فانما يدل على أن هناك هوة بين اتجاهات الشباب وسلوكهم الفعلى ، والأمر يحتاج الى مزيد من الجهد لكى يكون سلوكهم على مستوى قريب نوعاً من اعتقاداتهم واتجاهاتهم .

ولما كانت نسبة الشباب المصرى المتعلم من أفراد عينة البحث الذين يعتقدون أنهم على مستوى تحمل المسئولية فى مجال الاسهام فى خدمة البيئة المحلية قد بلغت (٤٧,٠٥ ٪) وكانت نسبة الشباب غير المتعلم فى هذا الصدد (١٧,٤٠ ٪) يمكن القول فى ضوء الفارق الواضح بين النسبتين ، ان التعليم يرتبط بالاعتقاد فى تحمل المسئولية فى مجال خدمة المجتمع بين الشباب او أن التعليم يؤثر فى تنمية القدرة على تحمل المسئولية بين الشباب فى مجال خدمة البيئة المحلية .

والخلاصة التى يمكن ان نهتدى اليها بناء على النتائج السابقة ان نظام التعليم فى مصر يسهم فى تنمية القدرات اللازمة لممارسة المشاركة السياسية بين الشباب المصرى ، حيث بلغت نسبة الشباب المتعلم الذى اعتقد أن التعليم يسهم فى تخريج اجيال واعية ومثقفة (٣٣,٠١ ٪) وبلغت نسبة الشباب المتعلم الذى يعتقد أن التعليم يسهم فى تربية نشىء يتحمل المسئولية (٥٥,٣ ٪) كما بلغت نسبة الشباب المتعلم الذى يعتقد ان التعليم يسهم فى تنمية الوعى السياسى بين الشباب (٤٤,٠٢ ٪) وبلغت نسبة الشباب المتعلم الذى يعتقد ان التعليم يجعل الشباب على مستوى تحمل المسئولية فى مجال العمل السياسى واتخاذ القرار (٣٢,٢٩ ٪) وفى مجال خدمة البيئة المحلية (٤٧,٠٣ ٪) ولكن ضآلة النسب وعدم تجاوزها (٥٠ ٪) من أفراد عينة البحث اللهم الا فى حالة اسهام التعليم فى تربية نشىء يتحمل المسئولية تدل على ان دور التعليم فى تنمية قدرات المشاركة السياسية بين الشباب المصرى دوراً محدوداً ، الأمر الذى قد تكون له دلالته الاخرى فيما يتعلق بنظام التعليم فى مصر وضرورة الاهتمام به الى الحد الذى يستطيع أن يحقق اثره الفعال فى مجال المشاركة السياسية

وتنمية القدرات اللازمة لها وبالتالى فى تحقيق الديمقراطية وتهيئة الظروف الضرورية لعملية التنمية الاجتماعية .

(ب) التعليم وممارسة المشاركة السياسية بين الشباب المصرى :

فى ضوء ما وفرته الدراسة الحالية من معطيات توضح العلاقة بين التعليم وممارسة المشاركة السياسية بين الشباب المصرى وخاصة حرصهم على الوقوف على القضايا السياسية الهامة فى المجتمع من خلال متابعة الأخبار السياسية الداخلية والخارجية ، والادلاء بأصواتهم فى الاستفتاءات والانتخابات ، وعضوية الأحزاب السياسية ، يمكن اجراء التحليلات التالية تمهيدا لاستخلاص عدد من النتائج التى تلقى الضوء على طبيعة هذه العلاقة .

التعليم والوقوف على القضايا السياسية الهامة فى المجتمع بين الشباب المصرى :

ان اختلاف صور المشاركة السياسية بين الشباب المصرى وتباين درجاتها على النحو الذى سبق أن كشفنا عنه فى ضوء معطيات ونتائج الدراسة الحالية وخاصة تغير نسبة المشاركين وغير المشاركين من بلد الى آخر وبين فئات الشباب المصرى تجد ما يفسرها فى ضوء تحليل ما توفره لنا دراستنا الحالية من معطيات تبرز العلاقة بين التعليم والوقوف على القضايا السياسية الهامة من خلال متابعة الشباب للأخبار السياسية الخارجية والداخلية . اذ تشير البيانات الى ارتفاع نسبة الشباب المصرى المتعلم بين افراد عينة البحث والذين يتابعون الأخبار السياسية الداخلية والخارجية سواء بطريقة دائمة أو أحيانا ، والتى بلغت (٥٨ر٠٦ ٪) ، فى مقابل انخفاض نسبة الشباب غير المتعلم والذى يتابع الأخبار والتى بلغت (١٦ر٤٣ ٪) بحيث يسمح لنا الفارق الكبير بين النسبتين الى القول بوجود علاقة ايجابية بين التعليم والاهتمام بالوقوف على القضايا السياسية والهامة بين الشباب المصرى ، رغم التحفظات التى سبق أن سقناها سلفا حول نظام التعليم فى مصر .

التعليم وادلاء الشباب المصرى بصوتهم فى الانتخابات :

عند دراسة الحقائق التى توفرها الدراسة الحالية حول العلاقة بين التعليم وادلاء الشباب المصرى بصوتهم فى الانتخابات ، لاحظنا ان نسبة المتعلمين من افراد عينة البحث والذين يدلون بأصواتهم فى الانتخابات تزيد على نسبة غير المتعلمين الذين يدلون بأصواتهم ، حيث كانت النسب (٢٩ر٣٢٪) و (٤٢ر٢٪) على التوالى ، وان كان الفارق الكبير بين النسبتين يسمح بالقول بأن هناك علاقة بين التعليم وادلاء الشباب بأصواتهم فى الانتخابات ، الا أن امعان النظر فيما انطوت عليه هذه البيانات وغيرها من دلالات ، تساعدنا على القول بأن العلاقة بين التعليم وادلاء الشباب بصوتهم فى الانتخابات لم تكن علاقة ايجابية ، كما هو الحال بين التعليم والوقوف على القضايا السياسية الهامة ، بقدر ما هى علاقة عكسية ، ذلك لأن نسبة المتعلمين الذين لا يدلون بأصواتهم فى الانتخابات تفوق نسبة الذين يدلون بأصواتهم حيث بلغت هذه النسب (٤٨ر٣٤٪) و (٢٩ر٣٢٪) على التوالى ، وان كان بامكاننا أن نستخدم هذه العلاقة العكسية فى القاء الضوء على بناء المشاركة السياسية بين الشباب المصرى ، ، وفهم دينامياتها فالواضح ان هذه العلاقة العكسية تفسر بعض مظاهر الاغتراب السياسى بين الشباب المصرى ، وتدلل على انتشار هذه المظاهر بين المثقفين من هؤلاء الشباب أكثر من غيرهم وان كان للاغتراب نتائجه غير المرغوبة بين غير المتعلمين فالأمر يصبح أكثر مدعاة للتفكير والتوقف والى بذل المزيد من الجهد فى هذا الصدد خاصة وان نتائج الاغتراب بين المثقفين قد تفوق كل تصور وتقدير ، وتعبر عن انفصال الاعضاء الذين أهتم المجتمع باعدادهم لتنميته واعراضهم عن المشاركة فى مسيرة تنميته .

التعليم وعضوية الأحزاب السياسية بين الشباب المصرى :

وفى ضوء المعطيات التى تمدنا بها الدراسة الحالية فيما يتعلق بالعلاقة بين التعليم وعضوية الأحزاب السياسية بين الشباب المصرى ، يمكن الاشارة الى أن نسبة المتعلمين الذين يتمتعون بالعضوية فى الأحزاب السياسية من افراد عينة البحث تزيد على نسبة غير المتعلمين الذين لا يتمتعون بالعضوية فى احد الأحزاب السياسية حيث كانت النسب (٥٨ر٦٪) ، (٠٠ر٢٪) على التوالى . وعلى الرغم من أن هناك فارقا

واضحا بين النسبتين يجعل بامكاننا ان نقرر ان هناك علاقة بين التعليم وبين تمتع الشباب بالعضوية فى الأحزاب السياسية الا أن تعمق بقية النسب التى تمدنا بها دراستنا فى هذا الصدد ، تساعدنا على القول بأن العلاقة بين التعليم وبين تمتع الشباب المصرى بالعضوية فى الأحزاب السياسية علاقة عكسية ، مثل العلاقة بين التعليم وادلاء الشباب بأصواتهم فى الانتخابات ، ذلك لأن نسبة المتعلمين الذين لا يتمتعون بالعضوية فى الأحزاب السياسية تفوق نسبة الذين يتمتعون بالعضوية فى هذه الأحزاب حيث بلغت هذه النسب (٦٤ر٩٩٪) و (٥٨ر٦٪) على التوالى وبامكاننا أن نستعين بهذه الحقيقة التى تدل على وجود علاقة عكسية بين التعليم وعضوية الأحزاب السياسية بين الشباب المصرى ، ونضيفها الى العلاقة العكسية السابقة التى اتضحت بين التعليم وادلاء الشباب بأصواتهم فى الانتخابات لتدعم تفسيرنا السابق ، والذى مؤداه ان ظاهر الاغتراب السياسى التى لاحظناها بين الشباب المصرى ، تتضح أكثر بين المثقفين والمتعلمين عن غيرهم ، وتؤكد فى ذات الوقت نفس التحفظات التى سبق أن نوهنا اليها عند الحديث عن العلاقة بين التعليم والادلاء بالأصوات فى الانتخابات .

وهكذا يمدنا التحليل السابق الذى أدرناه حول العلاقة بين المشاركة السياسية وتعليم الشباب المصرى باجابات واضحة حول ما يمكن أن يثار فى ذهننا من تساؤلات فى هذا الصدد وخاصة ، هل ينمى التعليم الاحساس بالواجب والمسئولية والاهتمام والكفاءة والثقة بالنفس والسيطرة والتميز باعتبارها قدرات ضرورية . ولابد منها للمشاركة السياسية ؟ وهل هناك علاقة بين التعليم وممارسة المشاركة السياسية ؟ وما هى طبيعة هذه العلاقة ؟ وكيف يمكن للتعليم أن يميز بين شباب لديهم فعالية سياسية والذين ليس لديهم مثل هذه الفعالية أو يميلون الى السلبية .

فلقد سبق أن أشرنا الى أن للتعليم فى مصر دورا فى تنمية قدرات المشاركة السياسية ، وان هذا الدور كان محدودا ويحتاج هذا الدور الى تدعيم بشكل أو باخر . ونستطيع بالمثل أن نقرر ان هناك فى ضوء نتائج الدراسة الحالية علاقة بين التعليم والمشاركة السياسية ، وانها علاقة عالية وثابتة ، وهذا ما تدل عليه الحقائق التى استخلصناها من دراسة

العلاقة بين التعليم وممارسة الشباب المصرى للمشاركة السياسية وخاصة فى مجالات الوقوف على القضايا السياسية والهامة والادلاء باصواتهم فى الانتخابات وعضوية الأحزاب السياسية ولكن الملاحظة الجديرة بالتنويــة هنا ، هى ان هذه العلاقة الواضحة بين التعليم وممارسة المشاركـــة السياسية بين الشباب ، كانت ذات طبيعة متغايرة ، حيث كانت هناك علاقة ايجابية بين التعليم والوقوف على القضايا السياسية والهامة بين الشباب المصرى ، بينما كانت العلاقة بين التعليم وصور المشاركة السياسية الأخرى مثل الادلاء بالصوت فى الانتخابات ، وعضوية الحزب ، علاقة عكسية ولقد استعنا بهذه النتيجة فى توضيح الكيفية التى يمكن أن يسهم بها التعليم فى التمييز بين الشباب الذين لديهم فعالية سياسية والذين ليس لديهم مثل هذه الفعالية ، او يميلون الى السلبية حيث أوضحنا أن مظاهر الاغتراب السياسى بين الشباب تنتشر بين فئة المتعلمين منهم دون غير المتعلمين وأشرنا فى ذات الوقت الى النتائج التى يمكن أن تترتب على هذا الوضع ٠

٢ ـ المهنة والعمل والمشاركة السياسية بين الشباب المصرى :

وكما تميل المشاركة السياسية الى الزيادة بين أعضاء المجتمع ذوى الفرص التعليمية الأفضل ، فانها تميل كذلك الى الزيادة بين الجماعات المهنية والدخل الأعلى ٠ اذ ترجع المشاركة السياسية الزائدة من جماعات المكانة العليا استنادا الى المهنة والدخل ، فى معظم المجتمعات فى جانب منها الى تعليمهم المتفوق ، وفى جانب آخر الى الفرص المتزايدة المتاحة لهم للتوصل الى المعرفة المباشرة بالسياسة والقضايا السياسية والتأثير فيها ولسهولة الوصول الى مراكز القيادة السياسية ومصادر اتخاذ القرارات السياسية ، أو سرعة الاتصال بهم كما يرجع النشاط السياسى الزائد بين أصحاب المهن ذات المكانة العليا الى ما يتميزون به من اهتمام ووعى وقدرة على ادراك العلاقة بين مصالحهم الخاصة والقرارات الحكوميــــة والأهداف والمصالح العامة والسياسية وهذا معناه ان المشاركة السياسية ترتبط ايجابيا بالمهنة والعمل وما يوفره من دخل أو عموما بما يعرف باسم المكانة الاجتماعية العليا فى المجتمع ٠ فالى أى حد ترتبط المشاركة السياسية بين الشباب المصرى بالمهن والعمل والدخل ؟ ، والى أى مدى

تسمح الاستعانة بهذه المتغيرات فى فهم وتفسير دينامية المشاركة السياسية بين الشباب المصرى ؟ .

المهنة والوقوف على القضايا السياسية الهامة بين الشباب المصرى :

وتشير البيانات التى أمدتنا بها الدراسة الحالية الى أن نسبةأصحاب المهن المختلفة من بين الشباب فى المجتمع المصرى الفلاحون والعمال والموظفون والحرفيون والمهنيون والذين يحرصون على الوقوف على القضايا السياسية الهامة من خلال متابعة الاخبار السياسيةوالداخلية ، أكبر من نسبة الذين لايحرصون على ذلك بينهم . اذ بلغت هذه النسب(٧٠ر٥٩٪) (٧٦ر١٧٪) على التوالى . كما تدل هذه البيانات على أن نسبة مشاركة الفلاحين تفوق نسبة مشاركة غيرهم من أصحاب المهن الأخرى بين الشباب فى مصر ، بينما كانت نسبة مشاركة الحرفيين أقل نسبة من غيرهم من أصحاب المهن الأخرى ، اذ وصلت هذه النسب الى (١٢ر٢٥٪) و (٣٨ر٧٪) على التوالى ، ولما كانت هذه النتائج لاتعيننا على بيان العلاقة بين المشاركة السياسية والمهن والدخل أو المكانة الاجتماعية ، بقدر ماتشير الى الذين يشاركون من أصحاب المهن بين الشباب المصرى فى هذه الصورة من صور المشاركة السياسية أكثر من غيرهم . لذلك فكرنا فى التدخل فيما توفر تحت أيدينا من بيانات واعادة تصنيفها على نحو يبين ترتيب المهن على مجموعات مهنية متقاربة حتى نستطيع الكشف عن انتشار هذا الحرص فى الوقوف على القضايا السياسية الهامة بين مجموعات المهن المختلفة ، الأمر الذى نتوقع معه وضوح العلاقة بين المهنة والمشاركة السياسية .

ولنحاول القاء الضوء على طبيعة هذهالعلاقة.فاذا سلمنا بامكانية اعتبار مهن الحرفيين الى حد ما (أصحاب العمل اليدوى والفنى والذين يشتهرون بزيادة دخولهم) والمهنيون (الأطباء والمهندسون ، والصيادلة، والمحامون والذين يتمتعون بمستوى تعليمى عال ودخل أكبر) يكونون مجموعة المهن التى يتوقع أن يكون لها دورا فعالا بين الشباب فى المجتمع ، وتكون فئة الموظفين مجموعة المهن التى لها درجة متوسطة من الفعالية وتتكون مجموعة المهن التى لها فعالية ونشاط أقل من العمال والفلاحين. فان اعادة ترتيب البيانات التى توفرها الدراسة الحالية على هذا النحو

يشير الى زيادة نسبة الشـــباب المصرى الذى يحرص على الوقوف على القضايا السياسية والهامة بين مجموعة المهن الزراعية والعمالية وانخفاض نسبة الشباب المصرى الذى يحرص على الوقوف على القضايا السياسية والهامة بين (المهنيين والحرفيين) حيث بلغت النسب فى هذا الصـــدد (٣١ر٣٣٪)و (٤٠ر١٦٪) على التوالى بحيث تسمح لنا هذه النسب بالقول بأن هناك علاقة بين المهن والدخل والمشاركة وخاصة الوقوف على القضايا السياسية والهامة بين الشباب المصرى • غير أن الفارق الكبير بين النسبتين يضفى على هذه العلاقة مغزى ومعنى ، ويجعلنا نقرر أن هذه العلاقة ليست علاقة ايجابية بقدر ما هى علاقة عكسية على خلاف ما هو سائد بين نتائج البحوث الأخرى السابق الاشارة اليها وهذا يدعونا من ناحية أخرى الى الوقوف أمام هذه النتيجة لنستعيد فى ذاكرتنا ما كنا قـد كشفنا عنه من مظاهر اللامبالاة والشك السياسى والاغتراب بين الشباب المصرى ، والذى نجد مغزى له فيما تنطوى عليه هذه العلاقة العكسية بين المهنة والمشاركة السياسية من مضامين اذ يمكن القول على الأقل ان مظاهر اللامبالاة والشك السياسى والاغتراب بين الشباب المصرى تتضح بين أصحاب المهن التى يتوقع منها الفعالية والنشاط وخاصة المهنيين والحرفيين ولا يمكن أن نشك فى خطورة النتائج المترتبة على هذه الظواهر الأمـر الذى سنزيده تفصيلا فيما بعد •

المهنة والادلاء بالصوت فى الانتخابات بين الشباب المصرى :

تدل بيانات الدراسة الحالية على أن نسبة أصحاب المهن المختلفة من بين الشباب فى المجتمع المصرى وخاصة العمـــال والموظفون والحرفيون والمهنيون دون الفلاحين والذين يدلون بأصواتهم فى الانتخـــابات والاستفتاءات أقل من نسبة الذين لا يدلون بأصواتهم هذه • اذ بلغت النسب فى هـــذا الصدد (٧٥ر١٨٪) ، (٧٨ر٢١٪) على التوالى • وتدل هذه البيانات من ناحية أخرى على أن نسبة مشاركـــة الفلاحين وحرصهم على الأدلاء بأصواتهم فى الانتخابات تفوق نسبة مشاركة غيرهم من الشباب أصحاب المهن الاخرى فى مصر • بينما كانت نسبة مشاركة الحرفيين أقل نسبة من غيرهم من أصحاب المهن الاخرى من الشباب المصرى اذ قدرت هذه النسب على التوالى (٤٠ر١٩٪) و (٢١ر٤٪) وهذه النتائج

فى حد ذاتها لا تسمح لنا ببيان العلاقة بين المهنة والمشاركة السياسية من هذه الناحية ونعنى الادلاء بالصوت فى الانتخابات وكل ماتعيننا به هى أنها توجه نظرنا وتساعدنا فى التعرف على من الذين يشاركون من الشباب المصرى من أصحاب المهن أكثر من غيرهم فى هذه الصورة من المشاركة السياسية ٠

ووجدنا فى تصنيف هذه البيانات على النحو الذى أشرنا اليه سلفا، الوسيلة التى تساعدنا فى تحقيق هدفنا وهو بيان العلاقة بين المهنة والمشاركة السياسية بهذه الصورة ، ومعرفة طبيعتها ٠ فلقد لوحظ زيادة نسبة الشباب المصرى الذى يحرص على الادلاء بصوته فى الانتخابات والاستفتاءات من أصحاب المهن الزراعية والعمالية ، وانخفاض نسبة الشباب المصرى الذى يحرص على الادلاء بصوته فى الانتخابات من بين الشباب فى مجموعات المهن الحرفية والمهنية حيث وصلت النسب فى هذا الصدد الى (١٧ر٢٣٪) و (٦٤ر٨٪) على التوالى واذا كانت هذه النسب تسمح لنا بالقول بأن هناك علاقة بين المهن والدخل والمشاركة السياسية فى صورة الادلاء بالصوت فى الانتخابات بين الشباب المصرى ٠ غير أن المغزى والدلالة التى نستخلصها من الفارق الكبير بين النسبتين ، يساعدنا على القول بان هذه العلاقة تعتبر بمثابة علاقة عكسية ، على خلاف ما هو سائد أيضا بين نتائج البحوث السابقة فى هذا الميدان ٠ وتضاف هذه النتيجة الى النتائج الأخرى السابق الانتهاء اليها فى هذه الدراسة والخاصة بالعلاقة بين العوامل الاجتماعية والمشاركة السياسية من الشباب المصرى كرصيد يمكن الافادة منه فى تعليل مظاهر اللامبالاة والشك السياسى والاغتراب على النحو الذى نوهنا اليه من قبل ٠

المهنة وعضوية الأحزاب السياسية بين الشباب المصرى :

تكشف معطيات الدراسة الحالية عن أن نسبة اصحاب المهن المختلفة بين الشباب فى المجتمع المصرى ، والذين ينضمون الى عضوية الأحزاب السياسية أقل بشكل واضح من نسبة الذين ينضمون بالعضوية الى هذه الأحزاب ، اذ بلغت هذه النسب (٣٢ر٦٩٪) ، (١٥ر٧٪) على التوالى ٠

وعلى الرغم من صغر هذه النسب، الا أنها تدل على أن نسبة مشاركة الفلاحين وانضمامهم الى الأحزاب السياسية تفوق نسبة مشاركة غيرهم

من الشباب أصحاب المهن الأخرى ، بينما كانت نسبة مشاركة الحرفيين أقل النسب جميعا فى هذا الصدد ، والتى بلغت على التوالى (٦٨ر٣٪) و (٥٦ر٠٪) . واذا كانت هذه النتائج توضح لنا من الذين يشاركون من الشباب المصرى من بين أصحاب المهن المختلفة أكثر من غيرهم فى هـــذه الصورة من صور المشاركة السياسية ، فاننا نستطيع كما أوضحنا سلفا لو أعدنا تصنيف هذه البيانات ، أن نكشف عن العلاقة بين المهنة والانضمام الى الاحزاب السياسية ونقف على طبيعة هذه العلاقة . اذ اتضح زيادة نسبة الشباب المصرى الذى ينتمى بالعضوية الى الاحزاب السياسية بين أصحاب المهن الزراعية والعمالية وانخفاض نسبة الشباب المصرى الذى يتمتع بالعضوية فى الاحزاب السياسية من بين الشباب فى مجموعات المهنيين والحرفيين ، ولقد قدرت هذه النسب على التوالى (٤٦ر٤٪) ، (١١ر١٪) وهى نسب تدل على وجود علاقة بين المهنة والمشاركة السياسية فى صورة الانتماء بالعضوية الى الاحزاب السياسية . كما يدل الفارق بين النسبتين على أن هذه العلاقة تعتبر بمثابة علاقة عكسية ، وذلك على خلاف ما هو متبع أو معتاد بين نتائج البحوث السابقة .

ويمكن اضافة هذه النتيجة الى نتائج سابقة أخرى مماثلة انتهينا اليها . وتشير الى العلاقة بين العوامل الاجتماعية والمشاركة السياسية بين الشباب المصرى ، لتثرى وتعمق فهمنا لمظاهر اللامبالاة والشك السياسى والاغتراب التى كشفنا عن انتشارها بين الشباب المصرى . وتؤكد أيضا انتشار هذه المظاهر السلبية السياسية من بين المجموعات المهنية والحرفية . واذا توقفنـا أمـام النتائج السابقة لنوضح امكانية الاستفادة منها فى الاجابة على التساؤلات التى يمكن أن تثار حول أثر المهنة فى المشاركـــة السياسية بين الشباب المصرى ومن هم الذين يشاركون من الشباب المصرى أصحاب المهن أكثر من غيرهم ؟ أو ما هى مهن الشباب الأكثر مشاركة عن غيرهم ؟ وهل هناك علاقة بين المهنة والمشاركة السياسية ؟ وما هى طبيعة هذه العلاقة ؟ والى أى حد يمكن أن نستعين بالمهنة كعامل اجتماعى فى التمييز بين الذين يشاركون بفعالية عن غيرهم ممن يتسمون بالسلبية السياسية ؟ فانه يمكن القول اجمالا : ان البيانات التى أمدتنا بها الدراسة الحالية تشير الى أن الفلاحين أهم وأكثر أصحاب المهن مشاركة بين الشباب المصرى ، وهذا واضح من ارتفاع نسبة مشاركة الفلاحين فى صور المشاركة المختلفة ، وخاصة الوقوف على القضايا السياسية والهامة

بنسبة (١٢ر٢٥٪) والادلاء بأصواتهم فى الانتخابات بنسبة (٤ر١٩٪) وعضوية الأحزاب السياسية بنسبة (٦٨ر٣٪) وأن أصحاب المهن الحرفية من أقل المجموعات المهنية اسهاما فى المشاركة ، كما تشير اليه نسبتهم فى صور المشاركة السياسية على التولى (٣٨ر٧٪) ، (٢ر٤٪) ، (٥٦ر٠٪)

وعندما أعدنا تصنيف المعطيات التى امدتنا بها الدراسة الحالية على نحو يبين ترتيب المهن واعتبرنا المهنيين الأطباء والمهندسون ، والصيادلة، والمحامون ومن اليهم ممن يتمتعون بمستوى تعليمى عـــال ودخـل كبير ، والحرفيون الى حد ما أصحاب العمل اليدوى الفنى والذين يشتهرون بزيادة دخولهم ، يكونون فئة المهن التى يتوقع فعاليتها بين الشباب فى المجتمع ثم فئة المهن الزراعية والعمالية حتى تتضح لنا العلاقة بين المهنة والمشاركة السياسية ، ونلقى الضوء على طبيعة هذه العلاقة ٠ وجدنا أنه برغم ما تشير اليه معطيات الدراسة الحالية من حقائق تدل على وجود علاقة بين المهنة وممارسة المشاركة السياسية ، حيث قلت نسبة المشاركة عموما بين المهنيين والحرفيين وزادت بين الفلاحين والعمال فكانت نسبة من يشاركون من أصحاب المجموعة المهنية الأولى فى الوقوف على المسائل السياسية والهامة وفى الادلاء بأصواتهم فى الانتخابات وفى العضوية فى الأحزاب السياسية (٤ر١٦٪) ، (٦٤ر٨٪) ، (١١ر١٪) على التوالى ٠ بينمـــا كانت نسبة مشـــاركة أصحاب المهن الزراعية والعمـــالية فى هذه الصور للمشاركة السياسية (٣١ر٣٣٪) ، (١٧ر٢٣٪) ، و (٤٦ر٤٪) على التوالى ٠

وهذه العلاقة الظاهرة بين المهنة وممارسة المشاركة السياسية بين الشباب المصرى ، ليست علاقة ايجابية بقدر ما هى علاقة عكسية على خلاف ما هو سائد بين نتائج البحوث السابقة التى أجريت عن المشاركة السياسية فى مجتمعات مغايرة ٠ وتدعونا هذه النتائج الى التأمل والنظر واستعادة ما كنا قد كشفنا عنه من مظاهر اللامبالاة والشك السياسى والاغتراب بين الشباب المصرى ، والتى تجد مغزى ودلالة ومعنى فيما تنطوى عليه هذه العلاقة العكسية بين المهنة وممارسة المشاركة السياسية من مضامين ، وتجعل فى الامكان القول بأن المهنة باعتبارها من بين العوامل الاجتماعية تسهم فى التمييز بين الشباب الذين لديهم فعالية سياسية وبين الذين

يميلون الى السلبية السياسية حيث يمكن القول استنادا الى نتائج الدراسة الحالية أن مظاهر اللامبالاة والشك السياسى والاغتراب بين الشباب المصرى تتضح بين المهنيين والحرفيين والذين أظهروا عدم الاهتمام بالقضايا السياسية والهامة فى المجتمع وعدم الحرص على الادلاء بأصواتهم فى الانتخابات وعدم الانتماء بالعضوية الى الأحزاب السياسيةفى المجتمع. وباضافة هذه النتيجة الى النتيجة السابق الانتهاء اليها فيما يتعلق بالعلاقة بين التعليم والمشاركة السياسية يمكن القول ان مظاهر السلبية السياسية بين الشباب المصرى،توجد بين الشباب المتعلم وخاصة المهنيين، الأطباء والصيادلة والمهندسين وغيرهم وتؤكد ما كنا قد وجهنا النظر اليه من خطورة النتائج المترتبة على هذه الظواهر لأن ذلك يدل على الأقل على أن المجتمع المصرى قد خسر ما كان قد استثمره فى اعداد هذه المجموعات المهنية والتعليمية وتهيئتهم للمشاركة فى مسيرة تنميته وتقدمه الأمر الذى يدعونا الى بذل مزيد من الجهد بسرعة للوقوف على العوامل الدينامية والفعالة فى انتشار مظاهر السلبية السياسية بين هذه الفئات والتعرف على نتائجها حتى يمكن وضع انسب البرامج للتغلب على هذه الظواهر وتدعيم المشاركة السياسية بينهم .

وعلى الرغم من أن التحليل السابق يكشف لنا عن أثر عوامل التعليم والمهنة فى ممارسة المشاركة السياسية بين الشباب المصرى ، ويوضح دينامية المشاركة السياسية بينهم ، بمعنى اختلاف صورها ودرجاتها وتغيرها بتغير بيئاتهم وظروفهم التعليمية والمهنية الا أنه تبقى أمامنا مهمة تفسير اختلاف مجموعة النتائج التى توصلت اليها الدراسة الحالية حول بناء المشاركة السياسية بين الشباب المصرى ودينامياتها عن نتائج الدراسات السابقة فى هذا الصدد والتى يفضل فهمها فى السياق الاجتماعى الأكبر للمجتمع ، وفى ضوء طبيعة البناء الاجتماعى للمجتمع المصرى ، ونوعية النظم الاجتماعية الأسرية والاقتصادية والسياسية السائدة .

ذلك لأن ظهور بناء نامى للمشاركة السياسية بين الشباب المصرى يعبر عن توزيع يحتاج الى تدعيم لصور المشاركة السياسية بينهم وعن توزيع غير متوقع آخر لدرجات المشاركة وخاصة السلبية السياسية بين الشباب المصرى ، من صور اللامبالاة والشك السياسى والاغتراب،ويؤكد

الفعالية المحدودة • للتعليم فى تنمية قدرات المشاركة السياسية وممارسة صورها ، ويدلل على أن المكانة الاجتماعية المستندة الى المهنة لا تعد بمثابة شرطا ضروريا للمشاركة السياسية على نحو مغاير لما تؤكده نتائج البحوث السابقة حول المشاركة السياسية فى مجتمعات أوربية وأمريكية وعربية اخرى ، يمكن أن نجد تفسيرا له فى اطار البناء الاجتماعى الأكبر للمجتمع المصرى والذى يختلف بلاشك عن طبيعة الابنية الاجتماعية لهذه المجتمعات، فالواقع أن الحصول على الحقوق الديموقراطية من خلال الاجراءات التى استحدثت فى المجتمع المصرى والتى تمثلت فى توسيع نطاق الحكم المحلى ، والاعتماد على أسلوب الاستفتاء والانتخاب فى اقرار القضايا العامة والقرارات السياسية والهامة • وفى احلال تعدد الأحزاب محل التنظيم الواحد ، على النحو الذى أشرنا اليه سلفا ، لا يعنى الممارسة والمشاركة الحقيقية ، الا بعد توافر عدة ظروف موضوعية تمثل حدا أدنى من الشروط اللازمة على حد تعبير علماء الاجتماع السياسى ، أو المتطلبات الاجتماعية والاقتصادية اللازمة لتدعيم المشاركة السياسية وتعميق الممارسة الديموقراطية ، تلك التى تم استخلاصها من خلال استقراء التجارب الديموقراطية فى العالم على مدى القرون الماضية والتى تتلخص فى بناء أسرى له طبيعة ملائمة ، وبناء طبقى متميز ، وتوفر الجماعات التطوعية والوسيطة وغيرها ، فلا شك أن البناء الأسرى الذى يتسم بالاختيار الفردى فى الحب والزواج ، وبالتساوى فى توزيع الأدوار بين الزوجين والذى يعتمد على الأقناع والحوار بدلا من الأوامر المتسلطة والقطعية فى تنشئة الاطفال هو البناء الأسرى الملائم الذى يمد الفرد بمجموعة معتقدات وقيم وسلوك تنمى لديه قدرات لازمة واساسية للمشاركة السياسية ، كما أن البناء الطبقى المفتوح الذى يسمح بدرجة عالية من الحراك الاجتماعى ويتيح الفرصة نظريا وعمليا لكى يغير الأفراد والجماعات من وضعهم الطبقى صعودا وهبوطا،والذى يكون فيه التفاوت الطبقى محدود ، بحيث المسافة الراسية بين القمة والقاعدة كبيرة وخاصة من ناحية الدخل •• هو ذلك النوع من الأبنية الطبقية الذى يسمح بالممارسة الديموقراطية • كما أن توفر جماعات تطوعية وسيطة مثل النقابات المهنية والعمالية والجمعيات والروابط والاتحادات ، وقيامها

بدورها يعتبر سنـــدا مهما للغاية للديمقراطية . اذ أن وجودهـــا يؤدى وظائف ايجابية لنمو التجربة الديموقراطية كما تعتبر مؤشرا هاما على تحقيق الديموقراطية والمشاركة السياسية .

واذ نظرنا الى نتائج الدراسات السابقة التى توضح طبيعة البناء الاجتماعى للمجتمع المصرى ، لكى نبين الى أى حد تتوفر فيه هذه الشروط أو المتطلبات الاجتماعية والاقتصادية . نستطيع أن نتبين لماذا تميز بناء المشاركة السياسية ودينامياتها بين الشباب المصرى بهذه المميزات ولماذا جاءت النتائج المتعلقة بها مختلفة كلية عن نتائج الدراسات السابقة حول المشاركة السياسية فى مجتمعات أخرى .

اذ توضح أغلب البحوث السابقة حول بناء الأســرة فى مصر ، ان مظاهر الاختيار الفردى والمساواة فى توزيع الأدوار والاعتماد على الاقناع والحوار ان كانت تسود بين الأسرة فى المجتمع الحضرى ، الا أنها لاتزال منتشرة على نحو لا بأس به فى المجتمعات الريفية التى تمثل الغالبيـــة العظمى لسكان المجتمع المصرى . كما توضح نتائج البحوث السابقـــة حول طبيعة البناء الطبقى فى مصر ، ان التركيب الطبقى بمصر مايزال شديد الوعورة والمسافة التى تفصل بين القمة وهى حوالى ١٠٪ والقاعدة التى تمثل ٩٠٪ ما زالــت واســـعة ، بــل وتزداد اتســـاعا منـذ أواخـــر الستينات . ومن الصحيح أن هناك درجة من الحراك الاجتماعى ولكنها مقصورة منذ منتصف الستينات على السيولة بين الطبقة المتوسطة والطبقة العليا ويكاد يكون الفاصل بين الطبقات الدنيا والمتوسطة فاصلا يصعب تجاوزه . وبرغم أن نتائج البحوث السابقة توضح توفر الجماعات التطوعية والوسيطة مثل النقابات المهنية والعمالية والجمعيات والروابط والاتحادات على مستويات مختلفة ، الا أنها تشـــير فى ذات الوقت الى مجموعة الصعوبات التى تحول دن قيامها بوظائفها الايجابيـــة فى نمو التجربة الديموقراطية . ومهما كان أمر هذه العناصر البنائية المكونة لبناء المجتمع المصرى ،فالثابت أن الانسان وحده متكاملة ، وهو يتحرك يوميا بمعتقداته وقيمه وسلوكه ككيان مترابط ، ومن الصعب أن يعامل هذا الكيان بطريقة تسلطية فى احدى المؤسسات الاجتماعية ،ثم يرجى منه أن يتعامل بطريقة ديموقراطية فى مؤسسات أخرى ، وهذا معناه فعالية

البناء الأسرى على بقية الأبنية الأخرى فى المجتمع الأكبر ، وعليه يمكن القول ان تدعيم المشاركة السياسية بين الشباب المصرى ، وتعميق الممارسة الديموقراطية بينهم ، مرهون بتوفر هذه الشروط الضرورية والمتطلبات ، وهذه الأخيرة تتوقف الى حد كبير على عمليات التنمية الاجتماعيـــــة والاقتصادية الشاملة التى تستهدف احداث تغيير جذرى فى بناء المجتمع من النواحى الأسرية والطبقية وغيرها على النحو الذى يوفر المناخ الملائم للمشاركة السياسية وممارسة الديموقراطية ٠

(ثامنا) النتائج الخاصة بالمشاركة السياسية بين الشباب المصرى :

١ ـ تنتظم صور المشاركة السياسية بين الشباب المصرى فى شكل بناء أو هرم تدرجى تتمثل قاعدته المتسعة فى اهتمام الشباب المصرى بالوقوف على القضايا السياسية والعامة وتشير قمته الضيقة الى ضآلة من يشاركون بالعضوية فى احد الأحزاب السياسية ، وبين القمة والقاعدة تتدرج صور المشاركة السياسية الأخرى بين الشباب المصرى ومنهــا الاشتراك فى مشروعات تحسين البيئة والتصويت فى الانتخابات القومية والاشتراك فى المناقشات السياسية وحملات التوعية السياسية ٠

٢ ـ تعد محافظة سوهاج فى مقدمة محافظات الجمهورية التى يتمتع الشباب المصرى فيها بدرجات مشاركة عالية باكثر من صورة للمشاركة السياسية وخاصة الاشتراك فى المناقشات السياسية وحملات التوعية وعضوية الأحزاب السياسية ، يليها فى الترتيب محافظات الاسكندريـة والسويس وقنا والشرقية والمنيا ، حيث يتمتع الشباب المصرى فى هذه المحافظات بدرجات عالية من المشاركة وبأكثر من صورة وخاصة الوقوف على القضايا السياسية والعامة ، والتصويت فى الانتخابات القومية ، والاشتراك فى المشروعات والتصويت فى الانتخابات المحلية .

٣ ـ تشترك محافظات السويس والاسكندرية والغربية فى مرتبة واحدة من حيث تمتع الشباب المصرى فيها بدرجات مشاركة أقل ٠ حيث يعتبر الشباب المصرى فى محافظة الاسكندرية أقل شباب المحافظـــات مشاركة فى التصويت فى الانتخابات القومية والمحلية ٠ بينما كان شباب محافظة السويس أقل شباب المحافظات مشاركة فى مشروعات تحسين

البيئة وحملات التوعية السياسية ، وكان شباب محافظة الغربية أقل شباب المحافظات مساهمة فى المناقشات السياسية وعضويـــة الأحزاب السياسية . وكان شباب محافظة المنيا أقل شباب المحافظات مشاركة فى الاهتمام بالوقوف على القضايا السياسية والعامة .

٤ ـ ينطوى بناء المشاركة السياسية النامى بين الشباب المصرى ، على درجات لعدم المشاركة السياسية بينهم ، تنتظم كذلك فى شكل تدرج هرمى يقع على رأس هذا الهرم بعض مظاهر الاغتراب الســـياسى بين الشباب متمثلا فى عدم الاحساس بقيمة الأدلاء باصواتهم فى الانتخابات وغيرها ، ويلى ذلك فى التدرج بعض مظاهر اللامبالاة متمثلة فى عـــدم الاهتمام بالوقوف على القضايا السياسية والعامة وما اليها ، ثم تنتشر بعض مظاهر الشك السياسى بين الشباب المصرى لتشغل قاعده هرم عدم المشاركة السياسية هذا بينهم ، متمثلا فى عدم الاشتراك فى المناقشـــات السياسية .

٥ ـ تنتشر صورة اللامبالاة السياسية والاغتراب بدرجات عاليـــة بين الشباب المصرى فى محافظة المنوفية وتنتشر مظاهر الشك السياسى بدرجات عالية بين الشباب الحضرى فى محافظة الاسكندرية .

٦ ـ يؤكد انخفاض نسب الشباب المصرى الذى يعتقد ان التعليم يسهم فى تخـــريج اجيال واعيـــة ومثقفـــة وفى تنميـــة الوعى السياسى بين الشباب ، ويجعل الشباب على مستوى تحمل المسئولية فى مجال العمل السياسى واتخاذ القرار ، وفى مجال خدمة البيئة ، تؤكد أنه اذا كان للتعليم ومؤسساته فى مصر دورا فى تنمية القدرات اللازمـــة للمشاركة السياسية بين الشباب المصرى ، فهو دور محدود . ولم يستطع أن يحقق أثره الفعال فى هذا الميدان .

٧ ـ هناك علاقة عالية وثابتة بين التعليم وممارسة المشاركـــة السياسية بين الشباب المصرى . غير أن هذه العلاقة كانت ذات طبيعة متغايرة حيث كانت هناك علاقة ايجابية بين التعليم والوقوف على القضايا السياسية والهامة ، بينما كانت العلاقة بين التعليم وصور المشـــاركة السياسية الأخرى مثل الادلاء بالصوت فى الانتخابات وعضوية الأحزاب

السياسية علاقة عكسية .

٨ _ تنتشر مظاهر الاغتراب السياسى بين الشباب المصرى المتعلم أكثر من غيرهم .

٩ _ كان الفلاحون هم أكثر أصحاب المهن مشاركة بين الشباب المصرى، فى عدد من صور المشاركة السياسية، ونعنى الوقوف على القضايا السياسية والهامة ، والادلاء بأصواتهم فى الانتخابات وعضوية الأحزاب السياسية . بينما كان أصحاب المهن الحرفية من أقل المجموعات المهنية اسهاما فى صور المشاركة السياسية بين الشباب المصرى .

١٠ _ ليست العلاقة بين المهنة وممارسة المشاركة السياسية بين الشباب المصرى علاقة ايجابية ، بقدر ما هى علاقة عكسية حيث تقل مشاركة أصحاب المجموعات المهنية العليا وخاصة المهنيون (الأطباء ، الصيادلة ، المحامون) ، وتزيد مشاركة أصحاب المجموعات المهنية الدنيا وخاصة المهن الزراعية والصناعية .

١١ _ تتضح مظاهر اللامبالاة والشك السياسى والاغتراب بين الشباب المصرى ، بشكل واضح بين أصحاب المهن العليا وخاصة المهنيون والحرفيون والذين أظهروا عدم الاهتمام بالقضايا السياسية والهامة فى المجتمع وعدم الحرص على الادلاء بالصوت فى الانتخابات ، وعدم الانتماء الى الأحزاب السياسية .

١٢ _ تنتشر مظاهر السلبية السياسية بين الشباب المصرى ، بدرجات عالية بين الشباب المتعلم والذى يعمل فى المهن العليا .

توصيات خاصة بالوعى السياسى والمشاركة السياسية للشباب :

١ _ يفرض الدور المحدود الذى يلعبه نظام التعليم ومؤسساته فى تنمية قدرات المشاركة السياسية بين الشباب المصرى ، كما كشفت عنه نتائج الدراسة الحالية ، ضرورة اعادة النظر فى هذا النظام ومؤسساته من حيث توفير الامكانيات المادية والبشرية وتحديث أساليب التعليم على النحو الذى يثرى هذا الدور ويحرره من القيود التى تعوقه فى سبيل تعميق المشاركة السياسية . ولعل توسيع دور المؤسسات التعليمية على كافة المستويات وابتداء من المراحل الأولى للتعليم ، كمواقع استراتيجية

يكتسب فيها الفرد مهارات المشاركة وتنمى لديه الخصائص الشخصية والقدرات اللازمة لها ، وذلك من خـــلال الأخذ بأسلوب الانتخـــاب فى اختيار رائد للفصل من بين الطلاب ، وتوسيع نطاق تمثيلهم فى مجالس اتحاد الطلاب والآباء وغيرها ما يحقق بعض هذه الأهداف • كما قد يكون فى تحديد أساليب التعليم والتخلى عن طريقه التلقين فى العملية التعليمية واحلال أسلوب المناقشة محلها حتى ينشأ التلميذ وقد اكتسب هـــذه القدرة على المشاركة فى المناقشات مهما كان نوعها ، مايفيد فى هـــذا الصدد • ولعل العمل على توفير الاحتياجات المادية والبشرية اللازمة للتعليم ومؤسساته لكى يستطيع انجاز هذا الدور ، مثل توفير أجهزة الاذاعـــة والتليفزيون والتسجيل ، وتوفير الانواع المناسبة من الكتب ، وتخصيص ساعات للاطلاع يكون لها حسابها فى العملية التعليمية وتحت اشراف متخصصين فى تنمية اهتمامات النشء وتوجيههم فى هذا المجال ، ما يسهم بدوره فى تدعيم دور التعليم ومؤسساته فى تنمية قدرات المشاركـــــة السياسية وتعويدهم عى الممارسة فى هذا المجال ، بين الشباب المصرى •

٢ ــ كان لأثر وسائل الاعلام وخاصة الاذاعة والتليفزيون والصحف اليومية والمجلات فى زيادة ميل الشباب المصرى الى المشاركة السياسية وخاصة الاهتمام بالوقوف على القضايا السياسية والهامة من خلال متابعة الأخبار السياسية الخارجية والداخلية ، كان هذا الأثر الفعـــال وراء تطلعنا الى زيادة فعالية هذه الوسائل من أجل تدعيم المشاركة السياسية • ولعل فى زيادة برامج الاذاعة الاخبارية وتنويعها من حيث التوقيت والمضمون والمصادر ، وعرضها بأسلوب أكثر تشويقا وجاذبيـــة •• ، ما يحقق هذا الهدف ، خاصة وأنه قد اتضح اعتماد الفلاحين باعتبارهم من أكثر الجماعات المهنية مشاركة على الاذاعة فى ممارسة هذه الصورة من صور المشاكة السياسية • كما قد يكون تطوير البرامج الاخبارية فى التليفـــزيون على النحـــو السابق ، وايضا على نحـــو يربط المواطنين بالأحداث السياسية محليا وعالميا فور وقوعها والتعرف على جذورهـــا وانعكاساتها المختلفة ، قد يكون لهذا أثره فى مشاركتهم السياسية • ويحتمل أن يكون حرص دور الثقافة ومؤسساتها على عـــرض الجرائـــد

اليومية فى لوحات يسهل اطلاع الشباب عليها ، واهتمام هذه الدور بتخصيص قاعات للقراءة والمطالعة مناسبة من حيث المكان وظروفه وتوفر الكتاب وتسهيل عملية استعارة الكتب وقيام هيئة الاستعلامات باصدار النشرات الواضحة والتى يسهل الحصول عليها حول القضايا السياسية والهامة ، يحتمل أن يكون لذلك كله أثره الفعال فى زيادة المشاركة السياسية بين الشباب المصرى ٠

٣ _ تستطيع أجهزة الأمن والداخلية وخاصة المشرفة على اعداد الانتخابات وتنظيمها وسيرها فى المناسبات المختلفة ، أن تسهم بدور فى تدعيم المشاركة السياسية خاصة وأنه قد لوحظ بناء على نتائج الدراسة الحالية ، أن المشاركة السياسية من خلال الحرص على الادلاء بالصوت فى الانتخابات والاستفتاءات القومية والمحلية أقل مما كان متوقعا ، بل أن كثيرا من مظاهر السلبية السياسية كالامبالاه والشك السياسى والاغتراب والتى تنتشر بين المتعلمين والمهنيين كانت ترتبط بهذه الصورة من صور المشاركة السياسية ولعل فى انتقاء التوقيت المناسب للانتخابات والاستفتاء بعيدا عن مواسم الامتحانات بالنسبة للطلبة ، والحصاد بالنسبة للفلاحين ، والأجازات بالنسبة للموظفين والمهنيين ، وفى زيادة أماكن الاقتراع واعداد اللجان ، وتسهيل عملية الادلاء بالصوت من حيث الموعد والشروط والمكان وما اليها ، لعل فى هذا كله ما ينعكس أثره على زيادة المشاركة السياسية بين الشباب المصرى ، والتغلب على مظاهر السلبية السياسية بينهم ٠

٤ _ تستطيع أجهزة الشئون الاجتماعية أن تسهم بدور فعال فى تنمية المشاركة السياسية بين الشباب المصرى ، خاصة وأنه قد اتضح من نتائج الدراسة الحالية ، أن مشاركة الشباب المصرى فى مشروعات تحسين البيئة ، كانت تمثل أكثر صور المشاركة السياسية انتشارا بينهم ٠ حيث توصى هذه الاجهزة بالسماح للشباب بالمشاركة فى المشروعات القومية مثل برامج محو الأمية ، أو مساعدة التلاميذ ، أو نظافة المنطقة ، واعتبار هذه المشروعات من أهم برامج الخدمة العامة ٠ مما قد يجعل الشباب يدركون قيمتهم ويشعرون بأن لهم دورا هاما فى تحمل

المسئولية القومية ، وتنمو قدراتهم على المشاركة السياسية ، وتقـــل سلبيتهم ·

٥ ـ وبالمثل تستطيع أجهزة الشباب استثمار طاقات الشباب خلال الأجازات الرسمية وخاصة العطلة الصيفية فى معسكرات عمل لها اهداف محددة فيما تتعلق بخدمة البيئة ، كأن يعلن عن معسكر عمل لمحو الأمية فى قرية معينة ، أو مصنع محدد ، أو مجتمع مستحدث ، أو عن معسكر عمل آخر لمساعدة تلاميذ قرية معينة فى أثناء أجازة منتصف العام ، أو عن معسكر عمل ثالث لتنظيف البيئة فى قرية أخرى أو مصنـــع بعينة أو حى أو مجتمع مستحدث وهكذا · ويتم الترغيب على الاشتراك فى هـــذه المعسكرات من خلال تخصيص جوائز مادية وتقديرات أدبية ، أو يعلق الالتحاق بكليات جامعية معينة على الاشتراك فى هذه المعسكرات·وتستطيع أيضا أجهزة الشباب أن تستثمر طاقات شباب الجامعة فى خدمة البيئة المحلية وتنظيم فرق من الطلاب لاجراء مسوح اجتمـــاعية وصحيـــة واقتصادية وغيرها لقرية أو مصنع أو مجتمع مستحدث أو تلك التىيحتمل ادخال مشروعات جديدة بها · أو تنظم فرقا أخرى من الطلاب لتقديم خدمات صحية واجتماعية وثقافية وترويحية وغيرها فى قرية اخـــرى أو مصنع أو مجتمع مستحدث أو غيره،على أن تعتبر هذه الأنواع من المشاركة جزءا من تدريباتهم العملية التى تخصص لها درجات وتأخذ فى الاعتبار عند تقدير نجاح الطلاب ، ذلك لان مثل هذه الانواع من المشاركة تنمى لدى الشباب القدرات اللازمة للمشاركة السياسية ·

٦ ـ وازاء هذا الاعراض عن الانتماء الى الأحزاب السياسية بين الشباب المصرى وخاصة بين مجموعات المتعلمين والمهنيين منهم ، على النحو الذى كشفت عنه نتائج الدراسة الحالية ، تستطيع الأحزاب السياسية أن تساهم بدور فى تدعيم المشاركة السياسية بين الشـــباب المصرى · ولعل فى تكوين لجان الحزب على كافة المستويات فى القرية والمصنـــع والمدرسة والكلية والحى وغيرها . وتقديم خدمات مباشرة للجهمور مثل لوحات الاخبار وقاعات الاطلاع والترفيه والندوات الثقافية والسياسية وتوعية الشباب بمختلف التيارات الفكرية والسياسية ، وترغيب الشباب فى العمل الحزبى ، واتاحة الفرصة لهم فى المناصب القيادية ، وتجميع

الاصوات ، وتسهيل عملية الاقتراع ، ودعم الصلات بين الشباب فى المواقع المختلفة على النطاق المحلى من خلال اللقاءات والحملات ، ثم بين الشباب المحلى والعالمى من خلال تبادل الزيارات والوفود ، لعل فى كل هذا ما يدعم المشاركة السياسية بين الشباب المصرى ٠

٧ ـ وتستطيع أيضا مراكز البحث العلمى سواء المستقل منها أو التابع للجامعات المصرية أن تلعب دورا له فعاليته فى تدعيم المشاركة السياسية بين الشباب المصرى خاصة وان نتائج الدراسة قد القت الضوء على عدد من الظواهر المرتبطة بالمشاركة السياسية سواء من حيث صورها الايجابية أو السلبية ، أو من حيث درجاتها أو من حيث العوامل المؤثرة فيها والنتائج المترتبة عليها والواقع أن الطابع الاستطلاعى الوصفى الذى غلب على الدراسة الحالية ، يفتح الطريق أمام دراسات أخرى فى المستقبل يمكن أن تضطلع بها مراكز البحث العلمى ، لتعميق فهمنا لهذه الظاهرة ٠ والوقوف على العوامل ذات الفعالية فى وجودها أو اختفائها،حتى نستطيع أن ننمى قدرتها على وضع استراتيجية أفضل لتعميق المشاركة السياسية بين الشباب المصرى ٠ كما أن التساؤلات التى يمكن أن تثيرها نتائج الدراسة الحالية فى حاجة الى اجابات واضحة ، الامر الذى لا يمكن تحقيقه الا من خلال اجراء بحوث أخرى حول المشاركة السياسية بين الشباب المصرى . ونذكر من بين هذه التساؤلات : لماذا تزداد ممارسة الشباب المصرى لصور من المشاركة السياسية معينة وتقل ممارستهم لصور أخرى منها ؟ لماذا يشارك الفلاحون أكثر من غيرهم ؟ ولماذا تنخفض مشاركة الحرفين عن غيرهم ؟ ولماذا تسود صور السلبية السياسية بين المتعلمين والمهنيين ؟ وما هى العوامل والنتائج المترتبة على هذه الصور ؟ .. كلها تساؤلات تكون موضوعات مقترحة نوصى بالاهتمام بدراستها حتى يتعمق فهمنا للمشاركة السياسية .

الفصل الخامس

علم الاجتماع وقضايا التنمية فى العالم الثالث

مقدمـــــــة

أولا : تحليل التنمية على المستوى المجتمعى المحلى .

ثانيا : التنمية من منظور الاهداف والاستراتيجيات .

١ ـ أهداف التنمية عالميا .

٢ ـ استراتيجيات التنمية الرأسمالية والاشتراكية .

أ ـ تحريك الموارد من أجل التنمية : رأس المال فى مقابل العمل .

ب ـ انتاج السلع والخدمات : أساليب تكثيف رأس المال فى مقابل أساليب تكثيف العمل .

جـ ـ توزيع الدخل : النمو فى مقابل العدالة .

ثالثا : مداخل جديدة الى دراسة التنمية والتخلف .

تعقيب : علم الاجتماع بين الدعوى والدفاع .

الفصل الخامس

علم الاجتماع وقضايا التنمية فى العالم الثالث

مقدمـــــــة :

يشهد العالم المعاصر تحولات كبرى فى حياة المجتمعات منذ بداية القرن العشرين ، ولعل من أهم أسبابها ذلك التقدم التكنولوجى الهائل الذى انعسكت نتائجه على مجالات كثيرة كالصناعة والاتصـال ، والنقل ، والمواصلات ، فضلا عن اثاره المتحققة فى ميـــادين آخرى وهى العلوم ، والفنون ، والآداب ٠ ولكن هناك مجتمعات قطعت شوطا بعيدا فى طريق النمو الذى تحقق لها ــ الى حد كبير ــ على حساب مجتمعات أخرى تسمى « نامية » أو « متخلفة » ، وهى بلدان العالم الثالث التى كانت تعتبر ــ فى أغلبها ــ مستعمرات حتى عهد قريب ٠ وعندمـــا حققت هـــذه المجتمعات استقلالهـــا الذى تم عن طريق اخلاء أراضـــيها من القوات العسكرية الاجنبية ، وباقامة حكومات وطنية لها ــ بدأت تفكر جديا فى تنمية ذاتها وتدعيم اقتصادياتها ٠ وهنا بدأت هذه الحكومات تنظر فى أكثر الأساليب ملاءمة لتحقيق أهداف التنمية ، ومن ثم واجهتها مشكلات عديدة كان عليها أن تتصدى لها بالحل العملى السريع ، ومن أهم هـــذه المشكلات : ما هى طبيعة النموذج التنموى الذى يمكن اختياره وتطبيقه ؟ وما هى طبيعة المصادر التى سوف تستعين بها لتمويل مشروعـــــات التنمية ؟ والى أى حد يمكن الاعتماد على رأس المال الأجنبى ؟ وكيف يمكن توجيهه بأسلوب يضمن عدم الاستغلال الأجنبى ؟ ٠٠٠ ومما لاشك فيه أن مقدرة المجتمعات النامية على تحقيق أهداف التنمية بها ، أمر مرهون بعوامل أساسية ، لعل من أهمها تحقيق استقلالها الاقتصادى عن الدول الكبرى ، وعدم تخاذل صفواتها الحكومية أمام اغراءات تلك الدول ٠

هذا ، وتمثل « قضايا » التنمية موضوعا حيويا الآن يشغل الدوائر العالمية على مستوى الفكر والتطبيق ، وأصبحت مناقشة هذه القضايا هى التى تحتل بؤرة تفكير المتخصصين فى علوم مختلفة وخاصة : الاقتصاد ، والسياسة ، والاجتماع ومن هذا المنطلق جاء هدف الفصل الذى نتناوله هنا ، وهو فحص مستويات تحليل التنمية ، ومنظوراتها ، والمداخـــل

★ تأليف الدكتورة سامية محمد جابر ٠

الجديدة الى دراستها ، مع استجلاء طبيعة الفكر الايديولوجى الذى يكمن وراء كل منها ـ بقدر الامكان ـ وانعكاساتها على الموقف الراهن لعلم اجتماع البلدان النامية .

اولا : تحليل التنمية على المستوى المجتمعى المحلى (١) :

من الحقائق العملية التى دعت الى ابراز موضوع التنمية وجود التفاوت الصارخ بين المجتمعات المتقدمة من ناحية ، والمجتمعات النامية من جهة أخرى ، وعلى النطاق المحلى نجد أيضا هذا التفاوت واضحا بين قطاعات المجتمع الواحد وخاصة بين القطاع الريفى والقطاع الحضرى ، ولا يرجع هذا التفاوت النسبى الى العوامل الاقتصادية أو المادية وحدها بل يرجع الى عوامل وظروف أخرى تتعلق بالأوضاع الاجتماعية والمعتقدات وأنماط السلوك والعادات والتقاليد السائدة فى المجتمع ، واذا كان المجتمع النامى ـ عموما ـ يحاول أن يخطط ويضع السياسات الاجتماعية والاقتصادية التى تحقق انتقاله من حالة التخلف النسبى التى تسوده ليدفع بنفسه فى حركة التقدم والتطور ، فان نفس هذا الاتجاه يوجد على المستوى المحلى القومى أيضا ، بمعنى أن المجتمع يحاول أن يسعى الى التقريب بين قطاعاته المختلفة حتى لاتكون هناك فجوة عميقة توجد بين كل قطاع وآخر داخله .

وعلى مستوى المجتمع المصرى ، يمثل القطاع الريفى حوالى ٦٢٪ من مجموع سكان الجمهورية وهى نسبة موزعة على قرى الجمهورية بما فيها قرى المجتمعات الجديدة ورغم أن أغلبية سكان الجمهورية ينتمون الى القطاع الريفى ، الا أن نصيب هذا القطاع من المشروعات والخدمات التى تقدمها الدولة لايتناسب مع هذا الحجم ، ومعنى ذلك أنه ليس هناك توازن بين حجم المشروعات والخدمات وحجم المستفيدين منها فى كل من القطاعات الريفية والقطاعات الحضرية ومن هذا المنطلق المحلى ظهر الاهتمام بما يسمى «بالتنمية المتكاملة» التى لا تعنى مجرد حشد الخدمات والمشروعات وتوفيرها ، بل ان هناك مسارات واتجاهات لتحديد المقصود

---

(١) ليس المقصود بالمجتمع المحلى هنا مجتمع القرية أو المدينة بل مجتمع « الدولة » فى مقابل المجتمع العالمى .

بالتنمية المتكاملة منها : **أولا** ، اتجاه يرى أنه لا يمكن للتنمية أن تنطلق من معقل الاقتصاد وحده لأن عملية التنمية هى أكثر تعقيدا وتشابكا ولا تقتصر على تنمية الموارد الاقتصادية أو البحث عن موارد جديدة أو خلق فرص جديدة للعمل أو لاستغلال الموارد المتاحة بطريقة أفضل ،وانما هى عملية تتناول كل مقومات الحياة الاجتماعية فى آن واحد . **وثانيا** ، اتجاه يعطى أهمية خاصة للتكامل بين الجوانب المادية والبشرية للمجتمع، ومرجعه هو أن الهدف الأساسى يتمثل فى احداث تغير اجتماعى فى المجتمع له أبعاده المادية وغير المادية ، التى تتمثل مجتمعة فى رفع مستوى معيشة الأفراد اقتصاديا ، وزيادة القدرة الانتاجية للفرد والمجتمع ، وما يترتب على ذلك من رفع مستوى الفرد اقتصاديا وتعليميا وصحيا وثقافيا ، فالانسان بفكره وامكاناته يعد من أهم العناصرالانتاجية فعالية بل أنه عصب الانتاج الرئيسى مهما تقدمت أساليبه الفنية . اذ لا يمكن تصور أية عملية انتاجية دون تدخل عنصر العمل الانسانى ، وهذا معناه أن أى تغير مادى لايقابله تغير مصاحب فى الجوانب اللامادية يعتبر تغيرا غير متوازن ويؤدى فى النهاية الى تعويق عملية النمو ككل . **وثالثا** ، اتجاه يركز على البناء الاجتماعى للمجتمع بما يتضمنه من نظم اجتماعية مختلفة ، ووظائف متعددة تؤديها هذه النظم ، فكأن التركيز هنا يكون على التكامل بين البناء الاجتماعى ووظائف أجزائه المختلفة . **ورابعا** ، اتجاه يعطى أهمية خاصة للخدمات من حيث تعددها من ناحية وتعدد وظائفها من ناحية أخرى ، مما يؤدى فى كثير من الأحوال الى تداخلها بعضها مع البعض وان كان هذا التداخل يترتب عليه عدة صعوبات تؤدى الى تعويق الهدف الذى ترمى اليه التنمية .

والحقيقة أن الاتجاهات الأربعة السابقة لاتعكس تناقضا فيما بينها بقدر ما تشير الى تنوع مستويات التكامل بين مقومات التنمية المحلية ، وهى :

١ - مستوى التكامل بين الجوانب الاقتصادية والاجتماعية .

٢ - مستوى التكامل بين الجوانب المادية والبشرية .

٣ - مستوى التكامل بين مكونات البناء الاجتماعى ووظائفه .

٤ - مستوى التكامل بين الخدمات المختلفة ٠

وبذلك اعتبرت قضية التنمية المتكاملة هي قضية تخطيط من الدرجة الأولى ، اذ أن التخطيط والتنمية عمليتان مرتبطتان ، فلا يمكن أن تتحقق التنمية في غيبة التخطيط ، بل ان التخطيط هو الأسلوب العلمي والمنهج الوحيد الذي يمكن الاعتماد عليه في احداث أي تغير اجتماعي ، لما ينطوي عليه من دراسة علمية مستنيرة بتقصي أبعاد الواقع الاجتماعي الذي سيخطط لمستقبله ٠ كما أن التخطيط لابد وأن يكون تخطيطا متكاملا ينسق بين الخطط على المستوى القومي والمستوى الاقليمي والمستوى المحلي الصغير ، فالتخطيط على المستوى القومي يحدد امكانيات الدولة الاقتصادية المتاحة ، وأما مستوى التخطيط الاقليمي الشامل فهو الذي يقوم بالتخطيط للمنطقة اقليميا وبشكل من التفصيل لكل الاجهزة والهيئات الاقليمية التي تختص بتنفيذ السياسات مع دراستها دراسة علمية تضع في اعتبارها مختلف الأبعاد والأنشطة . وأخيرا فان التخطيط على المستوى المحلي الصغير هو الذي يضمن تحقيق المشاركة الفعلية لأكبر عدد ممكن من المواطنين ، وتحريك الطاقات المحلية،وخلق نماذج لتطبيقات التنمية على المستوى المحلي المحدود أو مستوى الوحدات القروية ٠

التخطيط للتنمية :

والتخطيط أسلوب تنظيمي علمي يهدف الى تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية خلال فترات زمنية معلومة وذلك عن طريق حصر امكانيات المجتمع المادية والبشرية ، وتعبئتها ، وتحريكها نحو تحقيق أهداف المجتمع وغاياته وذلك على ضوء الفلسفة الاجتماعية التي يريد المجتمع أن ينمو في اطارها ، وبذلك تكون الخطة القومية هي عمل حكومي ينصرف الى ثلاث عمليات أساسية وهي :

١ - تقدير الامكانيات القومية ٠

٢ - تحديد الأهداف القومية ٠

٣ - اختيار المشروعات ذات الأولوية والتي يمكن تحقيقها في حدود الامكانيات الطبيعية ، والمالية ، والفنية ، والقوى العاملة المتاحة ٠

ولذلك فمن أهم أسس التخطيط ومبادئه :

١ ـ الواقعية ، أى وضع الخطط على أسس علمية تقوم على تقرير الامكانيات الفعلية للمجتمع وحصر الاحتياجات الحقيقية لاعضائه ثم العمل على تحقيق أفضل مطابقة ممكنة بين الموارد والحاجات وفقا لمعايير علمية دقيقة .

٢ ـ الشمول ، أى وضع الخطط الشاملة التى تتناول مختلف القطاعات الوظيفية القائمة فى المجتمع دون الاخلال بمبدأ التوازن الجغرافى .

٣ ـ التكامل ، وهو مبدأ يجب أن يحكم مشروعات الخطة فيتحقق التكامل الرأسى والافقى على مستويات مختلفة لمشروعات الخطة .

٤ ـ الاستمرارية ، فمن الضرورى عند وضع الخطط مراعاة مبدأ الاستمرارية والتجدد بمعنى ألا تنفصل أى مرحلة من مراحل التالية لها فمرحلة الاعداد والتصميم لا تنفصل عن مرحلة التنفيذ وهذه بدورها لا تنفصل عن مرحلة المتابعة والتقويم .

٥ ـ التنسيق ، وهو من المبادىء الرئيسية للتخطيط ويكون التنسيق على مستويين : أولهما ، التنسيق بين الاهداف التى ترمى الخطة الى تحقيقها،وثانيهما ، التنسيق بين الوسائل والاجراءات والسياسات اللازمة لتنفيذ الخطة وامكان تحقيق أهدافها .

٦ ـ المرونة ، ينبغى عند اعداد الخطة مراعاة مبدأ المرونة الزمانية والمكانية ويقصد بالمرونة الزمانية مراعاة عمليات التغير الاجتماعى التلقائى الذى قد يحدث خلال المجال الزمنى المحدد لتنفيذ الخطة . أما المرونة المكانية فهى تعنى مراعاة أن يكون التخطيط الذى يوضع على المستوى القومى قابلا للتنفيذ على المستوى المحلى مع تعديلات طفيفة تستلزمها ظروف المجتمع المحلى أو خصائصه المميزة له .

٧ ـ مبدأ مراعاة الظروف الداخلية والخارجية ،اذ من الواجب أن يهتم المسئولون عن التخطيط بجميع الظروف المحلية وبدراسة الموقف الحالى دراسة كافية ويأخذوا فى الاعتبار مجموعة العوامل الخارجية المؤثرة لاسيما احتمال حدوث عقبات مستقبله .

٨ ـ تحديد الأولويات فى التخطيط الاجتماعى ،ومعناه تحديد درجة الأسبقية أو الأفضلية المبنية على درجة الأهمية التى تعطى لمشروع

أو برنامج على مشروعات أو برامج أخرى لمقابلة الحاجات الملحة في حدود الامكانيات المتاحة • وهى عملية معقدة تحتاج الى مثابرة وخبرة فضلا عن الاسلوب العلمى ، وترجع أهمية الاولويات الى أن الموارد عادة ما تكون أقل من الحاجات ، وبذلك يتوقف نجاح عمليات التخطيط على النجاح فى ايجاد التوازن بين درجة الحاجات والموارد المتاحة •

ان التخطيط لا ينطلق من فراغ ، وانما ينبثق من اطار مرجعى محدد وفلسفة اجتماعية مسبقة ، يشتق منها قضاياه الرئيسية وموجهاته فى عمليات : التصميم ، والاعداد ، والتنسيق ومن الملائم فى هذا الصدد أن نشير الى أهم القضايا التى اعتبرت موجهات للتخطيط :

١ ـ وجوب تهيئة القوى البشرية للاضطلاع بأعباء التنمية

ان القوى البشرية هى المورد الاساسى الذى يعتمد عليه كل مجتمع، فى احداث التطور وتنمية الثروة الوطنية وضمان حسن استخدامها لتحقيق الرخاء الاقتصادى والرفاهية الاجتماعية • وتعتبر تهيئة القوة العاملة لبناء الحاضر والمستقبل مطلبا حيويا من مطالب التقدم وذلك لتكوين المواطن القادر على التبصير والتفكير والتعبير عن رغباته وتدبير امكانات تحقيقها والمشاركة فى العمل وفى الحصول على ثمراته • كما يعتبر تعريف المواطن بمشاكل المجتمع مهمة ضرورية فى المجتمعات النامية لضمان مشاركته فى حل تلك المشاكل •

٢ ـ أن تقدم الدول النامية مرهون بقدرتها على استخدام مواردها

التقدم بطبيعته يتضمن عنصر الحركة والدفع الى الامام فى طريق مرسوم ، ويقتضى ذلك أن يكون السلوك الانسانى متناسقا مع الاهداف ومتمشيا مع حسن استخدام الموارد • ان من مقتضيات النهوض أن يكون نشاط الناس متمشيا مع إتجاه الاهداف وغير متعارض معه وأن يقوم المجتمع باستخدام موارده الطبيعية واختيار الاسلوب الامثل لتوجيه تلك الموارد والطاقات جميعا لرفاهية الفرد ورخاء المجتمع •• ولما كانت معظم الدول النامية تعانى من ضعف مستوى الدخل الفردى ، وانخفاض مستوى المهارات الفنية أو ندرة فى القدرات التنظيمية والادارية •• كما

تعانى من ضعف فى مستويات الانتاج والكفاية الانتاجية فى الزراعة والصناعة والخدمات ، وعدم كفاية التنسيق بين الاعمال وبين مطالبها من تدريب وتأهيل وتوعية ، فان التنمية الاقتصادية فى الدول الحديثـــة العهد بالتنمية تتطلب تغييرا وتطويرا فى البنيان الانتاجى وفى بنيان العمالة وتوزيع القوى العاملة لاحداث التطور المستهدف ، واذن فان تحقيق النمو الاقتصادى والنهوض الاجتماعى لا يتيسر الا بواسطة توفير القوة العاملة المدربة على المهارات اللازمة لممارسة الاعمال المطلوبة ٠ وكثيرا ما يتعذر احداث التنمية السريعة بسبب قلة الموارد البشرية ممثلة فى نـــدرة التخصصات الفنية والكفاءة القيادية وعدم توافرها بالدرجة التى تسمح بتحريك الموارد المالية واستخدام الثروات الطبيعية لزيادة الانتاج القومى وزيادة الدخل منه وتحسين مستوى المعيشة فى المجتمع ٠

٣ ـ لابد أن تعتمد الخطة القومية للتنمية على تحديد مســـبق للأهداف والأولويات

عند وضع خطة قومية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية يجب تحديد أهدافها ورسم معالم المستقبل على هدى من الموارد المتوافرة واحتمالات زيادتها ، وتقرير مجالات استخدامها واتجاهات العمل وأنواعه وبرامجه التنفيذية وتنظيمات التنفيذ وتوقيت أدائه فى مختلف أنشطة المجتمـــع وقطاعاته الاقتصادية والاجتماعية ٠

٤ ـ أن تخطيط القوى العاملة هو جزء لايتجزأ من التخطيط القومى

عندما يتم وضع خطة قومية شاملة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية بأهدافها وبرامجها ومشروعاتها وتنظيمات تنفيذها واجراءات التنفيذ والرقابة عليه تحدد اتجاهات التنمية فى القطاعات والانشطة المختلفة ٠

وجدير بالاشارة أن تخطيط المشروعات والبرامج الاقتصاديـــة والاجتماعية لتنمية المجتمع لاينفصل عن شئون تخطيط الافراد وتعليمهم وتدريبهم،ولا ينفصل كذلك عن توصيف الوظائف والاعمال التى يوكل اليهم أداؤها ـ وقد نجد أن كل المشروعات والبرامج تحتاج فى بحثها ودراستها وتحضيرها الى أنواع شتى من ذوى العلم والخبرة والدراية والتخصص ،

وكل المشروعات والبرامج تحتاج فى تنفيذها الى منظمين ومديرين وأنواع من الفنيين والعمال المهرة وأنصاف المهرة واذن فلابـــد من تدبير أولئك وهؤلاء جميعا بواسطة التعليم والتدريب والتأهيل بصفة مستمرة ٠

٥ ـ أن التخطيط يستهدف تعبئة الموارد وتهيئتها وتنسـيقها للعمل المشترك

فالتخطيط بطبيعته عملية لابد بمقتضاها أن يتم التكامل والتناسق والتوازن فى التنمية بين مختلف مكونات المجتمع ومجالات النشاط فيه والمجال الرئيسى لعملية التخطيط يتركز فى تخصيص الموارد الماليـــة والطبيعية والبشرية وتوزيعها بين أنواع النشاط الاقتصادى والاجتماعى مما يؤدى الى استمرار التنمية واطراد زيادة الانتاج من السلع والخدمات المطلوبة لرفع مستوى المعيشة وتحقيق الرخاء والرفاهية للفردوالمجتمع٠ ولايمكن أن يكون هناك تخطيط اقتصادى شامل دون أن يتناول تخطيط القوى البشرية واعداد القوى العاملة وكل زيادة تطرأ عليها بالتخصصات والمهارات والثقافات والسلوك الانسانى المطلوب للسير قدما فى التنمية الاقتصادية ٠

٦ ـ وجوب التكامل والتناسق بين تكوين راس المال المادى وراس المال البشرى

ان عمليات التدريب والتأهيل الفنى والمهنى والادارى فى المجتمع هى استثمار فى تكوين رأس المال البشرى والمحافظة عليه ورفع كفايته الانتاجية وتوسيع قاعدته بما يتناسب مع مستلـزمات التقدم والنهضـــة من تدبير الافراد القادرين على أداء مختلف الاعمال الانشائية والتنظيمية والانتاجية والاستهلاكية ، وتحتاج كلها الى قوة عمل واعية مدربة ٠

ولا يمكن أن يستمر معدل زيادة الثروة المادية فى المجتمع دون أن يرتبط به زيادة فى الثروة الوطنية من القوى البشرية المتعلمة والمدربة والمزودة بالمهارات والفنون الانتاجية ، وبالثقافات والوعى الكافى بالسلوك الاجتماعى والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية ٠

٧ ـ ربط مجالات التنمية واتجاهاتها بأنواع التعليم والتدريب المطلوبةلها

تنمية المجتمع لا تكون الا بتنمية موارده بما فى ذلك الموارد البشرية والطبيعية والمالية وتعبئتها وتحريكها جميعا للنهوض بالمجتمع وبمستويات

معيشته ورفاهيته . فاذا أريد تنمية الموارد الزراعية مثلا فانه لا يكفى تخصيص أموال ضخمة لبناء السدود وتوفير الميـــاه أو لتمهيد الاراضى بغرض استصلاحها وتهيئتها للزراعة وتعميرها ، بل يتطلب الأمـــر اعداد الفنيين وأصحاب المهارات من العمال والقـــادرين على التنظيم والادارة وأداء الاعمال الفنية ، وتزويد قوة العمل الزراعى بالاساليب الانتاجية التى يراد انتاجها،ولذلك فان استخدام الآلات الحديثة والبذور المحسنة، وصيانة الثروة الزراعية وغيرها ، يتطلب تعليما وتدريبا وتأهيلا وتوعية وارشادا .

٨ — حاجة التخطيط كعمل متخصص الى خبراء فنيين

وفى ظل التخطيط القومى الشامل يجب أن تكون نظرة المخططين الى المجتمع كوحدة وكيان متكامل ، وأن يربط المخططون بين المـــاضى والحاضر وبين ما يرسم لبلوغه من اتجاهات ومعالم المستقبل . وأن يكون المخططون لقطاعات وأنشطة المجتمع على بينـــة من الموارد وبدائـــل استخدامها . وبالامكانيات ودرجة توافرها وبالرغبات والاحتياجـــات وكيفية الوفاء بها .

ويتطلب كل ذلك تفهما ومعرفة بالعلاقات الاقتصادية والاجتماعية وتنظيماتها القائمة وبما يمكن أن تكون عليه تلك العلاقات والتنظيمات فى المجتمع فى كل مرحلة من مراحل تطويره . والتخطيط بطبيعته عمل استشارى لاصحاب الرأى والسلطة فى المجتمع يستعان به فى اتخـــاذ مختلف القرارات بالتصرف ، ويحتاج فى ممارسته الى مختلف التخصصات العلمية والمهارات الفنية والتكنولوجية التى تضطلع بحصر الموارد الطبيعية والمالية والبشرية من الناحيتين الكمية والنوعية وأنواع استخدامها وطرق تخصيصها وتعبئتها وتحريكها لحل المشاكل وتحقيق الاهداف ، ويمكن الاشارة الى مستلزمات التخطيط القومى من التدريب والمتدربين على النحو التالى :

أ — طرق رسم السياسات الاقتصادية والاجتماعية فى المجـــالات الانتاجية والاستهلاكية والاستثمارية على المستوى القومى وعلاقاته بالعالم الخارجى وتحديد الاهداف المتكاملة لتلك السياسات بما يتناسب مـــع أهداف التنمية .

ب ـ طرق تنفيذ تلك السياسات بتجهيز المشروعات والبرامج والخطط ودراسة مطالب تنفيذها والآثار المباشرة وغير المباشرة لكل منها ومحصلة تفاعلها جميعا فى تنمية المجتمع وحل مشاكله وتحقيق أهدافه ٠

جـ ـ أساليب تقييم المشروعات والبرامج القومية والمحلية فى مراحل الاعداد والتنفيذ والحصول على النتائج ٠

د ـ أساليب التنظيم والادارة وسياسة التنفيذ واجراءاته والاشراف عليه ومتابعته وتقييم نتائجه .

هـ ـ أساليب وضع الأولويات زمنيا بما يحقق التكامل والتناسق فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية ويضمن استمرارها ٠

ثانيا : التنمية من منظور الأهداف والاستراتيجيات

١ ـ أهداف التنمية عالميا :

تشير التنمية فى الاستخدام العالمى المعاصر الى ضرب من ضروب الايديولوجية المستحدثة التى تعكس اهتمام الحكومات الفعال بنمو مجتمعاتها وبمزيد من القدرة على تحقيق ذاتيتها٠وتبعا لتلك الايديولوجية تصير « التنمية » مصاحبة للتخطيط ولكافة العمليات التى تجرى لتحريك وتنشيط الطاقات المجتمعية الكامنة وتوجهها لتحقيق التغير والنمو فى الاتجاه المرغوب ٠ ولازالت التنمية تمثل « ايديولوجية صفوية » ، فهى عبارة عن جهد مقصود تبذله الحكومات لتحقيق أهداف حددت على نحو مسبق ، مع ملاحظة أن صياغة هذه الأهداف تتميز بأنها اقتصادية فى أساسها طالما أنها تشير الى تحسين المستويات المادية لحياة الاشخاص ٠

وهنا توجد المعضلة الكبرى ، اذ أن الرغبة فى تحقيق التنمية تستلزم التفاعل مع المجتمعات التى سارت خطوات طويلة فى هذا السبيل وحققت أهدافا بعيدة فيه ، خصوصا وأنها توفر الاطر المرجعية الرئيسية لنماذج التنمية المتعددة والمتفرعة ، وفى الوقت ذاته تكون هذه الرغبة فى تحقيق التنمية مصحوبة بمشاعر الخوف من السيطرة والاستغلال أو التبعية الاقتصادية لدول أخرى أكثر تقدما ونموا ٠

ان الخاصية المميزة للمجتمعات « الحديثة » تتمثل أساسا ، فى تفوقها الاقتصادى والتكنولوجى الذى يظهر فى قدرتها الفائقة على توفير

كافة السلع المادية لجميع فئات المجتمع وطبقاته بما فى ذلك اكثرها فقـــرا وهبوطا فى مستوى معيشتها . وليس أدل على ذلك من أن توفير التغذية الملاءمة ، والعون الطبى من أهم العوامل التى أدت الى ارتفاع معـــــدل التوقعات العمرية ، وانخفاض معدلات الوفيات بين الاطفال وتشاركها فى ذلك عوامل أخرى كالاسكان الجيد ، وتوفير الرعاية الصحية الشاملة ، ووضوح التسهيلات التعليمية والثقافية وامكانيات الدفاع العســـــكرى الملائمة ، واحتياطات الحماية ضد أى عدوان أو تهديدات خارجية ، ووجود ذلك القدر الهائل من السلع الفائضة أو الزائدة عن الحاجات الأساسية .

واذن فان هذه الخصائص تعتبر مؤشرات عديدة الى المستويـــات المعيشية المادية وهى تتعارض تعارضا صريحا وحاسما مع خصائص أخرى: كالفقر ، والجهل ، والمرض ، وسوء التغذية ، وارتفاع معدلات الوفيات فى الاطفال ، وانخفاض مستويات التوقعات العمرية ، ووضوح التزاحم، والأمية ، وانعدام الأمن الفيزيقى الذى يعتبر خاصية مميزة لحياة الجموع البشرية الهائلة فى شتى بلاد العالم النامى .

ان الزعماء الوطنيين على وعى كامل بحقيقة هذا التناقض فضلا عن أنهم يعرفون جيدا كيف أن تخلفهم الراهن يجعلهم لعبة سهلة فى أيدى أخرى تمارس عليهم مزيدا من السيطرة والاستغلال الخارجى ، وليس هناك غرابة اذن فى أن تعرف أهداف التنمية من خلال الاشارة الى مزيد من تحسين المستويات المعيشية المادية للشعوب النامية ، والنظر الى ذلك باعتباره الهدف الاساسى للتنمية .

ومن المعروف أيضا أن تلك المستويات المعيشية العالية فى المجتمعات المتقدمة ، ترتبط ارتباطا واضحا بمستويات انتاجية عالية كذلك ، ويصدق هذا على المستويين : المطلق ، والنسبى أى بالنظر الى حجم المخرجـــات النهائية ، وبقياس المخرجات على كل وحدة من وحدات المدخلات ، واذا كانت مستويات المعيشة المرتفعة تعتبر نتيجة لارتفاع معدل الانتاجية ، فان العكس أيضا صحيح ذلك أن التغذية السليمة ، والصحة العامة ذات المستوى الجيد تعملان على تحسين مستوى الأداء الانتاجى فى العمل . وتبعا لذلك فان قضيتى التوسع فى الكفاءة الانتاجية للمجتمع ، وتحسين

المستويات المعيشية لاعضائه ، تمثلان هدفين متلازمين ومحوريين فى اى نموذج تنموى .

وعلى الرغم من أن التنمية كما أشرنا اليها سابقا ، تعتمد على المحور الاقتصادى وبالتالى تكون تنمية اقتصادية فى أساسها ، الا انها غالبا ما تنطوى على بعد آخر اجتماعى . حيث أصبح الزعماء الوطنيون ، وصناع السياسة ، وواضعو القرارات السياسية ، وحتى المستشارون الأجانب اكثر وعيا من أى وقت آخر ، بأنه لابد لتحقيق هذا الهدف النهائى للتنمية ، من احداث تغيرات أساسية فى الاطار الاجتماعى الثقافى برمته، ذلك الاطار الذى يتحرك فيه الاقتصاد ذاته .واذن فان البعدين الرئيسيين للتنمية يتمثلان فى :

١ ــ النمو الاقتصادى .

٢ ــ والتغير الاجتماعى .

والحقيقة أن هناك نقطة ضعف تميز معظم الايديولوجيات التنموية المعاصرة ، تكمن فى أنه على الرغم من أن معتنقى هذه الايديولوجيات لديهم صورة واضحة عن ما هية النمو الاقتصادى ، فهم لا يحظون بفكرة تماثلها فى الوضوح ، عن اتجاه التغير الاجتماعى المرغوب ، خصوصا وأنهم يسعون الى تحقيق النمو الاقتصادى فى نفس الوقت الذى يحرصون فيه على الاحتفاظ بتراثهم القديم وبكيانهم الثقافى التقليدى . ولذلك ، فاذا كانت حكومات البلدان النامية تحرص على تحقيق التنمية الاقتصادية فى المجتمع ، وتعطى أولوية خاصة للجانب الاقتصادى ، فان عليها أن تعيد النظر فى كثير من جوانب نظامها الاجتماعى ، وفى كافة المظاهر السياسية والثقافية ، والاجتماعية التقليدية التى قد لاتتفق مع حركة الانطلاق الاقتصادى بل أنها تعد من أهم معوقات التنمية الاقتصادية فى تلك البلاد (١) .

---

(١) انظر فى ذلك : (دكتور محمد عاطف غيث ، علم الاجتماع وقضايا التنمية ، ورقة مقدمة الى المؤتمر العلمى للتنمية الذى انعقد فى المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، القاهرة ــ مارس ١٩٧١) .

ان أسبقية البناء الاقتصادى واحتلاله مكان الصدارة فى النظام الاجتماعى ، هى الخاصية الأساسية التى تميز مرحلة التطور الاجتماعى الحديثة فضلا عن أنها تحدد درجات الحرية فى تنظيم المجتمع الحديث . وغالبا ما يعبر عن تلك الأسبقية التى يتميز بها البناء الاقتصادى ، مبدأ « العقلانية الاقتصادية » أى الرغبة فى تحقيق أقصى قدر من الفوائد والأرباح بحيث تفوق التكاليف بكثير ، ويعد هذا المبدأ بمثابة القيمة العليا التى تحكم الحياة الاجتماعية والهدف الأكبر لكل الدوافع الانسانية فى مجتمعات كثيرة معاصرة . وفى هذا الصدد ، يعتبر التمسك ببعض القيم الثقافية التقليدية والنظم الاجتماعية البالية بمثابة « تكلفة » من منظور النمو الاقتصادى . ومثال ذلك أن الرغبة فى الاحتفاظ بالنظم التقليدية للعلاقات الأسرية الممتدة ، والولاء لها ، لا تتيح للمجتمع فرصة دمج عوامل الانتاج بطريقة عقلانية رشيدة ، خصوصا عندما يكون قد جاوز حدود البناء القرابى وحواجزه ، كذلك فان التطبيق المنظم لمبدأ العقلانية الاقتصادية ينطوى على معاملة الكائنات البشرية باعتبارها أدوات أو وسائل لتحقيق أهداف محددة .

ولكن هل مبدأ « العقلانية الاقتصادية » الذى تنطلق منه كل المجتمعات الحديثة المتقدمة ، يعنى القضاء المبرم على كل اعتبارات تتعلق بالقيم الانسانية الاخرى ؟ تختلف الاجابة على هذا السؤال تبعا لاختلاف الهدف النهائى للعقلانية الاقتصادية . وقد اتخذت « نماذج التنمية » من اختيار هذا الهدف أو تحديده ، نقطة انطلاق لها ، فأصبح هناك « النموذج الرأسمالى » ، « والنموذج التنموى الاشتراكى » الأول يقوم على مبدأ أساسى وهو أن « تحقيق أكبر قدر من الارباح » يعتبر هدفا مرغوبا لذاته . بينما ينظر الثانى الى « تحقيق أقصى قدر من الأرباح ، كوسيلة الى أهداف أخرى « اجتماعية » ، وفى هذا الصدد يورد عالم الاقتصاد البولندى « أوسكار لانج » فى مؤلفه عن « **الاقتصاديات الاشتراكية** » العبارة التالية : « تتطلب العقلانية الاجتماعية للنشاط الاقتصادى ، أن تكون غايات المشروعات الفردية خاضعة لهدف يحتضن كافة جوانب العملية الاجتماعية للانتاج والتوزيع ، وفى كلمات أخرى فان تلك العقلانية تستلزم التنسيق بين أنشطة المشروعات الفردية ، وتكامل أغراضها بواسطة هدف واحد مشترك يوجه النشاط الاقتصادى للمجتمع ويطلق على هذا التنسيق عبارة : « تخطيط الاقتصاد الاجتماعى » . ومعنى

ذلك أن الاقتصاد الاشتراكى يحتفظ بمقولة « الربح » أو « المنفعة » ولكنه لايجعل منها هدفا نهائيا لنشاطه ، بل أنها تظل وسيلة تخضع لهدف اجتماعى عام ترسمه خطة التنمية وتعمل على بلوغه · كما يستخدم الربح كحافز لانجاز مشروعات الخطة واستكمالها ، وكاختبار أو محك للمدى الذى بلغته الخطة فى تحقيقها للمبدأ الاقتصادى ·

٢ ـ استراتيجيات التنمية الرأسمالية والاشتراكية :

يعلق نموذجا التنمية : الرأسمالى والاشتراكى معا ، أهمية كبرى على النمو الاقتصادى المتراكم ، يكمن الاختلاف بينها فى حرص النموذج الاشتراكى على الاحتفاظ بعدة قيم انسانية أساسية كالعدالة الاجتماعية والمساواة ويدمجها ضمن استراتيجية للتنمية الاقتصادية ، وفى مقابل ذلك يحرص النموذج الرأسمالى على تحقيق معدلات سريعة جدا فى النمو الاقتصادى مصحوبة بوعود حول مزيد من الأرباح المادية التى سيتاح توزيعها فى مرحلة لاحقة · ويهمنا الآن أن نقوم بفحص سريع لمضامين أهداف التنمية فى النموذجين المذكورين ، ومدى تحققها فى سياق التنمية على المستوى الواقعى ·

ويشترك النموذجان : الرأسمالى والاشتراكى فى موافقتهما على أن التنمية الاقتصادية تنطوى على « التصنيع » بمعنييه:الواسع ، والمحدود. والمعنى الواسع للتصنيع هو الذى يشير الى نظام الانتاج الذى ظهر نتيجة لعمليات تطوير مستمرة وفعالة ، واستخدام للمعرفة العملية وتطبيقها ، فى نفس الوقت الذى يقوم فيه على تقسيم العمل والتخصص ويستخدم الامكانيات الميكانيكية ، والكيمائية ، والقدرات العقلية فى عملية الانتاج · مع الأخذ فى الاعتبار أن الهدف الأساسى لهذا الاسلوب فى تنظيم الحياة الاقتصادية ، يتمثل فى الحد من التكلفة الحقيقية لكل وحدة من وحدات السلع الانتاجية والخدمات وملاحظة الزيادات المصاحبة لتلك العملية بالنسبة للناتج النهائى · ويمكنأن ينطوى التصنيع بمعناه الواسع على مسألتين أخريتين لهما أهميتهما الخاصة وهما :

١ ـ التحول التجارى للزراعة (استخدام الزراعة فى أغراض التصدير) ·

٢ - تحديث الزراعة .

وتشتمل هذه المسألة الاخيرة على استخدام الأساليب العملية المتطورة لزيادة خصوبة التربة ، وحماية المحاصيل من الحشرات والامراض ، وادخال نوعيات من البذور تتميز بارتفاع مستوى العائد منها ، واستخدام « الآلات التى تحركها الطاقة » فى عملية الانتاج الزراعى . أما عن التحول التجارى فهو يعنى التخصص من أجل التوزيع فى الأسواق العالمية ، مع وضع اعتبار خاص لبلوغ الحد الأقصى من المخرجات أو العوائد وبلوغ الحد الأدنى فى التكاليف . ويشير المعنى الضيق للتصنيع . الى تحويل الأنشطة الانتاجية من دائرة العمليات الزراعية الأولية ، وتلك التى تعتمد على استخراج المواد الخام ، الى دائرة العمليات الصناعية الثانوية . والواقع أن جميع البلدان المتطورة سواء فى ذلك الاشتراكية والرأسمالية كثيرا ماتلجأ الى المطابقة بين التنمية الاقتصادية والتصنيع .

هذا وتشير بعض الدراسات الحديثة والبحوث العالمية فى مجال التنمية الى عدة نتائج يهمنا تحديد أهم مضامينها على النحو التالى :

١ - أنه كلما كان المستوى العام للتنمية الاقتصادية فى بلد معين أكثر ارتفاعا (علما بأن قياس هذا المستوى قد أتى عن طريق تحديد متوسط نصيب الفرد من الدخل القومى) تميز هذا البلد عن غيره من البلدان بأنه أكثر مشاركة فى الصناعة وأقل مشاركة فى الزراعة ، وذلك من منظورى : المخرجات ، والعمالة .

٢ - أن التحسين الذى يتم ادخاله فى مجال الزراعة ذاتها ، يعتمد الى حد كبير على المدخلات المصنعة : كالاسمدة الكيماوية ، والمبيدات الحشرية،والآلات الزراعية وما الى ذلك.فاذاكان لابد من تدعيم الايجابيات فى المجال الزراعى ، لا مفر اذن من البدء فى بناء مصنع لتحقيق هذا الهدف ، وذلك هو ما حدث فى الصين عندما شيدت المصانع فى قلب كميوناتها الريفية .

٣ - تتميز الأنشطة الصناعية (الثانوية) بقدرتها على امتصاص الأيدى العاملة ، التى تفوق قدرة الانشطة الزراعية (الاولية) ويكون هذا

الاعتبار وحده مبررا كافيا أمام جميع البلدان التي تتميز بالزيادة السكانية الفائقة ، لكى تصنع ذاتها ٠

٤ - يتميز التصنيع بأنه يبرز مستويات الكفاءة والمهارات ، فضلا عن أنه ينشط حركة الاتصال والتنقل ، وبالتالى فانه ينطوى على خاصية الاتصال الخارجى التى تعتبر مفقودة فى المجتمعات الزراعية ٠

واذا كان النموذجان الاشتراكى والرأسمالى ، يتفقان حول أهمية التصنيع للتنمية الاقتصادية ، فانها يختلفان اختلافا مؤكدا على أساليب تحقيق التصنيع ٠ وسوف نستخدم فى الفحص التالى لكلا النموذجين ، الاطار التحليلى الذى يقسم تنظيم الحياة الاقتصادية الى ثلاث عمليات متداخلة وهى : (أ) تحريك الموارد (ب) انتاج السلع والخدمات (ج) توزيع السلع والخدمات من أجل استهلاكها ٠

ان التنمية الاقتصادية تنطوى على تحول كلى فى كل عملية من هذه العمليات الثلاث وعدم اهمال واحدة منها ، ولما كانت نقاط الانطلاق فى المدخلين الرأسمالى والاشتراكى تعتبر مختلفة اختلافا جذريا ، فانه من الملائم هنا أن نلقى الضوء على محاور الاختلاف بين الاستراتيجيتين من خلال تناول كل عملية من هذه العمليات الثلاث على حدة :

(أ) تحريك الموارد من أجل التنمية (رأس المال فى مقابل العمل)

يعتمد معدل وحجم التنمية الاقتصادية فى أية دولة من الدول ، وفى أى زمن من الأزمنة على حجم وأسلوب استخدام الفائض الاقتصادى فيها، ويمكن النظر الى هذا الفائض باعتباره عنصرا متبقيا : أى أنه هو الذى يمثل « الباقى » من المخرجات الكلية بعد طرح الاستهلاك الضرورى منها، فتجرى العملية الحسابية كالاتى :

(محصلة المخرجات الكلية ـ الاستهلاك الضرورى = الفائض)

واذن فان هذا الفائض الاقتصادى يعتبر فائضا قابلا للاستثمار ، ومن اليسير أن نلاحظ أنه بدون استثمار فى المبانى ، والطرق، والكبارى، والسكك الحديدية ، ومحطات توليد الطاقــــــة ، والأدوات والمعدات الميكانيكية ، لايمكن بأى حال من الاحوال أن يتحقق التصنيع أو أن نضمن التوصل الى مستوى أعلى فى اجمالى الدخل القومى أو فى متوسط نصيب الفرد منه ، غير أن القدرة على الادخار والاستثمار تعتبر هى ذاتها نتيجة

لمستوى الدخل . فالاشخاص الذين يتميزون بانخفاض مستوياتهم من الدخل القومى ، لايتمكنون من الادخار والاستثمار مما يؤدى الى انخفاض معدلات الاستثمار ، الذى يترتب عليه بالضرورة انخفاض معدلات النمو فى الدخل الكلى . ذلك هو السياق الذى يتعين أن نضع فيه استراتيجية تحريك الموارد الخاصة بالنموذج الرأسمالى ... حيث ينظر هذا النموذج الى الزيادة فى حجم الفائض الاقتصادى (أى زيادة الفائض القابل للاستثمار) كوظيفة لملاءمة الفائض الاقتصادى السابق (أى فائض العام الماضى) لدى طبقة من طبقات المجتمع تسمى « أصحاب المشروعات الرأسمالية » وليس المقصود « بالملاءمة » هو جعل التراكم الرأسمالى للفائض مسألة أكثر سهولة ويسرا فقط ، بل ينطوى فى الوقت ذاته على تسهيل عملية تحويل الفائض الى طاقة انتاجية طالما أن طبقة الأغنياء المحدودة نسبيا سوف يتوفر لديها دخل أكبر بكثير مما يحتاجونه للانفاق على الاستهلاك . وبالتالى فسوف يعمل تحويل الفائض الاقتصادى الى طاقة انتاجية ، على زيادة المخرجات الكلية ، طالما أن حجم الفائض الاقتصادى يكون متاحا للاستثمار فى المرحلة الاقتصادية اللاحقة .

وفضلا عن ذلك فانه يعتقد – فى اطار هذا النظام – أن المنافسة الحرة ، والعملية المنظمة لميكانيزم الثمن : تجعل الأرباح تتجه الى أكثر أصحاب المشروعات انتاجية وفاعلية ، وبالتالى فانها تنشط نمو الفائض الاقتصادى لديهم أكثر وأكثر . ويمكن للانسان أن يتنبه الى انعكاس مثل هذا النموذج على المحيط الاجتماعى،فيلاحظ على التو أن عدم المساواة ووجود هذه المفارقات الطبقية الحادة تعتبر نتائج ضرورية لطبيعته ، وبجانب هذه الاعتبارات الانسانية ، يوجد عدد من الاخطاء فى اقتصاديات النموذج الراسمالى من منظور المجتمعات النامية المعاصرة ، خاصة وانه يشترط وجود بعض الظروف والشروط التى لاتتلاءم مع طبيعة المجتمعات النامية المعاصرة ، كوجود طبقة من كبار أصحاب المشروعات الرأسمالية ، التى تهوى مسألة المدخرات والاستثمارات الانتاجية ، فضلا عن وجود روح المنافسة الاقتصادية (١) .

---

(١) راجع فى ذلك : بيير جاليه ، العالم الثالث فى الاقتصاد العالمى، الاستغلال الامبريالى – ترجمة ذوقان قرقوط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٣ .

وفى مقابل هذا تتميز الاستراتيجية الاشتراكية باهتمامهــــــا بالاستخدام الكامل للطاقة البشرية بواسطة العمالة الكاملـــة ، وفرض الضرائب على الجميع ، وكذلك الحال بالنسبة للادخار · وجدير بالذكر أن هذه الاستراتيجية تجعل الزيادة الانتاجية ممكنة بواسطة وسائل معينة لاتستلزم اللجوء الى الاستثمار الرأسمالى الثقيل ، بل بالاعتماد الكلى على الأيدى العاملة التى توجد فى المناطق الريفية ، والافادة من الريفيين العمال فى المشروعات الصناعية،ومشروعات البناء الأساسى التى تحتاج الى مزيد من العمل فى مقابل احتياجها الى قليل من رأس المال ، كانشاء السدود ، وشق القنوات ، وانشاء الطرق وتمهيدها · وصناعات الصلب ··· وفى هذا الصدد يقول أحد الزعماء الصينيين « ان شعبنا هو رأسمالنا » ·

ويرتبط بالعمالة الكاملة وبفرض الادخار بواسطة الضــــرائب ، ضرورة الاحتفاظ بمستوى معين من أسعار المواد الغذائية وعدم تجاوزه ، ولا يمكن أن يتحقق ذلك الا بواسطة « عملية التحول الجمعى للزراعة »، حيث يعتمد التصنيع فى المراحل الأولية على الاقل من هذا النموذج ، على التمويل الذى يأتى من الزراعة ولهذا يمثل التخطيط المركزى أسلوبا فنيا ، يحل محل ميكانيزم الثمن فى نموذج الســوق الرأسمالى ، وينــوه الاقتصاديون فى هذا المقام الى أن البيانات الاحصائية المتاحة تشير الى تفوق التخطيط المركزى من حيث قدرته على القيام بتنظيم أفضل للحياة الاقتصادية ، وذلك اذا قورن بموقف السوق فى ظل النموذج الرأسمالى· والخلاصة أن الهدف النهائى للنموذج الرأسمالى والذى يتمثل فى تحقيق أقصى حد ممكن من الأرباح ، لاينطوى بالضرورة على استخدام أفضل الأساليب فى عملية الانتاج ، وفى مقابل ذلك فانه قد لايمكن تحقيق أفضل ربح فى ظل التخطيط الاشتراكى ، ولكن يمكن ضمان استخدام أفضل أسلوب فى العملية الانتاجية ·

(ب) انتاج السلع والخدمات (أساليب تكثيف رأس المال فى مقابل أساليب تكثيف العمل)

يعبر عن الصلة بين تكوين رأس المال وبين النمو الاقتصادى فى النموذج التنموى الرأسمالى ، مفهوم معين وهو (معدل مخرجات رأس المال

الكلى الثابت) ومعدل رأس المال هو عبارة عن القدر الذى بواسطته تؤدى الزيادة فى حجم الاستثمارات الى زيادة مصاحبة فى حجم المخرجات أو الناتج · وبطبيعة الحال فان معدلات مخرجات رأس المال تتفاوت من مشروع لآخر ومن قطاع اقتصادى الى قطاع آخر ، ومثال ذلك أن معدل مخرجات رأس المال فى صناعة الغزل والنسيج ، يعتبر أقل من معدل مخرجات رأس المال فى صناعة الصلب · وأما حجم « المعـــدل الكلى لمخرجات رأس المال » ، فيمكن التوصل اليه بواسطة استخراج المتوسطات الحسابية لمختلف مستلزمات رأس المال فى القطاعات الاقتصادية المختلفة· وفى هذا المقام ، يعتمد منطق النموذج الرأسمالى على مبدأ يشير الى أنه كلما زاد رأس المال المدخر والمستثمر فى دولة معينـــة ، ارتفع حجم المخرجات السنوية لها ولهذا ، فان تراكمية رأس المال وتكوين الطبقـــة الرأسمالية ، محوران أساسيان للنموذج التنموى الرأسمالى (١) ·

وتتميز المجتمعات النامية فى عصرنا الحديث بخاصية بنائية لاتوجد فى التنمية الرأسمالية ، وهى « فائض العمل الهائل والدائم » التى تحد من امكانية تطبيق النظرية السابقة عليها·وقد شغلت قضية التكنولوجيات البديلة ، أو الوسيطة أو الملائمة كما أطلق عليها المفكرون الاشتراكيون مساحات واسعة من مقالات اقتصاديات التنمية ومؤلفاتها وتعتبر الصين من أفضل الأمثلة على الدول النامية التى سارت على هذا المنوال الأخير فى مختلف مشروعاتها التنموية · غير أن المجتمعات النامية التى تدخل فى علاقات تجارية مفتوحة وعلاقات تمويل رأسمالى كبرى مع الدول الغربية ، قد لاتتمكن من ضبط أنماط الاستهلاك لدى شعوبها ، وبالتالى فانها تفقد القدرة على ضبط نموذج السلع المرغوب انتاجها ، والحال عكس ذلك تماما فى الدول النامية الاشتراكية لانها تمارس شكلا من أشكال الرقابـــة السياسية الداخلية على نماذج الاستهلاك ، مما يضمن لها عدم انتاج السلع التى لاتريدها أساسا ، وبالتالى عدم انتاج التكنولوجيا التىلا تتلاءم معها·

---

(١) راجع فى ذلك : بول باران وآخرون ، رأس المال الاحتكارى ، بحث فى النظام الاقتصادى والاجتماعى الامريكى · ترجمة حسن فهمى مصطفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧١ ·

ويتعين أن نضيف الى ذلك كله متغيرا آخر ، وهو أن ممارسة مثل هذا النوع من الضبط السياسى الداخلى تجاه الاستهلاك ، وما يرتبط من قدرة الدولة على الاحتفاظ بأنماط استهلاكية معينة فى الخط الذى يتفق مع قدرة الانتاج المحلية ، كل هذا يستلزم وجود درجة معينة من الانعزالية والاكتفاء الذاتى التى تأمل معظم البلدان النامية فى تحقيقهـــــا ، ولا يخفى عن الأذهان أن امكانية تحقيق ذلك تتوفر لدى الدول الناميـــة التى تحظى بسوق داخلية متكاملة ، وتتميز بمواردها الطبيعية الكافية التى تمكنها من عقد أدنى حد ممكن للاتصالات مع نماذج التجارة والانتاج العالمى القائمة بالفعل ٠

وتبدو السياسة التنموية التى تحل العمل محل رأس المـــــال ، ضاربة عصفورين بحجر واحد ، فطالما أن رأس المال يعتبر محدودا فان الاعتماد الذى يركز على تكنولوجيا العمل المكثف سيؤدى الى العمالـــة الكاملة فضلا عن نتائجه الاخرى ذات القيمة الاجتماعية البالغة ، وهى تحقيق العدالة الاجتماعية والمساواة الاقتصادية العظمى ٠

(ج) توزيع الدخل (النمو فى مقابل العدالة)

يتم توزيع الناتج القومى ، بواسطة توزيع الدخل على عوامل الانتاج الثلاث ، وهى الارض ، والعمل ، ورأس المال ٠ وبهذه الطريقة فـــان العملية الثالثة فى الحياة الاقتصادية ترتبط بالعملية الاولى : اذ أن توزيع الدخل فى اطار أية صورة من صور الاقتصاد ، يصبح أداة لتحريك موارد الدولة للانتاج فى المرحلة الاقتصادية اللاحقة (١) ٠ ويصبح لب مشكلة التخطيط فى الاقتصاد النامى ، متمثلا فى اعتبارين أساسيين ، وهما : أولا ، أن الدخل فى حاجة الى أن يوزع بطريقة معينة تضمن مزيدا من الكفاية الانتاجية لعوامل الانتاج فى الدورة الاقتصادية القادمة ٠ وثانيا ، أن توزيع الدخل يحتاج الى أن يتم بصورة تشجع الطلب الفعال على السلع التى يتم انتاجها بالفعل فى الدولة النامية ٠ وتحديد المشكلة على هذا النحو يجعل الصراع الشامل بين « التوزيع من أجل النمو » و « التوزيع من أجل المساواة أو العدالة » يختفى على الأقل بالنسبة للجانب الأكبر من الاقتصاديات النامية فى ا لعالم المعاصر ٠

---

(١) المقصود بعمليات الحياة الاقتصادية : الانتاج ، والاستهلاك ، والتوزيع ٠

وعلى أية حال ، فان نظريات التنمية الاقتصادية الحديثة ، تشير الى أن المجتمعات النامية لا تحتـاج الى « مدخـرات داخليـة » فقط بـل و « مدخرات أجنبية » أيضا لأنها فى مسيس الحاجة الى السلع الراسمالية المستوردة ، والى المدخلات الوسيطة التى يمكن انتاجها بأسعار أرخص فى المجتمعات الأكثر تقدما وهى تحتاج الى استيراد هذه السلع من اجـل تدعيم قاعدتها الصناعية ودفع عجلة الجهود التنموية المبذولة فيهـا . وأخيرا فانه من المقترح أيضا أن ادخال سياسة اعادة توزيع الدخـل بواسطة فرض الضرائب ، وربطها بسياسة الحكومة الموجهة نحو « ادارة الطلب » وتوجيهه ، هى من الأمور التى تؤدى الى ارتفاع معدلات النمو الاقتصادى ، وذلك بمقارنتها بالسياسات التى تهمل مسألة اعادة توزيع الدخل وادارة الطلب .

ثالثا : مداخل جديدة الى دراسة التنمية والتخلف (١)

ظهر فى الستينات مدخل الى دراسة التنمية ، ويتميز « بطلعـة جديدة » وأصبح منتشرا منذ ذلك الوقت علما بأن جذوره تمتد الى مائة عام مضت . وهو الذى يتمثل فى النظر الى التنمية من منظور « التخلف Underdevelopment » ، ـ هذا المنظور الذى اتخذ فى بداية الامر صورة ـ « المدخل الآلى الاستاتيكى » وهو الذى يعتبر « التخلف » بمثابة: موقف اجتماعى اقتصادى يفتقد العناصر والخصائص الضرورية للموقف « المتقدم Developed » أو لموقف المجتمعات المتقدمة ، تلك الخصائص التى تتمثل فى التصنيع ، وتكوين رأس المال ، والتكنولوجيا المتقدمة ، والمهارات الفنية ، وما الى ذلك . وقد كان طبيعيا أن ينبثق الحل المقترح لمشكلة التخلف من طريقة النظر الى المشكلة ذاتها ، وطالمـا أن تخلف المجتمعات النامية اعتبر ـ فى هذا المدخل الاستاتيكى ـ بمثابة افتقار الى خصائص معينة ، فان السبيل الى تطوير هذه المجتمعات والعمل على تقدمها ، هو عبارة عن حل بسـيط يتمثل فى أن تنقل الدول الغنية ـ ببساطة ـ تلك العناصر الحيوية الى البلدان التى افتقدتها ، ومن أهم

---

(١) لمعرفة أبعاد المنظور الاقتصادى للعلاقة بين التخلف والتنمية أنظر : عمرو محيى ا لدين : التخلف والتنمية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٧٥ .

العناصر الجديرة بعملية النقل هذه ذكر رأس المال ، والتكنولوجيـــا ، والمهارات ، وبعض الانظمة والمؤسسات السياسية الاجتماعية الملائمة ٠

غير أن هناك مدخلا جديدا ظهر فى الحقبة الزمنية الأخيرة منبثقا أيضا عن « منظور التخلف » ولكنه يختلف جد الاختلاف عن المدخـــل الاستاتيكى ، فضلا عن أنه حل محله بصفة تكاد أن تكون نهائية وخاصة عند مفكرى الغرب الراديكاليين ومفكرى الشرق اليساريين ٠ ألا وهو « المدخل الديناميكى البنائى Structural Dynamic Approach" الذى يعتبر التخلف بمقتضاه « عملية » أو علاقة بنائية مع النمو الذى حققته المجتمعات الرأسمالية المتقدمة ٠ وبناء على ذلك سادت فى الآونة الاخيرة نظرة جديدة الى التخلف باعتباره القرين المنطقى لعمليـــة النمو التى يشاهدها العالم بأسرة فى جزء منه يطلق عليه « المجتمعات الغنية » أو « المتقدمة » ٠

ولقد كان « المدخل الديناميكى البنائى » الى فهم التخلف ، منطقيا مع نفسه عندما نظر الى الاسلوب الذى اقترحه « المدخل الآلى » على أنه هو ذاته أسلوب « متخلف » كما أشار أيضا الى تلك الطبيعة الاستغلاليـــة لاقتراح نقل التكنولوجيا والنظم السياسية الاجتماعية من المجتمعات « المتقدمة » الى المجتمعات « المتخلفة » أو « النامية » ٠ وهكذا لقيت الفكرة السابقة تجاوبا شديدا وتأييدا مشوبا بالحماس ، بل لقد وضعت فى شكل قضية علمية وسياسية تقر بأن « الدول المتقدمة كانت فى الماضى عميلة للتخلف فى كل بقعة من بقاع العالم ، وسوف تواصـــل القيام بدورها هذا فى المستقبل » (١) ٠

هذا ، ويمثل الاعتراف بالعلاقة البنائية بين النمو أو التنمية وبين التخلف أحد الاكتشافات الهامة التى حققتها العلوم الاجتماعية فى الحقبة

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع أنظر :
(Bernstein (ed.), Underdevelopment and Development; B. Hoselitz, Sociological Aspects of Economic Growth; A. Barnett et. al., Beyond the Sociology of Development; Routledge & Kegan Paul 1975.)

الاخيرة . ومع علمنا بأن أصول هذه الفكرة تمتد الى«كارلماركس»فيالقرن التاسع عشر ، الا أنه لم تظهر ثمة محاولة فى هذا الوقت لصياغة الفكرة وبلورتها وتوجيهها للتأثير فى الوعى العام ،بل ظهرت هذه المحاولة أخيرا ومنذ فترة وجيزة فقط وأخذت تمارس تأثيرها الناجح تجاه الرأى العام العالمى،بل والفعل العام العالمى،مما يجعلنا نضع أيدينا على الآثار الأولى لهذا الوعى الناهض الذى أصبح واضحا وجليا ، تلك الآثار التى نذكر منها — على سبيل المثال لا الحصر — مايلى :

١ — أن هناك تحركا من جانب بلدان العالم الثالث ، نحو تضامن لم يظهر له مثيل من قبل ، وهو يتمثل فى اللقاءات والمؤتمرات الجماعية التى تقام منذ عام ١٩٧٠ بين هذه البلدان ٠

٢ — انشاء أول وأقوى منظمة عالمية « لاتحاد المنتجين Prouducer Cartel » وهى « منظمة الأوبيك OPEC » التى تعكس تحالف الدول المنتجة والمصدرة للبترول ، من أجل التخفيف من وطأة التنافس فيما بينهم ٠

٣ — ظهور محاولات هامة وفعالة فى بعض الاحيان ، من جانب حكومات البلدان المتخلفة لضبط حجم وقوة رأس المال الاجنبى ، والحد منهما بواسطة استخدام سياسات التأميم ومشاركة الدول فى الصناعات الاجنبية ٠

٤ — هناك اعتراف عام يسود دول العالم الغربى الآن بأنه لايصح أن ينظر الى الاستثمار الاجنبى الخاص باعتباره شكلا من أشكال المعونة أو « المساعدة Aid » ، وقد صاحبت هذا الاعتراف مجموعة ضغوط للعمل على زيادة التدفق « الرسمى » للموارد الرأسمالية الى البلدان النامية ٠

٥ — ظهر وعى متزايد وتفهم لطبيعة المعونات الاجنبية « الموجهة » ، يندد بطابعها الاستغلالى الذى لايخدم الانتاج القومى للدول النامية بل انه يقوم بدور عكسى ومضاد للصناعات الوطنية ٠ وقد أصبح واضحا أن هدف هذا المستوى من مستويات العون هو هدف خبيث وماكر ، اذ يتمثل فى توظيف الاموال بحيث يتعذر استثمارها فى أغراض

أخرى . وترتبت على هذا الوعى المتزايد عدة ضغوط فى اتجاه « تنويع مصادر Multilateralisation » برامج المعونة ، فضلا عن تنويع استخداماتها ومجالاتها .

هذه هى بعض الامثلة على الافعال الهامة التى قام بهـــا المجتمع الدولى أو أصبحت موضع اتفاق شامل من جانبه والتى وجدت أصولها فى تلك النظرة المتجددة الى تفسير الاسباب البنائية للتخلف .

تعقيب (علم الاجتماع بين الدعوى والدفاع)

اهتم فريق من علماء الاجتماع فى الآونة الاخيرة وخاصة فى أواخر الستينات وبداية السبعينات بنقد البناء النظرى والمنهجى لهذا العلم ذاته، وظهرت بذلك عدة اتجاهات نقدية حديثة اتخذت لنفسها تسميات مختلفة مثل « علم اجتماع الاجتماع » ، و « علم الاجتماع الراديكالى » ، و « النظرية النقدية فى المجتمع» ، بل وأكثرمن ذلك أن وصف علم الاجتماع ذاته « بالتخلف » و « الجدب Poverty » (١) . وهذا يدعونا الى أن نقف وقفه فاحصة من هذا الوصف أو الاتهام من أجل أن نتعرف على مدى صدقه أو تعبيره عن طبيعة علم الاجتماع ، وما يمكن أن يقـــوم به هذا العلم من تعديل فى موضوعاته أو فى أسلوب التحليـــل الذى يتبناه ،

---

(١) خصص « أندريه جوندرفرانك » مؤلفا بأكمله للتعبير عن ذلك الطابع المتخلف لعلم الاجتماع الاكاديمى ، أنظر :

(André Gunder Frank, The Sociology of Development and the Underdevelopment of Sociology, London : Pluts Press, 1970).

أما اتهام هذا العلم بالجدب والهزال فقد عبر عنه وصاغه أحد أساتذة علم الاجتماع بجامعة « تورنتو » ، أنظر :

(H.T. Wilson, "The Poverty of Sociology :
Society as Concept and Object in Sociological Theory.", in Philosophy of the Social Sciences, An International Quarterly, Published by Wilfrid Lourier Univ. Press; Vol. 8, No. 2, June 1978.

ولا يتأتى ذلك الا عن طريق اجراء عملية فحص مقارن بين اسهامات علم الاجتماع فى دراسة احدى المجالات واسهامات علم اجتماعى آخر فى دراسة نفس المجال •

وسوف نبدأ الحوار بطرح السؤال التالى : ما هى طبيعة الاسهامات السوسيولوجية فى دراسة قضايا التنمية ؟ وكيف يقيم مستواها لو قورن بمستوى الاسهامات الاقتصادية فى دراسة ذات هذه القضايا ؟ •• لا أحد ينكر أن الاختلاف كبير وأساسى بين الاسهامات السوسيولوجية والاقتصادية فى دراسة قضايا التنمية ، وأن طبيعة هذا الاختلاف كمية وكيفية فى الآن ذاته . اما السبب الذى يكمن وراء ذلك فهو أن علماء الاقتصاد كفوا — منذ وقت ليس بقريب — عن النظر الى الاقتصاد القومى أو « اقتصاد الدولة » على أنه يمثل الحقيقة الاقتصادية الوحيدة ، فأخذوا ينظرون الى العلاقات الاقتصادية بين الدول على أنها موضوع محورى لدراساتهم ، وفى مقابل ذلك واصل علماء الاجتماع النظر الى موضوع دراستهم على أنه ينصب على « المجتمعات » التى تمثل دولا ذات سيادة ، فى نفس الوقت الذى أصروا فيه على أن هذه « المجتمعات » هى الاوعية النهائية للواقع الاجتماعى ، وكان اصرارهم هذا يعكس ضربا من ضروب السذاجة التى أوقعتهم فى أخطاء كثيرة وحجبت عن انظارهم رؤية الواقع بشكل أعم وأشمل •

وجدير بالذكر هنا أن الواقع الاجتماعى مثله مثل الواقع الاقتصادى فى أنه لا يتكشف من داخل نطاق « المجتمع » ذاته أو فى حدود مايطلق عليه « الدولة القومية » بمالها من تعريف محدد ومعروف فى نطاق علم السياسة • كما أن مضامين هذا الواقع ومن بينها « الثقافة » و « البناء الاجتماعى » لم تعد اليوم « مجتمعية Societal » فى طابعها بل أصبحت تتجاوز حدود المجتمع فتعكس علاقات ذات طبيعة دولية وشاملة• ويمكن تفسير ذلك ببضعة عوامل من أهمها التوسع الجغرافى للمشروعات الرأسمالية ، والتقدم التكنولوجى للاتصال والنقل والمواصلات مما نجم عنه عملية انتشار ثقافى لم يسبقها مثيل فى تاريخ العالم • يضاف الى ذلك أيضا أن عمليات التمايز والتكامل فى الأنشطة البشرية وما يصاحبها من توزيع للمكافآت الاجتماعية — كالقوة والثروة — لاتبدأ من داخل

مجتمعات مختلفة وذات كيانات مستقلة ، ولا تنتهى فيها أيضا ، بل ان هذه العمليات البنائية الاجتماعية تقوم بدورها على مستوى كبير يتجاوز حدود « المجتمع » مما يجعلنا نقول ان التوسع البنائى الاجتماعى يعتبر مصاحبا للتوسع الاقتصادى وللانتشار الثقافى (١) .

ويوجد الآن نظام دولى للتدرج الطبقى الاجتماعى ، تتوزع بمقتضاه أهم القيم المجتمعية وهى : القوة ، والثروة ، والهيبة ، مبتدئة من قمة التسلسل حتى قاعدته ، وعلى ذلك فان القوة السياسية « للصفوات » فى دول العالم الثالث ليست منبثقة من داخل «مجتمعات» العالم الثالث ذاتها، ولكنها معتمدة على وضعها فى النظام الامبريالى العالمى بحيث يمكن النظر اليها على أنها تمثل مكافأة لتلك الصفوات مقابل اسهامها فى تدعيم هذا النظام الامبريالى . وينسحب ذات المبدأ أيضا على الثروة الاقتصادية لتلك الصفوات حيث أن حجمها يتناسب تناسبا طرديا مع درجة مشاركتها فى نظام انتاج وتوزيع السلع والخدمات العالمى وفضلا عن هذا وذاك ، تتحدد « القيم الثقافية » ذاتها بنفس الطريقة ، فالتفوق الاكاديمى ، والمهارات الفنية ، ومستويات الجدارة والملاءمة ، والهيبة والتقدير الاجتماعى هى كلها مسائل متصلة بتعريفات ثقافية نابعة من خارج المجتمعات التى توجد فيها وان كانت تحظى فى الداخل بالتقدير الرمزى والاحترام الشديد .

وأخيرا فاننا نستطيع أن نختتم هذا الحوار بطرح السؤال التالى : الى أى حد استطاع علم الاجتماع أن يقوم بعمليتى التنظير والتفسير الملائمتين للعمليات البنائية الاجتماعية التى تقوم بدورها على مستوى عالمى يتجاوز حدود « المجتمع » ؟ الحقيقة أن هناك عقبة واجهت علم الاجتماع أثناء محاولته القيام بهذا الدور على أكمل وجه ، ويرجع ذلك الى أن علماءه لم يقوموا بوضع تلك العمليات فى وضعها الصحيح ، حيث ألفت فى مجال هذا العلم آلاف بل وعشرات الآلاف من الكتب التى خصصت لدراسة « المجتمعات » و « الانساق الاجتماعية » فى وقت لم تحاول فيه أن تتناول

---

(١) ومن هذا المنطلق تؤدى التبعية الاقتصادية لدول العالم الثالث الى تبعيات أخرى اجتماعية وثقافية ، مما ترتب عليه أن صنفت دول العالم المعاصر الى فئتين وهما : دول احتكارية ، ودول تابعة .

مجالا هاما له وزنه الكبير فى العالم المعاصر ، وهو مجال علم اجتماع « التجمعات الكبرى متعددة الدول Multinational Corporation » علما بأنهذه التجمعات تقوم ـ سواء بصفة مباشرة أو غير مباشرة ـ بتنظيم حياة معظم الشعوب عبر الحدود الاقليمية التقليدية ، فضلا عن تنظيم العمل بها وتوحيد رغباتها واشباع تلك الرغبات . ومثال ذلك أن التبادل التجارى العالمى لا يجرى ـ فى معظمه ـ بين دول منفصلة ، بل يحدث بين منظمات اقتصادية أو أحلاف تجارية تشترك فيها دول متعددة . وهذا يجعلنا نكرر تأكيدنا على المسألة الاساسية التى نحن بصددها هنا وهى أن الواقع الاجتماعى ليس واقعا منغلقا أو محدودا داخل نطاق أنساق اجتماعية تسمى « مجتمعات » وتصبح مرادفة للدول القومية (١) .

ومن هذا المنطلق انبثقت حاجة علم الاجتماع الملحة ، الى دراسة صور وأشكال جديدة للتجمعات البشرية الضخمة التى تتجاوز حدود المجتمع الواحد أو الدولة القومية بمفهومها الاقليمى والسياسى ، ولاشباع هذه الحاجة ظهرت دراسات حديثة لقضايا التنمية فى بلدان العالم الثالث، وهى تشكل فى مجموعها بدايات نظرية لعلم جديد وهو « علم اجتماع المجتمعات النامية » أو قد يطلق عليه أحيانا « سوسيولوجية العالم الثالث» وهذا العلم الجديد لايهتم بدراسة المجتمعات النامية كوحدات منفصلة أو كيانات متميزة ومستقلة عن بعضها البعض ، فيتناول كلا منها على حدة باعتباره يحظى بشكل متميز من أشكال البناء الاجتماعى ، وبصورة فريدة من صور الثقافة ـ وانما يقوم بدراسة هذه المجتمعات من حيث أنها تتميز بخصائص مشتركة وسائدة فيما بينها تنبع من وضعها المتشابه الذى تحتله ـ الآن وفيما مضى ـ فى سياق العلاقات الدولية العالمية .

---

(١) هناك عدد كبير من المدافعين على هذه القضية والمتحمسين لها ، ومن بينهم «أ. م. هوجفيلت » أستاذ علم الاجتماع بقسم الدراسات السوسيولوجية بجامعة « شيفيلد » البريطانية ، حيث يذهب الى أبعد من ذلك فيقول انه ليس هناك وجود لما نسميه « بالمجتمع » الا فى مخيلتنا وفى بعض الرموز التى تشير الى الدولة مثل الراية القومية ، والمقعد الذى تحتله فى الامم المتحدة .

ومن أهم هذه الخصائص :الركود ، والفقر الجمعى ، وسوء التغذية ، وتبدد القوى البشرية والموارد الطبيعية ، وسوء استخدام الاراضى الزراعية أو الجهل بالاسلوب الامثل لاستغلالها ، وانتشار الامراض ،وارتفاع معـدل الأمية ، وارتفاع نسبة التزاحم ، وتراكم الديـون القوميـة . ولا يفوتنـا فى هذا المقـام أن ننوه الى خاصيـة هامة كثيـرا ما تضاف الى الخصائص السابقة وهى وجود صفوة قوية وثرية تتمتع بكل المزايا والامتيازات الاجتماعية نتيجة لعلاقتها مع احدى العواصم الاجنبية للدول الكبرى أو لسيطرتها على بعض قوى الانتاج وعوامله .

من أجل تلك الاعتبارات جميعا ، نقول ان علم اجتماع البلاد النامية يتميز باهتمامه بالطابع « فوق القومى _ Supra-national » للواقع الاجتماعى اعترافا منه بأهمية العلاقة الدينامية البنائية بين النمو أو التنمية من ناحية وبين التخلف من الناحية الأخرى .

الفصل السادس

المرأة والتنمية
« دراسة لمكانة المرأة المصرية ودورها فى التنمية »

أولا : الملامح العامة للخلفية التاريخية والثقافية .

ثانيا : المرأة والتعليم فى مصر .

ثالثا : الحياة الأسرية والمرأة المصرية .

رابعا : المرأة والاقتصاد والقوى العاملة .

الفصل السادس

المرأة والتنمية

((دراسة لمكانة المرأة المصرية ودورها فى التنمية)) ★

[يختلف الوضع الاجتماعى للمرأة المصرية اذا قورن بالوضع الاجتماعى للرجل تبعا لمستوى الامكانيات والوسائل المادية والاجتماعية المتاحة فى المجتمع ، واذا كانت القوة العضلية عندالنساء لا تعادل مثيلتها عند الرجل فان المرأة تستطيع أن تعتمد على الأدوات والآلات الميكانيكية والالكترونية الحديثة لانجاز ما تريد ، ان اجسادنا لا ترسم لنا أهدافنا ، بل قيمنا هى التى تحدد طبيعة استخدامنا لقدراتنا الجسمية والذهنية ٠ كما أن البيولوجيا لا تحدد مصير الانسان ، وحتى وعى المرأة ذاته بأنوثتها لا يشكل شخصيتها كامرأة ، لأنه ليس الا وعيا مكتسبا فى ظل ظروف تاريخية معينة ، ولذلك فالمرأة ليست فردا من أفراد النوع فقط ، وانما هى تشبه الرجل فى أنها مخلوق من صنع التاريخ] ٠

أولا : الملامح العامة للخلفية التاريخية والثقافية ٠

ان مكانة المرأة المصرية فى المجتمع الحديثلايمكن تفسيرها بالاعتماد على مجموعة عوامل اجتماعية واقتصادية وسياسية تلاحظ فى الحاضر فقط أو فى ظروف المجتمع وأوضاعه الراهنة ، وانما لابد من الرجوع الى الوراء لتحديد تلك الخلفية التاريخية والثقافيـــة التى جعلت للمرأة المصرية ذلك الوضع الذى تحتله الآن فى المجتمع والذى يؤهلها للقيام بأدوار ومهمام معينة لها انعكاستها ايجابيا أو سلبيا على أهداف التنمية الاجتماعية والاقتصادية ٠

وتختلف الثقافة المصرية القديمة التى تمتد الى أكثر من ستة آلاف عام مضت عن الثقافات العريقة الاخرى كالثقافة الاغريقية مثلا ، ذلك الاختلاف الذى يكمن فى مسألة هامة ، ألا وهى أن تقاليدها ومعاييرها لم تكن تجعل المرأة تابعة أو معتمدة ، بل ان النساءكن يحظين بهيبة كبيرة ويتمتعن بحقوق كبرى فى الحضارة الفرعونية القديمة ٠ ومن بين المؤشرات

★ تأليف دكتورة سامية محمد جابر ٠

والدلائل على أن المرأة كانت تحصل على الاحترام الكافى وتشـــارك فى الحياة الاجتماعية مشاركة فعالة ، أن الآثار الفرعونية الباقية تضـــع الزوجات فى مكانة متوازية مع أزواجهن • وتشير الوثائق أيضا الى أن الزوجات كن يصطحبن أزواجهن فى كل الوظائف الاجتماعية ويقفن معهم جنبا الى جنب ، حيث أعطيت للمرأة حريات وحقوق مساويـــــة للرجل وينطبق ذلك على حق العمل فى مهن مختلفة كالتجارة ، والزراعة ، وحق الترويح وممارسة انشطة وقت الفراغ تماما كالرجل ، ولذلك يمكن القول بأن المجال الذى كانت المرأة تمارس فيه وظائفها الاجتماعية ، كان يتميز بالشمول بحيث أنه امتد الى أبعد من حدود المنزل والحياة الاسريـــة أو تربية الابناء والعناية بشئون الزوج (١) •

ولكن هذا الوضع الذى تميزت به المرأة المصرية القديمة طرأت عليه تغيرات يمكن أن توصف بأنها سلبية،وقد حدث ذلك نتيجة لغزو الاسكندر الاكبر لمصر عام ٣٢٣ قبل الميلاد ، ثم ادماج مصر فى الامبراطوريـــــة الرومانية فى القرن الاول الميلادى ، حيث ظهرت آثار ذلك واضحة على مكانة المرأة •

لقد كان المجتمع اليونانى أثناء غزو الاسكندر الاكبر لمصر يستبعد المرأة من مجالات العمل ، والدراسة ، والشئون العامة ، بل ومبـــاشرة الأعمال المنزلية أيضا تلك التى كان ينجزها العبيد أنفسهم ، وكـــادت وظيفة المرأة فى الحضارة الاغريقية القديمة تكون مقتصرة على وظيفـــة الانجـــاب فقط • ان تبنى المصريين لأعراف الاغريق القدامى ولقوانينهم أدى الى انكماش تلك الحقوق والحريات التى كانت المرأة المصرية تحظى بهما فى المرحلة السابقة على حكم الاسكندر الاكبر ، وان كانت ملامح هذا الانكماش قد وضحت بوجه خاص لدى الفئات الاجتماعية التى تحتك أكثر من غيرها احتكاكا مباشرا بالثقافة الاغريقية بكل ما فيها من أفكار ومثل

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول خصائص الحياة الاجتماعية فى مصر الفرعونية ، انظر :

(Petrie Flinders; Social Life in Ancient Egypt; London : Constable and Company, Ltd. 1923.

وقوانين وأعراف (١) ٠

والأمر لم يختلف عن ذلك كثيرا ابان الحكم الرومانى لمصر ، حيث لم يوافق القانون الرومانى الا على عدد ضئيل من الحقوق القانونية التى كانت المرأة المصرية تحظى بها فيما مضى ، ذلك لأن المرأة لم تكن لهـــا شخصية قانونية مستقلة فى ظل القانون الرومانى ، بل كانت تابعـــة لأبيها قبل الزواج ثم لزوجها بعد أن تتزوج ، فضلا عن أنها لا تحظى بحق الملكية الخاصة ، أو بالمطالبة الرسمية بالطلاق لان ذلك كان من حق الزوج وحده (٢) ٠ ولذلك كان للغزو اليونانى ، والحكم الرومـــانى آثارهما على مكانة المرأة المصرية التى أحبطت بعد ادخال النظم القانونيـــة القيم الاجتماعية الرومانية وان كان قدر هذا التأثير الأخير مسألة يصعب تحديدها بالضبط خاصة وأن هناك فئة من الباحثين تشير الى أن الأعراف والممارسات المصرية القديمة كانت تمارس أثرا ايجابيا باســـتمرار فى حماية مكانة المرأة فى مصر أثناء هذه الفترة ٠

وفضلا عن ذلك توجد بعض الآثار الثقافية الدينية تجاه مكانة المرأة ابان مرحلة ظهور الديانات بالمجتمع المصرى وهى ان كانت آثار يشوبهـــا الغموض والتناقض الا أنه يمكن تحديد بعض ملامحها فيما يلى :

١ ـ كانت هناك بعض القيود تجاه الزواج والطلاق حيث كانت المرأة تستطيع فى ظل بعض الظروف المحدودة فقط أن تختـــار الزوج المناسب لها ٠

٢ ـ على الرغم من الشواهد التى تشير الى أن مكانة المرأة لم تكن هابطة الا ان المرأة لم تحظ بحقوق قانـــونية آمنة فيما يتعلق بشـــئون الزواج والأسرة ٠

---

(١) لمعرفة أبعاد أخرى عن وضع المرأة فى المجتمع اليونانى القديم ، أنظر :

(John Langdon; A Short History of Women; London : Walts and Company; 1928.)

(٢) أنظر :

(G. Paturet; La Condition Juridique de la Femme Dans L'Ancient Egypte. Paris 1886.)

٣ — منحت للمرأة حقوق قانونية كحق الملكية الخاصة والميراث ، وان كانت هذه الحقوق تنطوى على تمييز بين الذكور والاناث ٠

٤ — على الرغم من وجود بعض التعاليم والوصايا التى تحمى مكانة المرأة وتعلى من شأنها ، الا أن هناك مؤشرات توحى بأن منزلة المرأة ادنى من منزلة الرجل وأن قدرات الذكور تفوق قدرات الاناث لا لسبب الا لأنهن خلقن هكذا ، كما وضعت بعض المعايير والمحكات للمرأة الصالحة من أهمها : الطاعة ، والخضوع ٠

٥ — كانت هناك قيم اجتماعية محافظة تسود المجتمع العربى فى ذلك الوقت وقد أحدثت تأثيرها على وضع المرأة ودورها فى المجتمع المصرى حتى وقتنا هذا ، من أهمها « شرف القبيلة » أو « شرف العائلة » ، حيث كان المجتمع العربى يتميز بأنه « موجه توجيها عائليا » ولذلك كان شرف الذكور معتمدا على فضيلة أعضاء العائلة من الاناث ، فى نفس الوقت الذى كان تصور الرجال عن المرأة يؤكد باستمرار على الخاصية الجنسية للاناث ويعتمد على افتراض مسبق ومؤكد بأن المرأة ضعيفة وغير مسئولة، ولذلك كان هناك اعتقاد سائد بأن أى تعامل بين الرجال والنساء يؤدى — بلاهوادة — الى علاقة جنسية ، ومن ثم كان عزل النساء وفرض الحجاب عليهن يمثل مسألة وظيفية لحماية العائلة من أى خـزى أو عار يمكن أن يترتب على انتهاك حرمة نسائها (١) ٠ وعلى الرغم من أن الحجاب كـان يعتبر فى ذلك الوقت رمزا لاحترام المرأة ووقارها ، الا أن العزلة كانت لها انعكاساتها السلبية على شخصية المرأة وتقديرها الاجتماعى ، فضلا عن أن عدم خروجها من المنزل أدى الى تحديد طبيعة الأدوار التى يمكن أن تقوم بها ، وعوق قدراتها على المطالبة بحقوقها ، ووضعها موضـع التنفيذ ٠

وعندما خضعت مصر لحكم الأتراك فى عام ١٥١٧ ، وأصبحت جزءا من الامبراطورية العثمانية ، وصارت المرأة المصرية تعـانى من فقدان حقوقها وحريتها حيث سادت التفسيرات المحافظة لبعض النصـوص

---

(١) أنظر :
(Peter Dodd, "Family Honor and the Forces of Change in Arab Society." Internationaly Journal of Middle East Studies; (4) Jnuary, PP. 40-54.)

والتعاليم الدينية المتصلة بالنساء مما وضع المرأة فى دائرة من العزلة داخل جدران المنزل ، ومنعت من الذهاب الى الاماكن العامة ، أو دخول المحال التجارية ، أو مصاحبة آبائها أو أبنائها فى الطرق أو المنتزهات ، أو السير فى الطرق فى أوقات محددة ، ولقد حدى ذلك الأثر السلبى الذى تركه العثمانيين فى المجتمع المصرى والحياة العامة داخله ، ببعض المصريين فى العصر الحديث الى تسمية مرحلة الحكم العثمانى لمصر « بالعهد المظلم » فى تاريخ مصر .

وأما عن فترة الغزو الفرنسى لمصر فى عام ١٧٩٨ على يد « نابليون » فيشير عدد غير ضئيل من الباحثين والمؤرخين الى دخول مصر عصر جديد يتميز بالانفتاح على ثقافة الفرنجة والاحتكاك بأوربا الغربية ، الأمر الذى صاحبه تحديث تدريجى لبعض النظم الاجتماعية والاقتصادية فى مصر . وفى عام ١٨٨٢ هبطت على مصر قوى الاحتلال البريطانى وأصبح الحاكم العسكرى البريطانى يحكم الدولة من وراء الستار ، وأما عن الآثار التى ترتبت على اقامة الأوربيين فى مصر تجاه مكانة المرأة ووضعها الاجتماعى فى ذلك الوقت ، فيمكننا أن نتحدث بصددها عن نتيجتين متناقضتين وهما :

أولا : ظهور ملامح الانعزالية ، والسلبية والجهل ، وحرمان المرأة من المكانة الجديرة بها فى المجتمع خوفا عليها من تبهرج الفرنجة .

وثانيا : تبنى قلة ضئيلة من صفوة الأسر المصرية فى ذلك الوقت للتقاليد والعادات الأوربية الغربية .

ولكن هناك عدد من المفكرين والمصلحين الاجتماعيين بدأ يدافع عن حقوق المرأة وينادى بتدعيم مكانتها فى المجتمع ، ومن بين هؤلاء نذكر الامام محمد عبده ، وقاسم أمين ، حيث كتب الثانى مؤلفا عن «المصريين» عام ١٨٩٤ يرد فيه على انتقادات الاوربيين للنظام الاجتماعى الاسلامى فى مصر ، وخاصة ماتعلق منه بمكانة المرأة ، والزواج التعددى والطبقات الاجتماعية . وأما كتابه الثانى عن « تحرير المرأة » والذى نشره بعد خمس سنوات ، فهو يتميز بموقف ليبرالى حر يطالب فيه المؤلف بضرورة حصول المرأة على حقها فى التعليم ، وعلى كافة الحقوق والفرص الأخرى مثلها فى ذلك مثل الرجل تماما .

وحتى ذلك الوقت كانت فرص التعليم محدودة جدا أمام المرأة ، حيث كانت الفتيات تذهبن الى « الكتاتيب » فقط من أجل حفظ القــرآن أو تجويده أو كتابته وأما المدارس بمختلف مراحلهـــا فلم تكن تقبل الفتيات للالتحاق بالتعليم فيها • وهناك قلة ضئيلة من الفتيات فى الأسر التى تنتمى الى الطبقة العليا فى ذلك الوقت كن يتلقين تعليمهن فى المنازل وان كان المناخ الثقافى السائد حينئذ يصبغ دراساتهن بطـــابع معين فيقصرها على تلك الموضوعات التى تعين على اعدادهن لأن يصبحن زوجات وأمهات فى المستقبل •

وفى منتصف القرن التاسع عشر قامت بعض الجماعات التبشيرية الأجنبية ببناء عدد من المدارس للفتيات وكانت تعد بمثابة مدارس خاصة للاناث فى عائلات الصفوة • ثم بدأت الحكومة فى عام ١٨٧٣ ببناء مدرستين أوليتين على الطراز الأجنبى ، وسمحت للفتيات بالالتحاق بهما ، ومع ذلك لم يكن متاح لهن حتى عام ١٩٠٠ أن يؤدين الامتحان النهائى فى آخــر المرحلة الدراسية بتلك المدارس •

ان الاعتراف الرسمى بحق المرأة المصرية فى التعليم ورد فى دستور ١٩٢٣ وخاصة فى المادة (١٩) منه ، حينما جعل التعليم الاولى مطلبـــا أساسيا للاطفال المصريين من الجنسين ، والذين تتراوح أعمارهم من ستة سنوات الى اثنتى عشرة عاما • ثم أصبح التعليم الاولى اجباريـــا للاناث والذكور عام ١٩٣٣ ، وعلى الرغم من أن هذا القانون لم يطبق فى الواقع وخصوصا على الاناث ،الا أنه أتاح الفرصة لبناء عدد كبير من المدارس الأولية فى ذلك الوقت • وتطلعنا بعض البيانات الاحصائية الرسمية على أن نسبة الاناث المتعلمات بالقياس الى غير المتعلمات بلغت ٣ر٢٪ فقط عام ١٩٢٧ ، أما نسبة الذكور المتعلمين بالقياس الى غير المتعلمين فقــد بلغت فى نفس العام ٤ر١١٪ وبعد مرور أكثر من عشر سنوات من تطبيق قانون التعليم الاجبارى ارتفعت النسبة الاولى الى ٦٪ فقط ، بينما ارتفعت نسبة الذكور الى ٢٣٪ • وكانت نسبة من التحقن بالتعليم المتوســـط ضئيلة جـدا حيث بلغت ٩ر٪ فقط من مجموع المتعلمات (١) • أما عن

---

(١) للاطلاع على أبعاد الموقف التعليمى فى مصر فى ذلك الوقت أنظر:
(Hekmat Abou Zeid, et al., The Education of Women in The U.A.R. During the 19th and 20th Centuries Paris : UNESCO; 1970.)

طرق المرأة لأبواب التعليم الجامعى فقد جاء متأخرا نسبيا ، حيث تخرجت أول دفعة من الفتيات عام ١٩٣٣ بكلية الآداب جامعة القاهرة كما التحق عدد من الفتيات بكلية الطب عام ١٩٢٨ ، وعدد آخر بكلية الحقوق عام ١٩٢٩ ، والتجارة عام ١٩٣٦ ولكن التحاق المرأة بكلية الهندسة جـــاء متأخرا نسبيا ، وكان ذلك عام ١٩٤٥ ، وفى عام ١٩٥٢ بلغ عدد خريجات الجامعة فى مصر ٤٠٣٣ فتاة جامعية .

هذا ، وعلى الرغم من تأسيس بعض الاتحادات النسائية فى مصر منذ عام ١٩١٩ ، وقيام الحركات النسائية التى تستهدف برامجها رفع المستوى الاجتماعى والثقافى للمرأة المصرية ، واعدادها للمشاركـــة فى الحياة السياسية ، وتعديل قوانين الزاوج والطلاق الا أنه لاينبغى المبالغة فى قدر هذا النشاط النسائى الذى كان يمارس منذ عام ١٦١٩ حتى قبل الثورة لأنه كان موجها الى فئة قليلة ومحدودة من النساء المتعلمات اللائى كن على صلات وخبرات مع الثقافة الغربية ، فى حين ظلت الغالبية العظمى من النساء المصريات منعزلة فى منازلها وراء الحجاب ، فى نفس الوقت الذى كن يدعمن فيه التقسيم التقليدى لأدوار الجنسين نظرا لطبيعــــة التنشئة الاجتماعية التى تلقينها ، وارغبتهن كذلك فى الهروب من مواجهة الحياة العملية خارج نطاق المنزل .

ثانيا : المرأة والتعليم .

على الرغم من مرور أكثر من مائة عام على تأسيس أول مدرسة أولية عامة للفتيات ، ومرور أكثر من نصف قرن على صدور القانون الخاص بالتعليم الالزامى ، الا أن الغالبية العظمى من النساء فى مصر مازالت تموج فى بحر الأمية ، وقد بلغ معدل الأمية عند الاناث المصريات فوق سن ١٢ سنة طبقا لما ورد فى احصاءات ١٩٦٨ حوالى (٥ر٦٧ ٪) والاكثر من ذلك أن هذه النسبة ارتفعت الى ٧ر٩٠٪ فى القطاع الريفى ، وبمقارنة المعدلات التعليمية عند الجنسين ، نلاحظ أن معدلات تعليم الاناث تتخلف وراء معدلاته عند الذكور ، وعلى سبيل المثال بلغت معدلات الامية عند الاناث اللاتى بلغن سن العاشرة فأكثر (٩ر٩٣٪) عام ١٩٣٧ وانخفض هذا المعدل قليلا فبلغ (٣ر٨٤٪) عام ١٩٤٧ ، ثم وصل الى (١٣ر٨٣٪) عام ١٩٦٠ . أما معدلها عند الذكور فقد بلغ (٥ر٧٦٪) فى العام الاول، و (٣٦ر٦٤٪) فى العام الثانى ، و ١٩ر٥٦٪ فى العام الثالث .

وفضلا عن ذلك فان الاحصاءات الخاصة بالاناث فوق سن ١٥ سنة تشير الى ارتفاع ملحوظ فى معدلات الامية عند هذه الفئة أكثر من سابقتها، كما تتضمن مفارقة كبرى بين الذكور والاناث (١) ٠

وتتأثر البرامج المدرسية بما تنطوى عليه من مقررات تعليمية ، بالقيم الثقافية العامة السائدة فى المجتمع المصرى ، ولذلك فان الهدف الذى يكمن وراء تلك البرامج يتمثل فى اعداد الاناث لتحسين ظروف المعيشة داخل اطار الحياة الاسرية والمعاونة على زيادة الدخل ، ويستهدف اعدادهن لأن يصبحن زوجات وأمهات فى المستقبل ، ولذلك فاذا كان نظام التعليم فى مصر فى فترة سابقة يوفر للفتيات المصريات التكافؤ فى الفرص من الناحية النظرية ، فانه لم يحاول أن يعدهن لنفس الادوار التى يمكن أن يقوم بها الفتيان فى المستقبل ، مما يجعلنا نتوصل الى نتيجة طبيعية وهى ان هذا النظام كان يعزز دائما التقسيم الثقافى للادوار الى أدوار للذكور وأخرى للاناث كما أن تأكيد نظام التعليم على الجوانب الثقافية والقيمية المحافظة فى كل مراحل العملية التعليمية أدى الى تدعيم وجهة النظر التقليدية تجاه المسائل والقضايا المتصلة بالمرأة ٠

ومن الملاحظ أن فرصة الفتاة المصرية فى الحصول على التعليم تتحسن تحسنا بطيئا جدا ، ولازالت نسب التحاق الذكور بالتعليم فى مراحله المختلفة تفوق نسبة الاناث بكثير ويبدو ذلك واضحا من أن نسبة الاناث الملتحقات بالتعليم الابتدائى تقل بكثير عن نسبة الذكور ، فضلا عن أن هذه القلة الملتحقة بالتعليم الابتدائى لا تستكمل مرحلة التعليم الاعدادى وانما ترتفع نسبة تسرب الاناث من التعليم أثناء المرحلة الابتدائية وبعد الانتهاء منها ٠ وهناك انخفاض ملحوظ بين نسبتى التحاق الاناث بالتعليم الثانوى والجامعى حيث بلغت الاولى ٣٧٪ والثانية ٢٥٪ ومما يدعو للدهشة أن معدلات النمو فى التحاق الاناث بمراحل التعليم المختلفة فى مصر تعتبر ثابتة نسبيا منذ عام ١٩٤٧ الى عام ١٩٦٩ وذلك على العكس تماما مما يجرى فى كثير من البلدان الاخرى ذات الثقافات المتباينة (٢) ٠

---

(١) الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ١٩٧٥ : ٣٨

(٢) المرجع السابق ٠

هذا ، ويمكن تفسير الانخفاض الملحوظ فى نسبة حصول الاناث على التعليم بالقياس الى معدلاته عند الذكور بالرجوع الى مجموعة عوامل ، من أهمها : أن القيم الثقافية كانت تجعل من الزواج والانجاب مطلبا أساسيا له أولوية مطلقة ، مما يحد من تطلع الأسر الى تعليم بناتها أو الى استكمال هذا التعليم . وهناك كثيرون من المصريين الذين ينظرون الى تعليم الفتيات على أنه يعوق انجازهن لادوارهن الزوجية فى المستقبل ، كما أن استمرار التعليم يحتم ضرورة اعطاء الفتاة نصيبا أكبر من الحرية فى الخروج من المنزل وتجاوزها لدائرة الحياة التى ترسمها التقاليد المحافظة . فضلا عن أن انتماء الفتاة الى المؤسسات التعليمية يعرضها لمؤثرات خارجية غير عائلية ، ومتابعتها للتعليم فى مراحله المختلفة من شأنه أن يؤثر على الزواج الذى يعتبر مطلبا قيميا واجتماعيا أساسيا .

وهناك عدد من الملاحظات العامة والقضايا التى يمكن طرحها بصدد المرأة والتعليم ، من أهمها :

١ ـ أن أصبح تعليم الفتيات فى الحقبة الزمنية الاخيرة ينظر اليه أكثر من أى وقت مضى على أنه رمز للمكانة الاجتماعية ييسر فرصة الاناث فى الزواج ، ومع ذلك فانه مازال الاعتقاد راسخا بأن هناك اعتبارات أخرى ينبغى أن تكون لها الأولوية على تعليم الفتيات مثل السمعة ، والجاه ، والمستوى الاقتصادى .

٢ ـ يحرم عدد كبير من الفتيات فى الريف من الالتحاق بالمدارس الابتدائية ، حيث تفضل نسبة معينة من الأسر الريفية الابقاء على بناتهن داخل المنزل للمعاونة فى الأعمال المنزلية أو رعاية الصغار ، وبعض هذه الاسر تستعين بفتياتها فى الأعمال الزراعية .

٣ ـ لايعلق معظم الآباء الريفيين قيمة كبرى على تعليم بناتهم ، فى الوقت الذى يحرص بعضهم على تعليم الأبناء الذكور ، وهكذا تعتبر فرصة الالتحاق بالتعليم ضيقة جدا أمام الاناث الريفيات بوجه خاص بالمقارنة الى فرصة الذكور فى الالتحاق بالتعليم والاستمرار فى مراحله المختلفة .

٤ ــ كذلك تعطى الكثير من الأسر المصرية ، الأولويـــة فى التعليم للابناء الذكور على الاناث لأسباب اقتصاديـــة • فمع أن التعليم يعتبر مجانيا فى المدارس الحكومية بمراحلها المختلفة ، الا أن الآبـــاء ينفقون نصيبا معينا من دخولهم نظير شراء الكتب او الأدوات التعليمية والملابس المناسبة بل والدروس الخصوصية فى كثير من الأحيان ، يضاف الى ذلك أيضا أن كبر حجم الاسرة المصرية وحاجة الأم الى من يعاونها فى شئون المنزل وتربية الصغار أضاف أعباء على الفتيات الصغار فى أسر الطبقة الدنيا ، حيث تعطى الأولوية فى الالتحاق بالتعليم والاستمرار فى مراحله المختلفة للابناء الذكور بينما تحرم نسبة كبيرة من الاناث من هذه الفرصة •

٥ ــ ان فحص التركيب الاجتماعى لجماعات الطالبات اللائى يتلقين تعليما جامعيا أو عاليا فى فترة سابقة يشير الى أن أسرهن كانت تستهدف من تعليمهن اعدادهن للحياة الاسرية والزوجية أكثر من اعدادهن لمستقبل مهنى واضح ومحدد •

٦ ــ تشير الاحصاءات التعليمية الى أن النسبة الكبرى من الطالبات اللائى يلتحقن بالتعليم العـــالى يتمن بالدراسة فى مجـــالات التمريض والاقتصاد المنزلى ، والخدمة الاجتماعية واللغويات والآداب ، ثم تنخفض هذه النسبة الى درجة ملحوظة فى العلوم الطبية والهندسية •

٧ ــ ان القبول الاجتماعى لمسألة حصول المرأة على مستقبل مهنى واضح ومحدد تخلف وراء مستوى الموافقة الاجتماعية على تعليم الفتاة ، ولذلك فالمرأة المصرية لن تستطيع أن تحصل « عمليا » على حقها المطلق فى العمل والمهنة ، أو تضمن التخلص التدريجى من قضية الاستبعـــاد المهنى للنساء من بعض الأعمال ، والمناصب ، الا بواسطة نشر التعليم بكل مستوياته وفتح أبوابه أمام القطاع النسائى واعطاء الفتيات فرص واقعية للتعليم والعمل وتحرير عقولهن من قيود الادوار التقليدية •

ثالثا : المرأة والحياة الأسرية •

يتوقع كثير من علماء الديموجرافيا أنه كلما زادت مشاركة المرأة المتزوجة فى قوة العمل ، قل ميلها الى الانجاب • ولكن يتعين علينا أن نأخذ هذا التوقع المتفائل بشىء من الحرص والحذر الشديدين ، حيث

تستطيع نسبة كبيرة من الزوجات العاملات تجاوز التناقض القائم بين الدور الاقتصادى من جانب والدور الاسرى من الجانب الآخر ، وترجع قدراتهن على ذلك الى عدة عوامل من بينها أنه مازالت المرأة العاملة المصرية لديها الفرصة في أن تحصل على الخدمة المنزلية بثمن ملائم أو أن تستعين ببعض أفراد أسرتها أو أقاربها من الاناث لمعاونتها على تربية الابناء أو العناية بهم أثناء انشغالها فى العمل خارج المنزل مما يمكن معظم الزوجات العاملات فى مصر من الجمع بين كلا النوعين من النشاط دون الاحساس بالضغط أو الذنب ٠

وهناك عدد غير ضئيل من النساء يوفقن فى اختيار نماذج للاعمال والمهن التى تتميز بظروفها المرنة : كالتدريس مثلا أو العمل فى ميدان الخدمة الاجتماعية ، وما الى ذلك من المهن التى توفر للمرأة فرصة لتخطيط مواعيد ولاداتها أثناء فترة العطلة الصيفية ، ولذلك فان العمل لا يؤدى فى حدا ذاته الى انخفاض الانجاب عند الزوجات العاملات ، بل ان هناك متغيرا آخر أكثر أهمية ودلالة هو الذى يؤثر حقيقة فى السلوك الانجابى للمرأة وهو التعليم ٠ فقد كشفت الدراسات التجريبية عن وجود علاقة عكسية بين التعليم وسلوك الانجاب عند النساء ، حيث بلغ عدد الاطفال بالنسبة لكل مائة من الزوجات المصريات اللائى تلقين تعليما جامعيا (٣٩٤ طفل) ، بينما ارتفع هذا العدد حتى بلغ (٥٨٣ طفل) لمن تلقين تعليما ثانويا ، ووصل الى (٧٠٣) بالنسبة لمن استكملن التعليم الابتدائى ، أما غير المتعلمات فقد بلغ عدد أطفالهن (٧٠٨) ٠ واذا أردنا أن نضع المسألة على نحو آخر ، يمكننا أن نقول انه فى مقابل كل (١٠٠) مائة طفل تلده اناث مصريات أميات ، يولد (٨٧ طفل) من أمهات ملمات بالقراءة والكتابة ، و (٦٣) طفل من أمهات حصلن على التعليم الثانوى ، و (٥٣) من أمهات من ذوات الدرجات الجامعية (١) ٠

واذن فان درجة الخصوبة تتناقص على نحو منتظم كلما ارتفع المستوى التعليمى للاناث ، وهناك مجموعة اعتبارات يمكن طرحها لتفسير العلاقة العكسية بين التعليم وسلوك الانجاب عند المرأة من أهمها :

---

(١) انظر : « برامج تنظيم الاسرة فى جمهورية مصر العربية » اللجنة العليا لتنظيم الاسرة ــ القاهرة ، مطبعة الاهرام ١٩٧١ ٠

أولا : أن استكمال مرحلة التعليم العالى يؤخر سن الزواج عند المرأة ، وبالتالى فانه يؤجل من بداية فترة الحمل .

وثانيا : أن التعليم يوسع أفق المرأة فضلا عن أنه يطور مستويات تطلعها وآمالها ، وفى بعض الاحيان يعمل على تعديل هه التطلعات خاصة وأن المرأة بعد أن تنل تعليما عاليا تتطلع الى العمل والاستقلال الاقتصادى، وعلى الرغم من أن المرأة المصرية المتعلمة ليست مستعدة لأن تتنازل عن الزواج من أجل المستقبل المهنى ، الا أن محاولتها للجمع بين الادوار الاسرية التقليدية وبين اشتغالها خارج المنزل ، تدفعها الى الاقلال من عدد الأبناء .

وثالثا : أن المرأة المتعلمة تعى تماما أن التكاليف المترتبة على انجاب مزيد من الاطفال تفوق بكثير امكانيات وطاقات الاسرة المتوسطة التى لها متطلباتها بل وتريد أن تحقق مستوى معيشى أعلى باستمرار .

ورابعا : أن المرأة المتعلمة لاتعلق أهمية كبرى على الاطفال كمصدر أساسى لأمنها النفسى ومكانتها فى المجتمع ، كما هو الحال بالنسبة للمرأة غير المتعلمة التى تحقق ذاتها من خلال انجاب مزيد من الاطفال .

وخامسا : أن التعليم يزيد من وعى المرأة ومن ثم يدعم قدرتها على استخدام نماذج معينة وناجحة لتنظيم الاسرة واختيار أكثر الوسائل ملاءمة لتحقيق هذا الهدف .

ومن أجل ذلك كله نستطيع أن نقول ان السياسة المثلى لتنظيم حياة الأسرة فى المجتمع المصرى لابد وأن تتمثل فى نشر التعليم ومضاعفة فرصة الاناث فى الحصول عليه لما له من أثر بعيد المدى على التقليل من معدل النمو السكانى فى مصر ، فضلا عما يقوم به من العمل على رفع مستوى الأسرة المصرية اجتماعيا ، وثقافيا ، واقتصاديا .

رابعا : المرأة والاقتصاد والقوى العاملة .

يتحدد دور المرأة فى اقتصاديات المجتمع بقدر اسهامها فى المهن والأعمال غير الزراعية ، وتشير البيانات الاحصائية الخاصة بالعمالة فى مصر الى انخفاض مستوى مشاركة المرأة المصرية فى الأنشطة الاقتصادية خارج المنزل . حيث بلغت نسبة النساء العاملات بالقياس الى المجموع الكلى للاناث فى مصر عام ١٩٦٨ (٨٪) وارتفعت هذه النسبة بمعدل (٥٪)

خلال عشرين عاما (١) . ومع العلم بأن هذه الاحصائيات لم تأخــذ فى اعتبارها الاسهامات الرئيسية للنساء الريفيات فى مجال الزراعــة حيث تعتبر المرأة بمثابة العمود الفقرى للاقتصاد الريفى ، الا أنه بمقارنــة مشاركة المرأة المصرية فى القوى العاملة ، مع معدلات المشاركة النسائية فى بلدان أخرى تمر تقريبا بنفس مرحلة النمو الاقتصادى لمصر ، لوحظ أن اندماج المرأة المصرية فى العمل خارج المنزل يعتبر محدودا للغاية ، ويرجع بعض الباحثين انعدام التوازن فى البناء الصناعى والمهنى للقوى العاملة فى مصر « الى أن الرجال يقومون بأعمال عادة ماتقمن بها النساء فى المجتمعات الأخرى » . ومن أبرز الأمثلة على هذا ، انه على الرغم من أن مصر تعتبر دولة متخصصة فى صناعة الغزل والنسيج ، تلك الصناعــة التى تجذب فى الدول الاخرى نسبة عالية من الايدى العاملة النسائية ، الا أن هذه النسبة لاتزيد فى مصر عن ٢٪ من عمال المصانع المصريين ، هذا ويعتبر الانخفاض النسبى فى مشاركة المرأة المصرية فى الحياة الاقتصادية خارج المنزل خاصية تميز المجتمعــات الاسلامية بوجه عــام وتعكس التحديات الثقافية للتقسيم الثنــائى للعمل طبقا للجنســين ، وحيث ينظر الى مجال الاناث باعتباره متتصــرا على المنــزل ، أما العالــم الخارجى للعمل والشئون العامة فهو للرجــال ، واذا كانت المراة الريفية تشارك فى العمل الزراعى فذلك لأن هذا العمــل يعد جزءا من واجباتها المنزلية وهناك مجموعة من الحقائق التى تتصــل بمشاركة المراة المصرية فى مجال العمل والاقتصاد يمكن الاشارة اليها فى النقاط التالية :

١ ـ تكشف النساء اللائى تعشن فى المناطق الحضرية والأصــغر سنا ، عن ميل أوضح نحو البحث عن العمل من النساء الأكبر سنا واللائى يقمن فى المناطق الريفية .

٢ ـ تشكل النساء المتعلمات نسبة كبيرة من القوى العاملة النسائية فى مصر حيث يبلغ حجم الاناث المتعلمات حوالى نصف الاناث العاملات علما بأن هؤلاء المتعلمات لايمثلن الا قلة ضئيلة من مجموع أفراد الاناث فى مصر .

٣ ـ يبدى الرجال الذين ينتمون الى الطبقات المتوسطة والعليــا اتجاهاتهم الايجابية والمتحررة نحو تشغيل زوجاتهم وأخواتهم .

---

(١) الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ١٩٦٩ : ٤٥

٤ – ان معظم النساء العاملات فى مصر ، تعملن فى مهن تخصصية عليا وأعمال فنية وكتابية ٠ فهن يتركزن فى المهن القليلة نسبيا والتى ينظر اليها على أنها مهن محترمة للنساء ، ومن أهمها الاشتغال بالتدريس فى المراحل الابتدائية والاعدادية والثانوية والمدارس المهنية للفتيات ٠ وبدأت مهنة الطب تصبح محل قبول وموافقة اجتماعية بالنسبة للنساء وان كان ذلك يقتصر على تخصصات معينة مثل طب الاطفال والنساء ٠ وهناك بعض النساء القليلات نسبيا يسعين نحو الاشتغال فى مجالات معينة كالبيع ، أو الفنادق ، وما الى ذلك من الأعمال التى تحظى بمشاركة نسائية عالية فى الثقافات الاخرى ولاتجذب اليها نسبة عالية من النساء العاملات فى مصر نظرا لأنها تنطوى على تفاعل مباشر مع الجنس الآخر ٠

٥ – تفوق نسبة مشاركة النساء فى القوى العاملة فى المناطق الحضرية ، نسبتها فى الأسر الريفية حيث بلغت فى الحالة الاولى ١٠٪ بينما انخفضت الى ٤٪ فى الحالة الثانية عام ١٩٦٩ ٠ وربما تعكس هذه النسب – الى حد ما – بعض الاتجاهات المتحررة داخل البيئة الحضرية نحو عمالة النساء كما تكشف عن وجود فرص أكثر للعمالة بالاجر فى المدينة ، وعن معدل أعلى لتركيز النساء المتعلمات فى المناطق الحضرية ٠

٦ – تمثل النساء فى الجماعات العمرية التى تقل عن ٣٥ سنة نسبة حوالى ٧٠٪ من مجموع النساء العاملات فى مصر ، أما النسبة الباقية فتتوزع على الفئات العمرية المختلفة ٠

٧ – هناك عوامل أخرى تسهم فى انخفاض معدلات مشاركة المرأة المصرية فى الاقتصاد والعمل ، منها أن الكثيرين من أصحاب الاعمال والمديرين يعتقدون أن النساء أقل انتاجية كقوة عاملة من الرجال ، وتسهم فى تعزيز هذا الاعتقاد بعض العوامل مثل ارتفاع نسبة الغياب عند العاملات الاناث عنها بالقياس الى نسبته لدى العاملين من الذكور ، وينطبق ذلك بوجه خاص على النساء المتزوجات ٠ فضلا عن أن المرأة تسجل أحيانا نسبة عالية فى التأخر عن مواعيد العمل الرسمية أكثر من الرجال ٠ ومن المعروف أنه يتعين على المرأة العاملة فى كل أنحاء العالم ، أن تواجه مشكلتها فى التوفيق بين أداء مسئولياتها العائلية وبين انجاز التزاماتها المهنية ، ولكن الامر يزداد صعوبة أمام المرأة العاملة فى مصر خصوصا لو أدركنا عدم التأييد الكامل لاشتغالها بل وعدم الترحيب

بفكرة اشتغالها خارج المنزل ٠ ومع ذلك كله فان المرأة لا تكشف عموما عن نماذج لسلوك معوق للعمل أو عن انتاجية منخفضة عن تلك التى يكشف عنها زملاؤها الرجال (١) ٠

٨ - مازالت المرأة العاملة فى المجتمع المصرى تعـــانى من التمييز الجنسى ويبدو ذلك واضحا من احتجاز بعض الأوضاع المهنية والمناصب للرجال ٠ ومن ثم فهى تستبعد من مهن معينة وتحرم من القيام بأدوار معينة لأن قوانين العمل لاتطبق بطريقة فعالة ، فضلا عن أن كل جهاز حكومى يمنح الحرية الكاملة فى وضع معايير المهنة ، وتوصيف الأعمال والمهام ، وتحديد شروط التعيين فى الوظائف والاعلان عنها بطريقة أو بأخرى ٠

٩ - أن الضغوط الاقتصادية المتزايدة التى أصبح الشباب المصرى يعانى منها يوما بعد يوم ، أدت الى تغيير اتجاهاته نحو اشتغال المرأة ، حيث يفضل الشبان فى هذه الأيام الزواج من فتيات عاملات ، حتى يمكنهم مواجهة ظروف معيشتهم ٠ ولذلك يمكن أن نقول ان المساهمـــة الاقتصادية للمرأة المصرية بدأت تحتل قيمتهـــا فى المجتمع ، ومن بين الآثار المباشرة التى يمكن أن تترتب على تلك الظروف الأخيرة تغير الشكل التقليدى لهيكل القوى العاملة فى مصر ، فتتزايد فرص العمالة النسائية فى القطاعات غير التقليدية كالصناعة والتكنولوجيـــا والبحث العلمى بشكل غير مسبوق ٠

---

(١) لمعرفة وضع المرأة فى هيكل القوى العاملة ، فى الدول المتقدمة انظر :

(James A. Sweet; Women in the Labor Force; Seminar Press, New York and London, 1973.

الفصل السابع

الاعلام والشباب

مقدمـــــة :

أولا : الاعلام والتنمية ٠

ثانيا : أثر وسائل الاعلام الجماهيرى فى الشباب المصرى ٠

- الصحافة ٠
- الاذاعـــة ٠
- التلفزيون والشباب ٠

ثالثا : اتجاهات الشباب المصرى نحو وسائل الاعلام ٠

- القراءة والاطلاع ٠
- الاستماع الى الاذاعة ٠
- مشاهدة التلفزيون ٠

رابعا : النتائج العامة والتوصيات ٠

الفصل السابع

الاعلام والشباب★

مقدمـــــة :

يشتمل هذا الفصل على خلاصة بحث ميدانى يمثل جزءا من دراسة شاملة حول موضوع « الشباب المصرى فى اطار التنمية الاجتماعيـــــة والاقتصادية » وهو حلقة من سلسلة دراسات نظرية وميدانية أجرتها « لجنة بحث اعادة بناء الانسان المصرى » بجامعة الاسكندرية ، منذ أواخر عام ١٩٧٧ حتى أواخر عام ١٩٨٠ (١) . وقد أشتملت عينة الدراسة على (١٠٠٠٠) عشرةآلاف حالة موزعة على معظم محافظات جمهوريـــة مصر العربية . حيث بلغ اجمالى عدد الذكور فى العينة (٧٣٧٢) فى مقابل (٢٥٩٥) من الاناث . بينما انحصرت الفئة العمرية لافراد العينة بين الأعمار (من ١٨ الى أقل من ٣٠ عاما) روعى فى اختيارهم أن يمثلوا كل المهن والأعمال ، فضلا عن تمثيل كافة المستويات التعليمية . وقد تمثـل الهدف الأساسى لهذا الجزء من البحث والذى يتصل « بالاعلام والشباب المصرى » فى النقاط الآتية :

١ ــ القاء الضوء على طبيعة وسائل الاعلام ووضعها فى المجتمعات النامية بشكل مجمل .

٢ ــ الاشارة الى بعض آثار وسائل الاعلام الجماهيرى فى الشباب المصرى .

٣ ــ التعرف على حقيقة اتجاهات الشباب المصرى نحو وســائل الاعلام ومضمونها .

٤ ــ عرض مجموعة النتائج التى أسفرت عنها الدراسة فضلا عن اقتراح بعض التوصيات فى هذا الشأن .

★ تأليف دكتورة سامية محمد جابر .

(١) أنظر : « الشباب المصرى فى اطار التنمية الاجتماعيـــــة والاقتصادية » لجنة بحث اعادة بناء الانسان المصرى ، ١٩٨٠ ــ بحث غير منشور مودع بمكتبة قسم الاجتماع ــ كلية الآداب جامعة الاسكندرية .

(أولا) الاعلام والتنمية :

يشهد مجتمعنا المصرى أنواع متعددة من التغير الاجتماعى والثقافى، ومع أن عوامل التغير متعددة ومتشابكة ، الا أننا نوجه النظر الى أهمية الدور الذى تقوم به وسائل الاعلام فى هذا الصدد من خلال ما تقدمه للمجتمع من معلومات وما تعرضه من برامج تنطوى على تأثيرات بالغة الخطورة فى صنع اتجاهاته بوجه عام وانعكاس ذلك على آفاق شبابه ومستويات ثقافته بوجه خاص ٠

ولعل التقدم التكنولوجى هو الذى زود الاعلام بوسائل عديـــدة وتجهيزات وامكانات مختلفة ومتنوعة بدأت بصماتها تزداد وضوحــــا وفعالية وتأثيرا فى حياتنا وحياة مجتمعنا والعالم من حولنا ٠ ومن زاوية أخرى نستطيع أن نقول ان وسائل الاعلام الجماهيرى قد أحرزت تقدما ملموسا خلال العقد الأخير من القرن العشرين من خلال القفزات الواسعة التى تمخضت عن التغيرات التى تحققت بل وتدفقت فى هذه الفترة ومن أهمها التطورات الاجتماعية والفكرية والعقائدية ونمو الاختراعات فى الميدان الاعلامى والاتصال الجماهيرى ٠

واذا كان الاعلام يحدث آثاره الواضحة فى التغير الذى يطرأ على معالم البناء الاجتماعى والثقافى للمجتمع ، فان هناك مجموعة عوامل تسهم فى تحديد طبيعة هذه الآثار ، منها انتشار وسائل الاعلام بين مختلف الجماهير ، ونوعية المواد الاعلامية ومدى قدرتها على تصوير مايدور فى المجتمع المحلى والعالمى من أحداث وتطورات فى جميع نواحى الحياة ، واذا كان المجتمع يؤثر فى جوانب عديدة وخاصه فى مضمون وسائل الاعلام. الا أن الاعلام يؤثر على المجتمع بل قد يعيد صياغة اتجاهاته وأفكاره على النحو الذى سوف يتضح من خلال مناقشة الموضوعات العديدة فى هذا الفصل ٠

لقد أصبح معروفا أن وسائل الاعلام فى عالمنا المعاصر تعتبر ذات أثر بالغ فى تكوين الرأى العام وتغيير مساراته لاسيما فى المجتمعـــات النامية التى تجاهد للخلاص من رواسب التخلف ومكوناته وعوامله من خلال خلق جمهور واع يستطيع أن يفهم ذاته وحقيقة واقعه ، ويسعى بالتطلع المشروع والارادة الصلبة الى البحث عن حل لمشكلات مجتمعه على

اختلاف أنواعها ، ومعالجة القضايا الهامة ، وتنمية القيم الأخلاقية والاجتماعية والثقافية والقومية والدينية . ولذلك فان على الاعلام بالمفهوم الذى أشرنا اليه أن يسهم فى توسيع المدارك والأفكار ويستحث دوافع الجماهير واهتماماتهم وانتباهاتهم بقضايا المجتمع ويثير فى أعماق وجداناتهم الاحساس بالمشاركة فيما يجرى من أحداث محلية وقومية وعالمية .

هذا وتحتل وسائل الاعلام مكانا مرموقا وتحظى بالتقدير العظيم وبالثقة الكبيرة فى أغلب المجتمعات ، وقد ساعدت طبيعة الحياة الحديثة على ذلك ، حتى أنها أصبحت تمثل المحور الأساسى لنشر الثقافة وترسيخ مكونات الحضارة وخاصة عندما تكون المادة الاعلامية مصاغة بصورة تتفاعل مع متطلبات المجتمع وتطلعاته واهدافه وقيمه ، على نحو يتميز بالصدق والأمانة والاعتماد على الطاقات الخلاقة وأصحاب العطاء والخبرة العالية ، ولسوف ينعكس ذلك على الشباب،جذبا لانتباههم ودعما لمعرفتهم وخبراتهم وتنمية لقدراتهم على الملاحظة والتفكير السليم مما يخلق الثقة بين الاعلام وجمهوره من الشباب على الأخص .

وينطوى الاعلام على الدعاية أى اتباع سياسة الاخبار فى الترويج لفكرة أو فلسفة ، أو سلعة ، من خلال اطلاع الأفراد والجماعات وجمهرة الناس والذين يمثلون الرأى العام فى أوسع مجالاته ، على الأخبار بكافة أنواعها ومستوياتها ،وقد يعتمد الشعب على الاعلام فى التعبير عن مطالبه من خلال الاحزاب السياسية والقوى الضاغطة والنقابات والجمعيات ، ويكون رد الفعل لهذا كله هو المطالبة بالتغيير . والاعلام الذى يوجه الى الرأى العام هو الذى يخطط لتكوينه وتوجيهه ، وبقدر ما يقوم على أوسع قاعدة عملية وأعمقها فى هذا المجال بقدر مايكتب له الاستمرار والنجاح ، أما اذا وجهت الدعاية الى قلة أو اذا ارتفع مستواها فوق مستوى الجماهير ، باءت الدعاية بالفشل ، ولذلك يحسن ألا ينزل الاعلام الى مستوى منخفض بحجة اقناع الجماهير ولا يرتفع الى مستوى أعلى بحجة أنه يوجه الى النخبة ، بل يتعين أن يكون فى حدود ادراك الرجل العادى فى الوقت الذى يسعى فيه الى الارتفاع بمستواه الفكرى

حتى يتمكن من استيعاب وتفهم الاحداث العالمية فى شتى مجالات العلم والسياسة والتكنولوجيا (١) ٠

ومن أهم نشاطات أجهزة الاعلام وأهدافها الآن سواء على المستوى القومى أو العالمى ، خدمة الاقتصاد ومكافحة التضخم وتوفير المواد الأولية والوقود وحث المواطنين على مراعاة الاقتصاد فى مصادر الطاقة وترشيد الاستهلاك ، ولذلك لابد من الاشارة هنا الى مجموعة من الشروط التى ينبغى توافرها فى الاعلام الملائم ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلى :

أولا : واقعية الاعلام ، أى تعبيره عن الأوضاع القائمة والبيئة المحيطة والثقافة المميزة لشعب معين ، أو المناخ الثقافى الذى يعبر عن حقيقة المجتمع ٠

وثانيا : التكرار والتدعيم ، والمقصود بذلك التأكيد على الفلسفة والمبادىء التى يراد بثها فى النهاية فى أذهان الجمهور لاعتناقها ، واذا أريد الأخذ بالتكرار للدفاع عن مبدأ معين أو التركيز على قبول سياسة أو دعوة معينة كالدعوة الى « السلام » أو « الحرب » فليكن ذلك بقدر معين يبتعد عن الضغط أو مغالطة الجماهير ٠

وثالثا : تحاشى الأكاذيب أو الوقوع فى التناقض ، ذلك لأن الأكاذيب كثيرا ما تكون براقة ترضى الناس وقت صدورها ولكنها سرعان ماتؤدى الى خيبة الأمل عند انكشاف الكذب والمبالغة ٠ وقد

---

(١) لقد استخدم الاعلام عند قدماء المصريين فيما كتبه الفراعنة على التماثيل وجدران المعابد من أمجاد وانتصارات على الأعداء ، ونراه أيضا فى مواكب الأباطرة والخلفاء حيث يزرع الهيبة فى قلوب الرعية ، وفى المسارح الرومانية وما تحويه من بذخ يعبر عن قوة الدولة وسلطانها ، واستخدم كذلك فى الدعوة لجمع شمل المسلمين وفى الاحتفالات بالمناسبات الدينية ٠ ولقد أدرك نابليون بونابرت عند قدومه الى مصر أهمية الاعلام فأحضر معه مطبعة بالحروف العربية ليضمن نجاح غزوه بواسطة الدعاية السياسية والنشر ، وذلك لاقناع المصريين بأنه جاء لخلاصهم من طغيان المماليك .

تتناول الاكاذيب بيانات احصائية أو تخفيضات فى الاسعار . وهذه هى أخطر أنواع الاعلام المضلل اذ يترتب عليها انتشار الفوضى بين الناس وانتشار أزمة الثقة بين الحاكم والمحكوم بل ، وفقدان الامن والامان فى المجتمع بأسره ، ولذلك يراعى أن يتناول الاعلام موضوعات صادقة حتى لا يصاب الجمهور بالسأم وفقدان الأمل .

ورابعا : ضرورة التزام وسائل الاعلام ببعض المعايير الأخلاقية فى الكلمة والفعل ، والمقصود بذلك اتباع الأساليب القائمة على أخلاق اعلامية معينة من شأنها تهذيب الشعب واضفاء نوع من الثقة والمهابة على قادته من خلال تصديقه لعباراتهم ودعوتهم ،كما يشترط فى السلوك الاعلامى أن يقوم على اخراج العبارات فى قالبها الطبيعى دون اتباع طريقة غير صحيحة ، فالعبارات السهلة تصل الى الجمهور بسرعة عن طريق وسائل الاعلام وكذلك الأخبار الصحيحة . ويتم ذلك عن طريق التصوير الحقيقى أو المسرحى للأحداث السياسية فى هدوء وعرضها على الجمهور بطريقة مناسبة وموضوعية حتى يتميز حكمه عليها بالموضوعية ، وهنا لابد من الاشارة الى أهمية العلم ، وضرورة الاعتماد عن نتائج الدراسات المختلفة فى مجال العلوم الانسانية للحاق بركب الحضارة الحديثة ، وبناء صرح الدولة .

وخامسا : ضرورة الاهتمام بتثقيف الشباب والعمل على تخليصه من سموم الدعوة الاستعمارية المستترة وراء ستار بعض أنواع الدعاية المذهبية (الرأسمالية وغيرها) ، وحثه على زيادة الانتاج ضمانا لعدالة التوزيع ، وكذلك دفع عجلة التحول العقلى لدى الجماهير بعيدا عن المثل والقيم والتطلعات البرجوازية الفردية وتوجيهها نحو المثل والقيم الجماعية التى تستهدف المصلحة العامة .

وعموما فان مضمون وسائل الاعلام وبناءه ، يمكن أن يكون لهما آثار عميقة فى كثير من مجالات الحياة الاجتماعية وانعكاسات على ردود الافعال التى تظهرها المؤسسات الأخرى وخصوصا عندما تطرح وسائل الأعلام طرقا بديلة لمواجهة الاحتياجات المختلفة ، أو تبدأ فى تناول مشكلات المؤسسات الاجتماعية المصرية الأخرى : كالاقتصاد ، والقانون ،

والتعليم ، والأسرة ٠٠ وهنا تتعين الاشارة الى أن وسائل الاعلام تعتبر ـ من منظور معين ـ بمثابة مؤسسات قائمة بذاتها لها موقعها فى المجتمع ، وأهدافها وقوتها وديناميتها النظامية ٠ ولذلك فان التعرف على طبيعتها وفلسفتها ونوعية الاشخاص القائمين عليها ، والبرامج التى تقدمها ، فضلا عن الاطلاع على اتجاهات الجمهور نحوها وموقفه مما تعرضه من مادة اعلامية يعتبر أمرا بالغ الأهمية خاصة فى مجتمع يريد أن يوجه سياسته نحو اعادة بناء الانسان اعتمادا على فلسفة جديدة وأسس عملية واضحة ومحددة ٠

ومن هنا جاءت أهمية هذا الموضوع الذى نتناول من خلاله موقف وسائل الاعلام من بناء الشباب المصرى ، ولهذا سيكون من المفيد أن نستعرض (من باب المقارنة) ملامح هذه الوسائل فى المجتمعات النامية ، واتجاهات الشباب بكافة فئاته ومستوياته المهنية والتعليمية وخلفياته الاجتماعية نحوها ، لنلقى ضوءا على معالجات البيانات وتحليلها التى جاءت نتيجة الدراسة الواسعة النطاق التى أجريت على الشباب ٠ ذلك أن مصر وان كانت تتميز بعدد من الخصائص تجعلها تحتل مكانا مرموقا فى سلم المجتمعات النامية ، الا أن خصائص شبابها والتأثيرات التى تقع عليه ونتائجها التى يحملها على كاهله ، تعتبر نتيجة طبيعية ومنطقية لانتماء مصر بصورة أو بأخرى للدائرة الأوسع لما يسمى بالعالم الثالث ، مما يدعونا الى التعريج على طبيعة وسائل الاعلام الجماهيرى فى المجتمعات النامية ، من خلال الاشارة الى بعض خصائصها الهامة على النحو التالى (١) :

١ ـ أن جمهورها يعتبر محدودا بالقياس الى جمهور وسائل الاعلام فى البلاد الاكثر تقدما ٠ فقد تبين مثلا بعد فحص درجة الاقبال على وسائل الاعلام واستخدامها فى كل من كولومبيا والولايات المتحدة ان نسبة

---

(١) للاطلاع على دور وسائل الاعلام فى المجتمعات النامية أنظر :
Majid Teheranian et al.; Communication Policy for National Development : Acomparative Perspective, Routledge and Kegan Paul, London, 1977.

مستمعى الاذاعة فى كولومبيا وصلت فى عام ١٩٦٨ الى (٣ر١٥٪) بينما بلغت فى أمريكا حوالى (٩٠٪) • وأما نسبة جمهور القراء الذين يقبلون على قراءة الصحف والمجلات بصفة منتظمة فقد بلغت فى الأولى ٦ر٥٦٪ وفى الثانية ٦ر٣٢٪ • وقد بلغت نسبة مشاهدى التليفزيون فى كولومبيا ٤ر١٪ فى مقابل ٢ر٣٣٪ فى أمريكا • وفى أغلب الظن أن هذا التفاوت الملحوظ فى نسب جمهور وسائل الاتصال فى هذين المجتمعين ، يرجع الى مجموعة عوامل من أهمها أن هذه الوسائل تعتبر متاحة أكثر فى البلاد المتقدمة ، بينما يعتبر الحصول عليها فى البلاد النامية أمر أقل يسرا ، فضلا عن ارتفاع معدلات الأمية فى هذه البلاد الأخيرة •

٢ — أن هناك مفارقات واضحة داخل المجتمع النامى الواحد ، توجد بين معدلات الاقبال على استخدام وسائل الاعلام ، لدى الريفيين والقرويين من جانب والصفوة الحضرية من جانب آخر • وتؤكد دراسات عديدة وجود مؤشرات على أن هناك نسبة كبيرة من جمهور الصفوة فى المجتمعات النامية (كطلاب الجامعة وأساتذتها والمنتمين الى الطبقة المتوسطة) تكشف عن مستويات اقبال عالية لاتقل درجتها عن مثيلاتها لدى الصفوة فى المجتمعات الاكثر تقدما • وهذا يعنى أن الاقبال على وسائل الاعلام واستخدامها لدى القرويين يعتبر منخفضا بدرجة ملحوظة فى البلاد الاقل نموا •

٣ — يتميز جمهور وسائل الاعلام الالكترونية وخاصة الاذاعة والسينما بأنه أكثر كثافة من مثيله فى وسائل الاتصال المطبوعة (كالجرائد والمجلات) فى البلاد النامية ، علما بأن هذا الاختلاف الملحوظ بين حجم جمهور وسائل الاعلام يعتبر أقل وضوحا بكثير فى المجتمعات الاكثر نموا ، وربما يرجع ذلك الى ارتفاع نسب المتعلمين التى تتيح فرصة الاقبال على وسائل الاعلام المطبوعة •

٤ — أن مضمون وسائل الاعلام فى المجتمعات النامية ، يتميز بأنه أقل جذبا وملاءمة لجمهور القرويين نظرا لما يحويه من توجيه حضرى قوى ، فعادة ما تتركز مؤسسات وسائل الاعلام الجماهيرى فى المدينة العاصمة أو على الأقل فى المدن الكبرى ، كما أن مضمون الأنباء القومية

والعالمية لايستحوذ على اهتمام الجمهور الريفى الذى يتميز باهتمامه بالشئون الداخلية . أما المجتمعات الاكثر تقدما ، فهى تحظى فى أغلب الاحيان بوسائل اعلام متخصصة (كالمجلات الزراعية) توجه الى جمهور الريفيين .

٥ _ تتميز المجتمعات النامية بدرجة عالية من الضبط الحكومى ورقابة الدولة على وسائل الاعلام ، خاصة الالكترونية ، فالحكومات الوطنية بوجه خاص تعتبر فى هذه المجتمعات محركات فعالة جدا لأنشطة التنمية ، ولذلك ربما تكون درجة الضبط الحكومى سببا يفسر المحتوى الواضح لبرامج ومضامين وسائل الاتصال فى تلك المجتمعات ، حيث يزداد التأكيد على البرامج الاعلامية ، والتعليمية ، والتربوية ، والدعائية التى تصمم خصيصا من أجل اطلاع أعضاء المجتمع على نماذج معينة للتحديث أو اقناعهم بها . وفى الواقع توجد حكومات وطنية كثيرة تنظر الى وسائل الاعلام كأدوات متكاملة فى برامجها التنموية .

هذا وعلى الرغم من أن وسائل الاعلام فى البلاد النامية تتمكن من بث رسائل تستهدف التغير والتحديث بالنسبة لملايين القرويين كل يوم، الا أن النسبة الفعلية التى تصل اليها مثل هذه الرسائل تعتبر ضئيلة ، لانه ليس من اليسير تحديد مسائل معينة ، مثل : من الذى يكون بين جمهور وسائل الاعلام ، ومن الذى لايكون ؟ .. أو ماذا يعرف عن آثار وسائل الاعلام على التحديث ؟ وماهو المضمون الملائم الذى يمكن لهذه الوسائل أن تنقله الى الريفيين ؟ (١) .

ملاءمة وسائل الاعلام الجماهيرى للتنمية والتحديث :

تشير بعض الدراسات القليلة فى الدول النامية الى الدور الهام الذى تلعبه وسائل الاعلام الجماهيرى فى عملية التحديث . وفى مقابل ذلك يميل كثير من مخططى التنمية على المستوى القومى ، الى تجاهل فعالية وسائل الاتصال الجماهيرى فى هذا الشأن ، الى درجة كانت معها الدول النامية التى تؤكد على أهمية هذه الوسائل محدودة نسبيا ، وقد

---

(١) انظر : Evertt M. Rogers; Modernzation Among : Peasants : The Impact of Communication; Hall, Rinhart and Winston, Inc., 1969.

أشار « بول » فى مقالته التى نشرها فى كتاب « الاتصال والتنمية السياسية » عن « وسائل الاتصال الجماهيرى وسياسات عملية التحديث » عام ١٩٦٣ م الى أنه نادرا ما ينظر الى وسائل الاتصال باعتبارها تحتل مكان الصدارة اذا قورنت بالتكنولوجيا الحديثة مثلا، أو بالسدود المولدة للطاقة ، أو بالمؤشرات التنموية الاخرى ذات الاهمية البالغة · وفى هذا الصدد تعتبر الهند حالة نموذجية ، ففى الخمسينات، رصد أقل من ½٪ فقط من ميزانية التنمية القومية ،للارسال الاذاعى ، ومع ذلك وصل حجم المبلغ المنصرف بالفعل الى نصف الميزانية المخصصة، وفى الستينات رفع مخططو التنمية فى الهند هذه الميزانية الى النصف تقريبا ·

وهناك بعض الدول ذات النظم السياسية التى تتميز بطبيعة خاصة كالصين وكوبا ،وفيها ينظر المخططون الى تنمية وسائل الاتصال الجماهيرى عن طريق دمجها بالاتصال الشخصى بين جماعات صغيرة من العمال والفلاحين الذين يتبادلون الحوار والمناقشة ، وهى تهدف من وراء ذلك الى دمج الجمهور فى الحملات التنموية الحكومية المختلفة (١) · وهناك بعض القضايا الهامة بصدد تنمية وسائل الاتصال الجماهيرى وهى :

١ – أن قنوات الاتصال المتبادلة على مستوى الاشخاص تعتبر غير كافية ، بمفردها ، للوصول الى جمهور الريفيين فى المجتمعات النامية حيث أن التكلفة والجهد اللذين يلزمان لتدريب اعداد كافية من اخصائى التنمية على المستوى المحلى يفوقان فى الواقع امكانيات وطاقات المجتمع النامى ·

٢ – أن التقدم الذى طرأ على تكتيكات وسائل الاعلام الجماهيرى فى السنوات الاخيرة ، ييسر للحكومات القومية أن توفر للقرى أجهزة الراديو ، والأفلام ، ومختلف امكانيات وسائل الاتصال الجماهيرى

R.K. Chatterjee; Uass Communication : National Book Trust, India : New Delhi, 1973.

ومحطات الارسال التليفزيونى ، وخدمات تجميع الأنباء ، ومؤسسات طباعة الجرائد ، استطاعت حكومات البلاد النامية الاتصـــال بجمهور عريض من خلال هذه القنوات الاتصالية ·

٣ – يتوقع من ذلك الجمهور العريض لوسائل الاعلام ، والذى يتميز بمستويات عالية فى الأقبال على استخدام هذه الوسائل أن يكشف عن درجة عالية من الاطلاع على الأحداث السياسية ، وقابلية أكثر لمعرفة المعلومات والأخبار التكنيكية · وما هو أكثر من ذلك فان وسائل الاتصال الجماهيرى تتميز بقدرة عالية على تحديث الشعوب التقليدية خاصة عندما تدمج بالاتصالات المتبادلة على مستوى الأشخاص فى جماعات المناقشـة والحوار ذات الحجم الصغير · وربما تمكن وسائل الاتصال جمهورها فى المجتمعات النامية ، من ممارسة الضغط على الصفوة الحاكمة،ولكن الطاقات الكبرى لهذه الوسائل قد تقصر فى كثير من الاحيان عن أن تمارس وظائفها الحقيقية نظرا لما يمكن أن تسببه من تغيرات تقاومها بعض الجماعـات ذات المصالح الراسخة ·

ثانيا : اثر وسائل الاعلام الجماهيرى فى الشباب المصرى

الصحافة

قد تكون الصحافة مرآة للرأى العام وأداة من أقوى الأدوات المعروفة للتعليق على هذا الرأى ، وحينئذ تكون ضرورة من ضرورات المجتمع التى بدونها يفتقد الجانب الأكبر من المعلومات التى نعتمد عليها فى حياتنا اليومية ، والصحف فى عصرنا الحديث تعتبر حلقة الوصل بين الفرد والعالم الخارجى ، ولولاها لعاش الانسان فى عزلة عما يجرى حوله ، اذ لا توجد دائرة من دوائر حياتنا الاجتماعية لا تغذيها الصحافة أو تمسها من قريب أو بعيد ، والذين يقولون انهم لايطالعون الجرائد أياما بل أسابيع هم على الرغم من ذلك يتأثرون فى كل ساعة بها لأن من حولهم يطالعونها وينقلون اليهم مافيها من أخبار ومعلومات ومعارف وقد شبهت الصحافة بمؤشر الثوانى على ساعة التاريخ لأنها تتنـاول مجرى الحوادث التى يتألف منها التاريخ فتحللها وتشرحها بعد أن تدونها الواحدة تلو الأخرى·

ان واجبات الصحفى فى مصر دقيقة للغاية لأن نسبة المتعلمين أقل

منها فى كثير من الدول ولأن للكلمـــة المطبوعـــة بيننـــا سحرا يستولى على العقول وأثرا ينطبع فى النفوس ، فعليه ان يحفل بأخلاقنا الشرقيه والا يذهب فى المناقشة الى مثل مايذهب اليه بعض كتاب الصحف الغربية، اذ أن لكل أمة أخلاقها وتقاليدها ويجد الشباب فى الكلمة المطبوعة قوة أعظم صولة ونفوذا من المدافع والغازات السامة وأكثر مناعة وأنوى حرارة من الصلب ؛ ولذلك فان للصحافة فضلا فى تكوين الرأى العام والتأثـــير على الانتفاضات الوطنية والسياسية والفكرية التى تقوم بين الشباب بما تنشره من أخبار وماتكتبه من تعليقات وأعمدة وأحاديث وتحقيقات وما تنشره من صور ورسوم كاريكاتورية ٠ هذا ويتعين على الصحيفة التى تحرص على اجتذاب جماهير الشباب والتأثير فى آرائهم أن تجرى سياستها فى نشر الأخبار انطلاقا من الأخذ بمجموعة اعتبارات أساسية وهى :

أولا : يجب أن تنشر الأخبار الصحيحة والواضحة وذلك لأن الأنباء هى الغذاء الرئيسى للرأى العام وبدونها لا يكون هناك وجود لهذا الرأى .

وثانيا : أن تقوم بتفسير هذه الأنباء والتعليق عليها على نحو يساعد القارىء فى الوقت نفسه على تأليف هذا الرأى ٠

وثالثا : أن تقوم بتتبع هذه الأخبار بعد نشرها حتى تصبح كاملة فى نظر القارىء وطالما أن الصحافة تعتبر من أقوى الوســـائل لتكوين الرأى العام وتوجيهه وتغيير مساراته فان عليها أن تلتزم بالمعـــايير الآتية :

١ ــ أن تحافظ على الروح المعنوية القومية الســـائدة فى الوطن فلا تنشر ما يضر أو يسىء الى هذه الروح وبالتالى فانه يتعين عليهـــا تحاشى النفوذ الأجنبى مهما كانت الظروف ٠

٢ ــ أن تبتعد عن ترويج الاشاعات وأن تنشر الأخبار الصحيحة والصادقة وأن تتحرى الحقيقة فى معالجتها للمشكلات القومية ٠

٣ ــ أن تبتعد عن الأمور التافهة ولا تهتم الا بالمسائل والقضايـــا القومية ذات الطبيعة العامة التى تتمشى ومصلحة الجماهير ٠

والحقيقة أن فرص اعادة البناء أمام الصحافة فى مجتمعنا كثيرة ولا سبيل الى حصرها ، فنحن نعيش ثورات ثلاث فى وقت واحد ، نعيش

ثورتنا السياسيةونعيش ثورتنا الاقتصادية ونعيش ثورتنا الاجتماعية،تلك ميادين ثلاثة تتسع لجميع العاملين المخلصين من أبناء هذه الأمة ويمكن أن تضاف اليها ثورة رابعة هى الثورة الثقافية · ولقد كانت الصحف المصرية فى العهود السابقة لا تعيش فى الغالب الا ثورة واحدة فقط هى الثورة السياسية التى كان هدفها الخلاص من الاستعمار والحصول على الاستقلال وقلما كانت تلك الصحف فى الماضى تعنى بالميدان الاقتصادى أو الميدان الاجتماعى ··· وفضلا عن ذلك فان مقياس الرقى الصحيح لكل أمة من الأمم هو صحافتها المعبرة عن آرائها واتجاهاتها ولذلك فـــان المجتمع المحروم من صحافة كهذه يظل محروما من أسباب التقدم المادى والمعنوى ·

الاذاعـــة

تلاحق برامج الاذاعة الانسان منذ استيقاظه فى الصباح حتى يأوى الى فراشه فى المساء ، فالانسان اذن مهما بلغت ثقافته لابد أن يحصل على جزء من معلوماته فى بعض ميادين المعرفة المجهولة لديه عن طريق الاذاعة ، ومع ذلك فالاذاعة بالغة الأثر بالنسبة لأنصـــاف المتعلمين والأميين والأطفال والشباب والنساء ، وخاصة ربات البيوت ·

ويمكن الاشارة الى الدور الذى يجب أن تقوم به الاذاعة نحو الرأى العام الداخلى على النحو التالى :

١ ـ ضرورة تحقيق قدر من حدة التفكير والشعور والهدف والقيم التى تستهدف تماسك المجتمع وحماية شبابه من التمزق والانحراف وتحقيق أمنه الاجتماعى ·

٢ ـ حفز الشباب على اختلاف ميولهم واتجاهاتهم ومشاغلهم على الاهتمام بالمسائل العامة وقضايا المجتمع ومناقشتها ومتابعتها وهذا من شأنه تدعيم الروح الديمقراطية الصحيحة ·

٣ ـ التخفيف من حدة العصـــبيات الأقليمية والقضـــاء على التحيز بكل أشكاله وأنواعه ·

٤ ـ متابعة تثقيف الشباب واشباع احتياجاتهم الفكرية والنفسية، والارتفاع بمستوياتهم الثقافية والفنية ·

وما من شك فى أن الاذاعة قد أصبحت اليوم أكثر وسائل الاعلام انتشارا حتى فى الدول النامية ، وتزداد أهميتها فى المجتمعات الريفية ، فمن المؤكد أن حرمان القرى من وسائل الترويح والتثقيف وانعزالها عن الحياة الحضرية كان من العوامل الفعالة فى انتشار أجهزة الراديو (الترانزستور) بالقرى وبخاصة بعد أن أخذت بعض أنواع الفنون والآداب الشعبية فى التراجع والانقراض ، وحتى الذين لايملكون أجهزة راديو من أهل الريف فانهم يستمعون اليها فى المقهى أو لدى الجيران أو الأهل أو الاصدقاء مما يدعونا الى أن نؤكد أن جهاز الراديو لم يعد ينافس جميع أجهزة الثقافة الأخرى من كتب ومسرح وسينما فقط بل أصبح ينافس الآداب والفنون الشعبية ، المتوارث منها والتلقائى المبتكر على حد سواء ٠

وتزداد أهمية الاذاعة وتأثيرها فى البلدان التى تتميز بارتفاع معدل الأمية ،ففى معظم بلاد العالم العربى لاتتجاوز حتى الآن نسبة من يعرفون القراءة والكتابة الثلاثين فى المائة بل ان نسبة كبيرة من هؤلاء لاتستطيع أن تستخدم ما تعلمته من مبادىء القراءة والكتابة كوسيلة لمواصلة تحصيل الثقافة ومتابعة الأخبار فى ميادين العلم والثقافة والفن ، وذلك لعدة أسباب منها :

١ - أن بعض الحكومات كانت تنظر الى التعليم نظرة مريبة وذلك لعلمها أن الشعب اذا استنار لايمكن أن يظل خاضعا وهى تعلم حق العلم أن البؤس لا يحرك الشعوب وانما يحركها الوعى به ٠ والعلم والثقافة هما اللذان يمنحان الشعوب هذا الوعى ولذلك حرصت تلك الحكومات على أن يحصر التعليم فى أضيق الحدود وأن تقتصر مهمته على اعداد العدد الضرورى من الموظفين اللازمين لادارة أجهزة الدولة ٠

٢ - أن الاستغلال الخارجى والداخلى يستنزفان الجانب الاكبر من خيرات البلاد ؛ لذلك كان من الطبيعى أن تعجز ميزانية الدولة عن نشر التعليم على نطاق واسع لما يتطلبه ذلك من نفقات كبيرة لبناء المدارس واعداد المدرسين وكفالة حياتهم واعداد الكتب والأدوات المدرسية ، فضلا عن أن انخفاض مستوى المعيشة أدى الى انخفاض شديد فى دخل الفرد بحيث أصبح المتعلمون أنفسهم والموظفون بنوع خاص عاجزين عن

تخصيص أى مبلغ من هذا الدخل الصغير والمحدود لشراء كتاب أو مجلة أو اسطوانة موسيقية وبذلك حرم المتعلمون أنفسهم من مواصلة تثقيف عقولهم لعدم قدرتهم على تملك أدوات الثقافة الأساسية ومن الواضح أنه من العبث أن نطالب مثل هؤلاء بشراء كتاب أو مجلة علمية أو ثقافية أو فنية ٠ ومن البديهى أن الميزانية العاجزة عن انشاء المدارس تكون أشد عجزا عن انشاء المكتبات العامة ومراكز الثقافة وتعميمها فى قرى البلاد فضلا عن مدنها ولايمكن للمجتمع حينئذ أن ينظر الى وسائل الثقافة العامة نظرته الى المرافق الأخرى ، كوسائل المواصلات أو توفير مياه الشرب مثلا ٠

٣ ـ ان مناهج التعليم العام فى العهود السابقة كان يعتريها فساد مقيم يتمثل فى النظر الى تعليم القراءة والكتابة على أنه يكفى فى حد ذاته حيث كان الأطفال يلقنون مبادئها دون أن يعلموا أنها وسيلة لتحصيل المعرفة ومن المعلوم أن القراءة بغير فهم أمر عقيم ٠

التليفزيون والشباب

عبر « هربرت ماركيوز » عن مخاوفه من ذلك الأثـــر الذى تتركـــه أجهزة الاعلام عامة والتليفزيون خاصة فى المجتمع الحديث ، فذهب الى أن هذه الأجهزة لا تخدم الانسان بقدر ماتعمل ضده وتستغله وتحوله الى عبد للمؤسسات غير العقلانية القائمة فى المجتمع ، ولكن الحقيقة أن هذه الأجهزة تحدث تأثيرها بطرق وأشكال مختلفة ومن خلال عوامل أخـــرى اجتماعية وسياسية واقتصادية ، مما يدعونا الى القاء الضوء على بعض هذه الآثار التى يحدثها التليفزيون فى الشباب بوجه خاص ٠

ان تحديد الطريقة التى يؤثر بها التليفزيون على اتجاهات الشباب وقيمهم وسلوكهم الاجتماعى لا يتأتى عن طريق دراسة التليفزيون وحده، بل بواسطة معرفة كيفية تكوين الاتجاهات وأسلوب تأقلم الشباب فى المجتمع الذى يعيشون فيه واكتسابهم للقيم والاتجاهات انه يكسب أعضاء المجتمع من الشباب بوجه خاص أساليب مختلفة فى الســـلوك ، ويوفر لهم معلومات قد لاتتاح لهم فى حياتهم العادية ويقوم بدور فى عملية التكيف الاجتماعى ، ويساهم فى تغيير المعرفة والاتجاهات عنـــد قطاعات كبيرة من المجتمع ٠ وهو لا يقوم بهذا الدور عن طريق التـــأثير

المباشر ، بل بواسطة التعبير المسرحي أو الدرامي الذي يثير استجابات محددة عند المشاهدين • ويتوقف هذا الأثر على مجموعة عوامل نذكر منها: أولا ، توازن الأفكار التي تبثها الرسالة الاعلامية ، وثانيا ، مكانة الجهاز الاعلامي في المجتمع : وثالثا ، الخصائص الشخصية لمقدم البرامج ، ورابعا ، نوعية الرسالة الموجهة وطبيعة الموضوعات التي تقدمها • وقد ثبتت فاعلية التليفزيون في مجال توعية المشاهدين بالحقائق وبأبعاد المشكلات الاجتماعية والسياسية للبلدان النامية ، وكذلك كانت آثاره واضحة في تغير مواقف الشباب واتجاهاتهم من اللامبالاه والسخرية تجاه هذه المشكلات ، الى الاهتمام ومحاولة ايجاد الحلول لها •

وأما عن الأثر السياسي للتليفزيون فهو يظهر في مسألتين محوريتين ، وهما : أولا ، أنه يقدم صورة حية للاخبار السياسية ولآخر ما وصلت اليه الأحداث في الموقف السياسي القومي والعالمي ، وثانيا ، يقوم بالتعليق الاخباري وعرض وجهة نظر أو أكثر تفيد في فهم هذه الأحداث السياسية • ولكن يجب توسيع نطاق هذا الدور الذي يقوم به التليفزيون بواسطة توفير ثلاثة شروط هامة وهي :

(أ) ضرورة نقل الوقائع والأحداث السياسية بحياد ودون اللجوء الى التحريف أو التشويه أو الحذف •

(ب) ضرورة تقديم النقد والتعليق المستقلين على مجريات الحوادث•

(جـ) ضرورة التعليق على السياسات والمواقف المميزة لكل حزب من الأحزاب وعدم التركيز على رأى واهمال رأى آخر •

ومن أهم الآثار السياسية للتليفزيون هي اقتناع بعض الناس بما يبثه من دعايات وآراء ، بطريقة تلقائية وعادة ما يحدث ذلك بالنسبة للمشاهدين الذين يعجزون عن الجدل والمناقشة نظرا لجهلهم • وكذلك يؤثر التليفزيون تأثيرا كبيرا في التعليم وفي مستقبل النظم التعليمية ، ويمكن لهذا الأثر أن يكشف عن كثير من جوانبه الايجابية وفوائده في ميدان التعليم في المستقبل • ومن أهم ايجابيات التليفزيون في هذا الميدان نذكر مايلي :

(أ) امكانية ارسال مادة علمية موحدة الى أكبر عـــدد ممكن من المشاهدين ٠

(ب) مرونة الاتصال والتحرر من قيود الزمان والمكان ٠

(جـ) قدرته على نقل معلومات تتميز بالتنوع والكثافة بواسطة استخدام الصوت والصورة ٠

(د) قدرته على تقديم خدمات علمية لبعض الفئات الاجتماعية التى لم تنل الا قسطا محدودا من التعليم والثقافة ، كما يحدث فى البرامج التعليمية الموجهة الى ربات البيوت أو برامج محو الأمية ٠ ولكن على الرغم مما للمواد التعليمية التى يقدمها التليفزيون من فائدة الا أن هناك عاملين أساسيين يسهمان فى جعل هذه الفائدة محدودة بل وقاصرة فى كثير من الأحيان ، وهما ، أولا : صعوبة ملاءمة المواد التعليمية الموجهة لعدد كبير من التلاميذ الذين تتباين حاجاتهم الدراسية ومستوياتهم فى التحصيل العلمى ٠ وللتغلب على هذه المشكلة يمكن توفير المواد التعليمية التى تعجز المدارس والدورس التقليدية عن تقديمها ، وكذلك اختيـــار البرامج التعليمية عن طريق استكشاف الاحتياجات التعليمية للطلاب ، واختيار المواد الملائمة لتقديمها على الشاشة الصغيرة ، وتقديم مواد تعليمية وخبرات وتجارب غير متاحة فى المدارس بواسطة عرض الافلام التسجيلية والمسرحيات ٠٠ وثانيا ، عدم توافر كل الظروف والامكانيات الضرورية والملائمة لقيام التليفزيون بالعملية التعليمية ، مثل تخصيص محطـــة تليفزيون تعمل بأكملها فى تقديم برامج تعليمية فقط ، وتتكون من عدة قنوات وتقدم مواد دراسية تلائم كل المستويات ٠

وقد استطاعت بعض دول العالم أن تسد هذا النقص الأخير بواسطة استخدام التليفزيون فى تقديم المواد الدراسية فى المناطق التى تعانى من نقص المدرسين ، وتقديم أفكار وطرق جديدة فى الدراسة ، واعادة اذاعة بعض البرامج التعليمية من آن الى آخر ٠

ثالثا : اتجاهات الشباب المصرى نحو وسائل الاعلام

القراءة والإطلاع

تعتبر الصفحة المطبوعة احدى وسائل التأثير على العاطفة الانسانية، والتفكير ، والسلوك ، وهى تنفرد بنقطة ضعف معينة ، تمثل فى نفس الوقت مصدرا لقوتها ، اذ أنها وسيلة الاعلام الجماهيرية الوحيدة التى لا تحظى بالصوت الانسانى ، ومن ثم فهى تفتقد عنصرا معينا ، يمثل بالنسبة لكل من الاذاعة والتليفزيون والسينما ، مصدرا للفاعليـــة والجاذبية • ولكن نقطة الضعف تمثل نقطة قوة من منظور آخر ، فالصفحة المطبوعة هى الوسيلة الوحيدة التى يمكن للجمهور فيها أن يحدد التوقيت، أو يحدد درجة الحركة والنشاط ، فهو يتمكن من الاستمرار فى القراءة أو التوقف ، ويتمكن أيضا من الرجوع الى الصفحات السابقة أو ملاحقة القراءة • الا أن هذه الايجابيات أو المميزات التى تتميز بها الصفحـــة المطبوعة ، قد لا تكون ذات أهمية كبرى بالنسبة للجمهور العادى ، وان كانت تمثل كل شىء بالنسبة للجمهور المهتم ، ولذلك فهى تعتبر بمثابة المصدر الرئيسى للمعلومات عند هذا الأخير •

وهناك نقطة ضعف أخرى تمثل فى نفس الوقت نقطة قوة ، وهى أن الكلمة المطبوعة تتطلب من جمهورها أكثر مما تتطلبه أية وسيلة أخرى للاتصال ، فهى أولا ، تحتاج الى جهد للقراءة ، قد يراه الكثيرون أمرا عسيرا لأسباب تتعلق بعقبات نفسية ، أو قصور فيزيقى،أو عدم تدريب• وهى تحتاج ثانيا ، الى خيال مستمر ومتصل ، والقراء الذين لا يتمكنون من مواجهة هذه الحاجة نظرا لخبرتهم المحدودة ، أو كفاءتهم غير الملائمة ينسحبون حتما من هذا الميدان • وتعتمد قوة الشعر على هذه القـــدرة الأخيرة ، فالشاعر والقارىء يشتركان فى مباراة واحدة ، تتمثل فى رؤية كيف أن عمق التجربة أو كثافتها ، يمكن أن ينبثقا عن كلمات قليلة وكلما أسهم القارىء بنصيب كان ذلك افضل ، ومن أجل هـــذا يرجح أن تظـــل الصفحة المطبوعة مصدرا رئيسيا لتغذية العقل المدقق •

ولقد كانت الصحافة فى عهدها الأول تخدم مثل هذا العقل فقط ، ولا تفيد غيره ، ولذلك لم تجد مبررا لجذب انتباه القراء أو لدفعهـــم للقراءة • ولكنها أصبحت الآن ، وبعد أن وصلت الى جماهير جديـــدة

وعريضة وسيلة اتصال جماهيرية هائلة، يضاف الى ذلك أن لكل نوعية من نوعيات المعلومات والأخبار التى تشتمل عليها الصحف ، وظيفة اجتماعية معينة ، فتقارير المحاكم مثلا التى يوردها بعض الصحفيين تزيد من استخدام الحوار ، بينما تحاول القصص التى تشملها بعض الصحف ان تمد القارىء باحساس معين بالتجربة الواقعية أما الاخبار الدولية والخارجية التى تأتى من أماكن بعيدة فهى تجعل القارىء مشاركا فى الاحداث العالمية ٠

هذا وتنبع هيبة الصحف من ذلك الاحترام التقليدى للكلمة المدونة، والاعجاب بالعبارة التى تتميز بحسن الصياغة ، ومن ذلك التاريخ الطويل للصحافة كمنبر للحوار ، أو الجدل الذى يدور حول القضايا العامة ذات الأهمية القومية ٠ وبالرغم من ممارسة درجة معينة من الرقابة ، فالجرائد تتمتع بقدرة فائقة على المرونة فى نقد بعض القضايا الداخلية والخارجية داخل اطار ما يسمى بالنقد الذاتى البناء ٠

هذا ، وقد بلغت نسبة المقبلين على القراءة بصفة منتظمة فى عينة الشباب المصرى التى أجريت عليها الدراسة ٦١٪ فى مقابل ٣٨٪ من أفراد العينة لم تعتد القراءة ، علما بأن هناك مفارقات فى توزيع نسب المقبلين على القراءة فى العينة تبعا : للاقامة الحضرية أو الريفية ، ولمستوى التعليم والمهنة ٠ حيث بلغت أعلى نسبة منهم فى المناطق ذات الخاصية الحضرية السائدة وخصوصا فى الاسكندرية والسويس وتمثلهما النسب المئوية (٩٦٪) ، (٨٤٪) على التوالى ، بينما تنخفض هذه النسب بدرجة ملحوظة فى المناطق التى يسودها الطابع الريفى وخصوصا فى محافظتى البحيرة والشرقية حيث بلغت (٥١٪) فى الأولى ، (٥٢٪) فى الثانية ٠ ويرجع ذلك الى ارتفاع معدل الأمية لدى فئة الشباب فى المناطق الريفية عنها فى المناطق الحضرية ، فضلا عن الانخفاض النسبى لمستوى المعيشة فى المناطق الأولى ، وصعوبة الحصول على مادة القراءة سواء كانت متضمنة فى الصحف أو المجلات أو الكتب ٠

وقد وجه سؤال الى تلك الفئة التى ذهبت الى أنها لا تقبل على القراءة ، عن سبب عدم اقبالها هذا ، فأجاب أكثر من (٣٧٪) منهم بأنه غير ملم بمبادىء القراءة ، بينما بلغت نسبة الذين لم يتعودوا على القراءة

علما بأنهم يجيدونها حوالى (٢٣٪) ، ذهب حوالى (٢٠٪) الى أنهم لا يجدون وقتا للقراءة ، و (١٠٪) أشاروا الى عدم رغبتهم فى القراءة ، و (٧٪) عللوا عدم اقبالهم على القراءة بأن امكانياتهم المتاحة لا تسمح بشراء الصحف أو الكتب أو المجلات ، بلغت نسبة الذين لا يقرأون بسبب عدم اقتناعهم بما يقدم من مادة حوالى (٢٪) . ومعنى ذلك أن العامل الرئيسى الذى يكمن وراء عدم اقبال نسبة كبيرة من الشباب المصرى على القراءة ، يتمثل فى ارتفاع معدل الأمية بمعنييها : الابجدى ، والثقافى ، وخصوصا اذا اضفنا نسبة الذين لم يعتادوا القراءة ، والذين ليست لديهم الرغبة فى القراءة ، وغير الملمين بمبادئها واصولها .

وعندما سئلت تلك الفئة التى تقبل على القراءة بصفة منتظمة ، عن نوعية قراءاتها ومصادر هذه القراءات أجابت النسبة الكبرى منها وهى تمثل (٤٣٪) بأنها تعتمد على الصحف اعتمادا أساسيا فى المادة المقروءة ، وذلك فى مقابل (٣٢٪) يعتمدون على الكتب ، و (٢٥٪) فقط يرجعون الى المجلات . هذا ، مع ملاحظة أن هذه النسب تتفاوت بدرجة ملحوظة تبعا لاختلاف الاقامة الحضرية أو الريفية ، حيث بلغ أعلى معدل للاقبال على قراءة الصحف والكتب فى المناطق التى تتميز بوضوح الخصائص الحضرية فيها .

كذلك لوحظ الارتباط بين تنويع مصادر القراءات وبين مستوى التعليم . حيث أنه كلما ارتفع مستوى التعليم زادت الرغبة فى تنويع تلك المصادر ، فالشباب الجامعى يميل أكثر من غيره الى قراءة الصحف والمجلات والكتب الثقافية والعلمية ، العامة منها والمتخصصة ، والعكس صحيح كما أنه كلما انخفضت المستويات التعليمية زاد الميل الى الاعتماد على الصحف كمصدر وحيد للمعلومات والاخبار ، يضاف الى ذلك عاملا آخر وهو ان هذا المصدر الاخير يعد أكثر المصادر انتشارا وسهولة فى التوزيع فضلا عن انخفاض سعره بالقياس الى المصدر الاخرى .

موضوعات القراءة المفضلة :

لقد تنوعت ميول القراء من الشباب وتمايزت مستويات تفضيلهم للموضوعات الثقافية أو الفنية أو الرياضية أو الدينية ، حيث كانت

النسبة الغالبة تميل الى تفضيل قراءة الموضوعات الدينية وهي تمثل حوالى ٢٨٪ يليها نسبة من يميلون الى قراءة الموضوعات الثقافية والعلمية وهى تبلغ (٢٦٪) ، كذلك حظيت موضوعات الرياضة والمباريات الرياضية باهتمام نسبة لا بأس بها من القراء الشباب ، وبلغت في العينة (١٩٪)، وهناك نموذجان يتماثلان في اقبال الشباب عليهما وهما اللذان تمثلهما الموضوعات الاجتماعية والسياسية حيث بلغت نسبتهما (١٧٪) في الأولى والثانية على التوالى ، وأما الموضوعات الفنية والتى يقصد بها كل ما يكتب عن الفنون بكافة أنواعها من تصوير ورسم ونحت وموسيقى وتمثيل وغناء ، فقد بلغت نسبة الاقبال على قراءتها حوالى (٨٪) وهى أقل من سائر النسب الأخرى ٠

هذا ، فضلا عن وجود بعض المفارقات بين نسب الاقبال على الموضوعات المختلفة في بعض المحافظات فمثلا بلغت أعلى نسبة للاقبال على قراءة الموضوعات السياسية والثقافية والفنية فى محافظة السويس ، بينما بلغت أعلى نسبة للاقبال على القراءات الدينية فى سوهاج وقنا ٠ كذلك كانت نسبة المقبلين على أكثر من موضوع من هذه الموضوعات واضحة فى القراء المقيمين حضرية أكثر من القراء الريفيين ، أما فى داخل المناطق الريفية فقد كانت هذه النسبة الأخيرة واضحة فى محافظات الوجه القبلى أكثر منها فى محافظات الوجه البحرى كذلك كانت هناك علاقة بين مستوى التعليم والموضوعات المفضلة للقراءة ، واذا نظرنا الى المقبلين على الموضوعات الرياضية مثلا ، فاننا نلاحظ أن النسبة الغالبة منهم هى نسبة من يجيدون القراءة والكتابة ، وأما أقل نسبة فهى التى يمثلها من تجاوزوا مرحلة التعليم الجامعى ٠ أما الموضوعات الثقافية والعلمية فان أكبر نسبة من قرائها تقع فى فئة المتعلمين تعليما جامعيا بينما تقع أقل نسبة منهم فى فئة الملمين بالقراءة والكتابة فقط وجدير بالذكر ان الموضوعات السياسية كانت تمثل محور اهتمام الجامعيين حيث بلغت نسبتهم أعلى نسبة اذا قورنت بنسبة من يقبلون على قراءة الموضوعات السياسية من ذوى المستويات التعليمية الأخرى ٠

واذا كنا قد لاحظنا من قبل وجود علاقة بين مستوى التعليم وبين الاعتماد على أكثر من مصدر للمادة المقروءة فان ذلك ينطبق أيضا على

التنويع فى موضوعات القراءة ، فكلما ارتفع مستوى التعليم زاد الإقبال على موضوعات متنوعة وخاصة ما تعلق منها بالثقافة العامـــة والعلوم المتخصصة والسياسة وأخبار المجتمع والفن ٠

كذلك لوحظ وجود ارتباط بين تفضيل موضوعات معينة للقراءة وبين طبيعة العمل ، حيث كانت أعلى نسبة من المقبلين على قراءة الموضوعات الدينية ، من الذين يعملون فى مهنة الزراعة ، أما المهنيون فقد سجلوا ميلا واضحا نحو قراءة الموضوعات الثقافية تشبههم فى ذلك فئة الطلاب والموظفين ، بينما كشفت ربات البيوت عن اتجاههن نحو تفضيل قراءة الموضوعات الاجتماعية ، وكانت أكبر نسبة ممن يهتمون بالموضوعـــات الرياضية هى تلك التى يمثلها الحرفيون ، وأما عن فئة العمال فهى تشبه العاملين فى مهنة الزراعة حيث كشفت عن ميل واضح نحو قراءة الموضوعات الدينية فضلا عن أنها تولى اهتماما مماثلا للموضوعات الرياضية ٠ وأخيرا تأتى الموضوعات السياسية وهى لا تكشف عن فروق واضحة بين قرائها من ذوى المهن المختلفة ، ولكن النتائج النهائية تكشف عن أن فئة ربات البيوت هى أقل الفئات اهتماما بالقراءات السياسية بينما يعتبر الحرفيون من أكثر الفئات اهتماما بهذه القراءات ، يليهم الفلاحين والعمال ثم الطلبة، ومن الغريب أن فئتى المهنيين والموظفين تعتبر من أقل الفئات اهتماما بالقراءات السياسية ٠

الاتجاه نحو ما يكتب عن الشباب كما ونوعا :

يكشف الغالبية العظمى من الشباب عن عدم اقتنـــاعهم بالحيز المخصص للشباب فى الجرائد والمجلات ، حيث ذهب حوالى (٨٠٪) منهم الى أن الحيز المتاح بالفعل لمناقشة قضايا الشباب غير كاف وأن هناك مساحات واسعة من صفحات الجرائد والمجلات تحتلها موضوعات لا تهم الشباب بل تسهم فى افسادهم وخاصة ما تعلق منها بالدعاية والاعلانات والصور ٠ وهناك مفارقات بين نسب الذين يرون عدم كفاية الجرائـــد والمجلات داخل المحافظات المختلفة ، حيث بلغت هذه النسبة (٩٢٪) فى محافظة السويس وهى أعلى نسبة من سائر المحافظات الاخرى بينمـــا انخفضت انخفاضا ملحوظا فى محافظة قنا حيث بلغت حوالى (٦٤٪) فقط ٠

وعلى أية حال فالغالبية يكشفون عن عدم اقتناعهم بموضوعات الشباب من حيث الكم ٠

وقد سئل الشباب عن رأيهم فى الموضوعات الخاصة بالشباب والتى تعرضها وسائل الاعلام المطبوعة من حيث مدى تعبيرها عن مشاكله واحتياجاته ، فذهب حوالى (٨٠٪) منهم الى أن تلك الموضوعات لا تصور واقع الشباب المصرى تصويرا صادقا ، مما يجعلها تفشل فى التعبير عن أوجه معاناته سواء فى حياته اليومية أو فى تحقيقه لاهدافه وتطلعاته المستقبلية ، ومعنى ذلك أنها غير ملائمة من حيث الكيف أيضا ٠ حيث توجد أعلى نسبة ممن يرون عدم تعبير موضوعات الشباب عن مشاكله واحتياجاته وهى أكثر من (٩٠٪) فى المحافظات ذات الصبغة الحضرية السائدة ، وهى تقل عن ذلك بدرجة ملحوظة فى المحافظات ذات الصبغة الريفية السائدة فتصل فى بعضها الى أقل من (٦٥٪) ٠

واذا كانت الغالبية ترى عدم ملاءمة ما يكتب عن الشباب كما ونوعا فقد كانت النتيجة الطبيعية لذلك أن عبر القراء من الشباب المصرى عن حاجتهم الى اصدار جريدة خاصة بالشباب ، تصور مشاكلهم الحقيقية وآمالهم وآلامهم وتكتب عن احتياجاتهم ومطالبهم وتعرض آراءهم واقتراحاتهم فتسمح لهم بالتعبير عن أوضاعهم الراهنة وتقديم الحلول واستعراض البدائل الممكنة لمواجهة مشاكلهم الحقيقية ، حيث بلغت نسبة من يؤيدون وجود جريدة للشباب حوالى (٧٤٪) من مجموع أفراد العينة مع ملاحظة ان هذه النسبة ترتفع فى المحافظات الحضرية فتصل الى أكثر من (٨٠٪) بينما تنخفض الى أقل من (٦٥٪) فى بعض المناطق ذات الخصائص الريفية السائدة وحيث يكتفى الشباب فيها بما هو متاح من صحف دون ابداء أية رغبة أو حاجة الى ما هو جديد ٠

الاستماع الى الاذاعة :

تعد الاذاعة أكثر وسائل الاعلام استخداما وشيوعا ، فهى تصل الى أكبر نسبة من أفراد الشعب المصرى وتفوق فى ذلك كافة الوسائل الاعلامية الاخرى ،ويرجع هذا الى أنها تعتبر ذات أهمية محورية كمصدر للمعلومات لدى الأميين بوجه خاص ، حيث تبث الاذاعة برامج للتدريب

على محو الأمية ، وتطرح كثيرا من المعلومات فى مجالات الصحة والزراعة وغيرها • ولو حاولنا أن نحدد طبيعة الاهتمام الذى يوجهه الشباب المصرى الى البرامج الاذاعية ، لوجدنا أن هذه المسألة ترتبط بمجموعة من المتغيرات الاجتماعية ، وتختلف تبعا لاختلاف الجماعات المهنية ، ومستوى التعليم ونوعه ، والوضع الاقتصادى والاقامة الحضرية أو الريفية ، ويمكننا أن نتتبع هذه الاختلافات على النحو الذى سنبينه فى الصفحات القليلة المقبلة •

وهنا نتناول درجة اقبال الشباب المصرى على الاستماع الى الاذاعة، حيث تشير النسب المئوية فى جملتها الى أن حوالى (٥٦٪) من الشباب المصرى يستمعون الى الاذاعة بصفة مستديمة ومنتظمة ، أما الذين يستمعون اليها فى بعض الاحيان فقد بلغت نسبتهم (٣٦٪) ، وذلك فى مقابل (٤٪) لا يستمعون اليها الا نادرا ، و (٣٪) لا يستمعون اليها على الاطلاق • وربما تبدو هذه النسب على أنها ملائمة خاصة اذا نظرنا الى الفئتين الأولى والثانية ووجدنا أن نسبة الشباب المصرى الذين يقبلون على الاستماع الى الاذاعة دائما أو أحيانا تزيد على الثمانين فى المائة ولكن الحقيقة أن هذه النسب تعتبر ضئيلة اذا ما قورنت بالمعدلات العالمية لاقبال الشباب على الاستماع الى الاذاعة . ومن الملاحظ أن نسبة الذين يستمعون الى الاذاعة بصفة دائمة تعتبر واضحة بوجه خاص فى محافظات الوجه البحرى وهى أقل منها فى محافظات الوجه القبلى ، أما نسبة الذين لا يستمعون الى الاذاعة فقد بلغت أعلى معدل لها فى محافظات الوجه القبلى، بينما انخفضت انخفاضا ملحوظا فى الوجه البحرى .

وعندما فحصت العلاقة بين المستوى التعليمى للشباب وبين درجة اقبالهم على الاستماع الى الاذاعة ، وجد أن أعلى النسب فى المستويات التعليمية المختلفة التى تبدأ من مستوى الأميين وتنتهى الى من حصلوا على تعليم فوق الجامعى ، هى التى تكشف عن الاقبال الدائم للجميع نحو الاستماع الى الاذاعة، وأن النسب المئوية الصغرى هى التى يكشف عنها أولئك الذين لا يستمعون الى البرامج من ذوى المستويات التعليمية المختلفة

ولكن ليس معنى ذلك انعدام وجود علاقة بين درجة التعليم وبين الاستماع الى الاذاعة ، اذ أن أعلى نسبة ممن يقبلون على الاستماع بصفة دائمة ، كان يمثلها أولئك الذين تلقوا تعليما متوسطا أو أقل من المتوسط . أما أدنى نسبة ممن يقبلون على الاستماع بصفة دائمة فقد كان يمثلها الذين تلقوا تعليما جامعيا أو فوق الجامعى ويمكن أن نفسر هذه الظاهرة عن طريق الاشارة الى مسألة أساسية وهى أن الاذاعة تعتبر مصدرا رئيسيا للمعلومات ووسيلة ترفيهية لها قيمتها بالنسبة للفئة الأولى ، بينما يختلف الأمر بالنسبة لفئة المتعلمين تعليما جامعيا أو فوق الجامعى ، حيث تتعـــدد مصادرهم للمعلومات فهم يعتمدون على قراءة الصحف والمجلات والكتب كمصادر أساسية ، فضلا عن أن أساليبهم فى الترفيه تتنوع وتتعـــدد ولا تقتصر على الاعتماد على الاذاعة كوسيلة وحيدة للترفيه ، بـــل انهم يشاهدون التليفزيون والافلام السينمائية وغيرها من أساليب الترفيه المعروفة لدينا جميعا .

وليس معنى ذلك أن هناك علاقة عكسية بين مستوى التعليم ودرجة الاقبال على الاستماع الى الاذاعة اذ أن أعلى نسبة للذين لايستمعون الى الاذاعة هى نسبة الأميين ، وأن أقل نسبة للذين لايستمعون اليهـــا هى التى يمثلها من تلقوا تعليما جامعيا أو فوق الجامعى . ان الاذاعة وهى التى تكاد أن تمثل وسيلة الاعلام الجماهيرية الوحيدة التى تمد الأميين بالمعلومات ؛ بل ووسيلتهم الوحيدة للترفيه ، وتعتبر هى الأخرى غير ذات قيمة بالنسبة لفئة غير قليلة منهم طالما أن أعلى نسبة ممن لايستمعون الى الاذاعة هى التى يمثلها الأميون .

هذا ، وتكشف الدراسة عن أن النسب الكبرى من الشباب على اختلاف أعمالهم ، تقبل على استماع الاذاعة بصفة دائمة ، وأن أقل النسب هى التى يمثلها من لا يستمعون الى الاذاعة من ذوى المهن والأعمال المختلفة، ومع ذلك فهناك بعض المفارقات التى تكشف عنها النسب المئوية للبحث، حيث أن أعلى نسبة من الذين يستمعون الى الاذاعة دائما هى التى يمثلها الفلاحون ، تليها نسبة ربات البيوت ثم الحرفيون،وهذا يعنى ان الاستماع الدائم الى الاذاعة يعتبر مسألة واضحة عند الذين يقومون بأعمال تعتمد فى معظمها على الجهد العضلى وتحتاج الى القدرات الحركية واســـتخدام

المهارات اليدوية أكثر من احتياجها الى المجهود الذهنى والتركيز العقلى ذلك لأن أصحاب هذه الأعمال غالبا ما يستمعون الى الاذاعة حتى اثناء قيامهم بالعمل • ومع ذلك فان أعلى نسبة ممن لا يستمعون الى الاذاعة ، هى تلك التى يمثلها الفلاحون أيضا ويليهم ربات البيوت ، وربما يرجع ذلك الى عدم اقتناء هؤلاء لجهاز الراديو أو عدم رغبتهم فى الاستماع اليه، وجدير بالذكر أن هذه النتيجة تدعم النتيجة التى انتهى اليها التحليل السابق والتى تشير الى أن أعلى نسبة للذين لا يستمعون الى الاذاعة هى التى يمثلها الأميون ، ونحن نعلم أن نسبة الأمية واضحة فى الفئات المهنية الثلاث وهى : الفلاحون وربات البيوت والحرفيون أو أصحاب الأعمال اليدوية •

وعن البرامج الاذاعية التى يفضل الشباب المصرى الاستماع اليها ، كانت البرامج الدينية تمثل محور اهتمام لدى الغالبية منهم ، اذ بلغت نسبة الاقبال عليها (٤٦٪) يلى هذه البرامج فى درجة جذبهـــا لجمهور الشباب البرامج الترفيهية وتمثلها النسبة (٣٥٪) ، ثم تساوت نسبة الذين يقبلون على استماع البرامج السياسية مع نسبة المقبلين على استماع البرامج الموسيقية وبلغت فى الحالتين حوالى (٢٥٪) ، وانخفضت عن ذلك بقليل نسبة الذين يهتمون بالاستماع الى البرامج الاجتماعيـــة وبلغت (٢٣٪) ، ثم تعادلت نسبتان أخريان وهما اللتان يمثلهما من يقبلون على البرامج الاقتصادية والصحية ، والملاحظ ان هناك نسبة من الشباب الذين أشاروا الى تفضيلهم لاكثر من نوعية من نوعيات البرامج الاذاعية ، حيث كانت البرامج الدينية والترفيهية تمثل قاسما مشتركا بين نسبة غير قليلة منهم ، وهذا ان دل على شىء فانما يدل على أن الاذاعة كانت ولازالت حتى الآن تعتبر مصدرا أساسيا للمعلومات الدينية ، فضلا عن أنها تعتبر وسيلة ترفيهية تستغل لقضاء وقت الفراغ عند كثير من الشباب ، هذا ويرتبط تفضيل نوعيات معينة من البرامج الاذاعية بالاقامة الحضرية أو الريفية حيث زاد تفضيل الشباب فى المحافظات التى تسودها الخصائص الحضرية (الاسكندرية والسويس بوجه خاص) للاستماع الى البرامج الاجتماعية والسياسية والموسيقية والترفيهية ، عن الشباب فى المحافظات التى تسودها الخصائص الريفية ، كذلك وضح اتجاه الشباب نحـــو تفضيل البرامج الدينية فى المحافظات ذات الطابع الريفى (بالوجهين

الفبلى والبحرى) أكثر منها فى المحافظات التى يسودها الطابع الحضرى ٠

عندما فحصت العلاقة بين مستوى التعليم عند الشباب ونوعيـــة ما يفضلونه من برامج اذاعية ، وجد أن البرامج الدينية هى التى تمثل المكانة الأولى بين سائر البرامج الاذاعية الأخرى فى تفضيل الشباب لها فى المستويات التعليمية المختلفة ، ولكن هناك بعض المفارقات فى الاقبال على البرامج الدينية تبعا لتباين مستوى التعليم ، اذ أن اقبال الاميين على تلك البرامج يمثل (٣٥٪) فى مقابل (٣٢٪) لمن يقرأون ويكتبون ، بينما تنخفض هذه النسبة انخفاضا ملحوظا فتبلغ(٢٢٪)لمن تلقواتعليما جامعيا، و (١٧٪) لمن تلقوا تعليما فوق الجامعى ، ويكشف الاميون عن اهتمام كبير بالبرامج الترفيهية فى الاذاعة بينما تتضاءل أهمية الاذاعة كوسيلة ترفيهية كلما ارتفع مستوى التعليم ، حيث تحل محلها وسائل أخرى مثل مشاهدة الافلام السينمائية أو التليفزيون أو المسرح ، أو الاستماع الى المسجل الشريطى أو غيرها من أساليب الترفيه العديدة التى يلجأ اليها المتعلمون فى المناطق الحضرية بوجه خاص ، هذا ويكشف الجامعيون عن اهتمام كبير بالبرامج الاجتماعية والموسيقية بينما يتضاءل اهتمامهم قليلا بالبرامج السياسية ، أما من تلقوا تعليما فوق الجامعى فهم أكثر اقبالا عمن عداهم على البرامج السياسية ٠ ثم ينخفض هذا الاقبال قليلا على البرامج الدينية والموسيقية ، بينما لم يولوا الا اهتماما ضئيلا للبـــرامج الاقتصادية والصحية ٠

كما كشفت الدراسة عن أن هناك علاقة ارتباط توجد بين نوعية العمل الذى يقوم به الشباب وبين تفضيلهم للاستماع الى نوعيات معينة من البرامج الاذاعية : الدينية أو الترفيهية أو الاجتماعية أو السياسية٠ فالفلاحون مثلا يقبلون على البرامج الدينية أكثر من اقبالهم على أى نوع آخر من البرامج ، وتمثل نسبة هذا الاقبال عندهم (٣٥٪) ، يليهـــا البرامج الترفيهية وتمثل نسبتهم فى الاقبـــال عليها (٢٢٪) ثم البـــرامج السياسية وتمثلها النسبة (١٥٪) أما العمال فهم لا يختلفون كثـــيرا عن الفلاحين ، اللهم الا فى وضوح تفضيلهم للاستماع الى البرامج الاجتماعية والموسيقية ٠ ومما يدعو للدهشة أن فئة الطلاب تكشف عن اقبال أقل من الفئتين السابقتين على البرامج السياسية بينما تفوقهما فى درجـــة

اقبالها على البرامج الموسيقية والترفيهية • ونسبة كبرى من الموظفين تهتم بالاستماع الى البرامج الدينية يليها نسبة من يقبلون على البرامج الترفيهية والاجتماعية والموسيقية •

ويكشف أصحاب المهن المتخصصة العليا عن اهتمام مماثل بالبرامج السياسية والترفيهية حيث تبلغ نسبة اقبالهم على كل نوعية منهما حوالى (١٦٪) • ومن الملاحظ ان اهتمام أصحاب المهن العليا المتخصصة بالبرامج السياسية يفوق اهتمام أية فئة أخرى من فئات العمل يليها فى ذلك فئتى العمال والفلاحين • وأخيرا نأتى الى فئات ربات البيوت ، حيث نجد أن الاهتمام الأكبر لربات البيوت يوجه الى البرامج الترفيهية فى الاذاعة ، وتمثل نسبته حوالى (٢٨٪) ، وتلى ذلك نسبة من تقبلن عن البرامج الدينية وتبلغ (٢٢٪) ثم تفصيل البرامج الاجتماعية ونسبته (٢٠٪) ، بينما لا تحظى البرامج (٧٪) فقط من ربات البيوت •

ومن الملاحظ ان اهمال البرامج الصحية يعتبر خاصية عامة تميز كافة الفئات المهنية وان كانت هناك فئات ثلاث هى التى تكشف عن اهتمام أكثر من غيرها من الفئات الاخرى وهى التى يمثلها : أصحاب المهن العليا المتخصصة والموظفون وربات البيوت .

تكشف هذه الدراسة أيضا عن أن نسبة الشباب الذين لايقبلون على الاستماع الى اذاعة الشباب تعتبر أقل بكثير ممن يقبلون عليها،حيث بلغت نسبة الاستماع الى هذه الاذاعة حوالى (٣٣٪) فقط من الشباب فى العينة، ومما هو جدير بالذكر ان مستمعى هذه الاذاعة هم من الشباب الذين يقيمون فى المناطق الأقل حضرية أما الشباب فى المحافظات التى تسودها الخصائص الحضرية ، فهم أقل ميلا الى الاقبال على الاستماع لتلك الاذاعة، وينطبق ذلك بوجه خاص على محافظتى الاسكندرية والسويس ، حيث بلغت نسبة من لا يقبلون عليها فى المحافظة الأولى (٦٧٪) وفى الثانية (٧٠٪) • وعندما سئلت تلك الفئة التى لا تقبل على الاستماع الى برامج اذاعة الشباب عن سبب عدم اقبالها هذا ، أجابت الغالبية منهم بأن ذلك يرجع الى عدم اقتناعها بما تقدمه الاذاعة من برامج ، وعدم استفادتها من مضمون المادة التى تتضمنها برامجها • وقد سئل الشباب الذين يستمعون الى هذه الاذاعة عن رأيهم فى نوعيات البرامج التى تقدمها ، ومدى استفادتهم منها ، فأجابت نسبة تبلغ حوالى (٥٤٪) منهم بأنها لا تستفيد

كثيرا من هذه البرامج ، بينما أجابت النسبة الباقية بأنها تستفيد منها ويلاحظ أن نسبة من يستفيدون من هذه البرامج تعتبر عالية فى المناطق الريفية عنها فى المناطق الحضرية اذ بلغت حدها الأقصى فى المناطق الأولى (٥٨ ٪) بينما بلغت حدها الأدنى فى محافظتى الاسكندرية والسويس وتشير الى ذلك النسبتان (٣٨٪)، (٣٧٪) عى التوالى • ولذلك فقد نوه عدد كبير من الشباب الى ضرورة تطوير هذه الاذاعة لبرامجها وادخالها لعدد كبير من البرامج ، فضلا عن تنويعها وزيادة ساعات الارسال بها •

مشاهدة التليفزيون :

أظهرت الدراسة ان غالبية الشباب فى العينة يقبلون على مشاهدة برامج التليفزيون فى بعض الاحيان ، وأن حوالى (١٣ ٪) لا يشاهدونه على الاطلاق ، ولو نظرنا الى المفارقات القائمة بين درجات المشاهدة فى المحافظات المختلفة ، لوجدنا أن الشباب فى المحافظات التى يسودها الطابع الريفى يشاهدون برامج التليفزيون دائما وذلك على العكس مما هو قائم فى محافظة الاسكندرية حيث لا يقبل على مشاهدة هذ البرامج دائما الا حوالى (٣١ ٪) فقط من عينة الشباب المدروسة فى الاسكندرية • وهذا ان دل على شىء فانما يدل على أن التليفزيون يتخذ كوسيلة للترفيه عند الشباب فى تلك المحافظات المذكورة ، وذلك نظرا لعدم توافر وسائل الترفية والتسلية الاخرى المتاحة فى المحافظات التى تسودها الخصائص الحضرية • ومع ذلك فما تزال نسبة الذين لا يشاهدون برامج التليفزيون كبيرة كما تشير الى ذلك النسب المئوية للذين لا يشاهدون برامج التليفزيون فى مختلف المحافظات وان كانت هذه النسب ترتفع الى درجة ملحوظة فى المحافظات التى يغلب عليها الطابع الريفى ، حيث بلغت حوالى (٢٥ ٪) فى محافظة الشرقية ، (٢٢ ٪) فى محافظة بنى سويف •

وعندما سئل الذين لا يشاهدون برامج التليفزيون الا فى بعض الاحيان أو نادرا أو لا يشاهدونه على الاطلاق ، عن سبب عدم المشاهدة ، ذكرت الغالبية منهم وهى تبلغ حوالى (٩٦ ٪) ممن لايشاهدونه أنهم لا يقتنون جهازا للتليفزيون ، بينما أشارت نسبة منهم تبلغ حوالى (١٦٪) الى أنها لا تجد الوقت للجلوس أمام التليفزيون وان (٩٪) لم يتعودوا على رؤيته ، و(٥٪) لا يستمتعون برؤية البرامج • ولكن النسب المئوية

للاجابات المختلفة تكشف عن مفارقات بين مختلف المحافظات ، فمثلا كان السبب الاساسى الذى يمنع أغلبية الشباب فى المحافظات التى يسودها الطابع الريفى من مشاهدته هو عدم توفر جهاز التليفزيون ، وقد بلغت نسبة هؤلاء (٨١٪) فى محافظة الشرقية و(٧٧٪) فى محافظة بنى سويف، بينما كان السبب الرئيسى لعدم مشاهدة الشباب فى محافظة الاسكندرية لبرامج التليفزيون متمثلا فى عدم وجود وقت فراغ لديهم .

كما كشفت نسبة كبيرة من الشباب الذين يشاهدون برامج التليفزيون ، عن عدم رؤيتهم لبرامج الشباب التى تعرض فيه ، فبلغت هذه النسبة حوالى (٥٣٪) علما بأنها تكاد تتوزع توزيعا متساويا على كل المحافظات دون فروق جوهرية ، الا انه يمكن القول بأن أعلى نسبة ممن لا يشاهدون هذه البرامج كانت فى الاسكندرية وبلغت (٦٢٪) ، وأن أقل نسبة هى التى بلغتها محافظة قنا وهى (٣٩٪) . وعندما سئل الذين لا يقبلون على مشاهدة برامج الشباب بالتليفزيون عن السبب فى ذلك أجابوا بأن تلك البرامج لا تمس فى جوهرها احتياجات الشباب الفعلية ومشاكله فى المرحلة التى يمر بها مجتمعنا الآن .

رابعا : النتائج العامة والتوصيات :

هناك بعض النتائج العامة أمكن استخلاصها من هذه الدراسة وهى:

١ - يعتبر ارتفاع مستوى الأمية معوقا اساسيا يحول دون الاطلاع على مصادر اعلامية كثيرة ، وبالتالى يحجب قدرا من الحقائق عن فئة عريضة من الشباب المصرى .

٢ - أنه كلما ارتفع مستوى التعليم قلت الاذاعة كوسيلة من وسائل الترفيه ، وبرزت أهمية وسائل أخرى . وبذلك تمثل الاذاعة عند فئة الشباب من الاميين وسيلة الترفيه الأساسية اذا قورنت بوسائل الاعلام الأخرى .

٣ - ان الاذاعة تعتبر الوسيلة الرئيسية للترفيه وللحصول على المعلومات المختلفة بالنسبة لربات البيوت وللحرفيين على السواء .

٤ - يعتبر التليفزيون وسيلة للتسلية ولقضاء أوقات الفراغ أكثر منه مصدرا للاخبار أو المعلومات السياسية .

٥ - ان عدم المبالاة بالمعلومات الصحية يعتبر ظاهرة منتشرة لدى الشباب المصرى ويتضح ذلك من انخفاض اقبالهم على قراءة الكتب أو المجلات الصحية ، وعدم تفضيلهم للاستماع الى البرامج الصـــحية فى الاذاعة وكذلك عدم اقبالهم على مشاهدة البرامج الصحية فى التليفزيون ٠

٦ - هبوط مستوى الوعى السياسى عند فئة الشباب من الطلاب بوجه خاص ، ويبدو ذلك واضحا من أنهم يمثلون أقل الفئات اقبالا على قراءة المعلومات السياسية ، وأقلها اقبالا على الاســـتماع الى البرامج السياسية فى الاذاعة ، وأيضا اقلها اهتماما بالأحاديث السياسية التى تعرض على شاشة التليفزيون ٠

٧ - عدم استفادة الشباب من كثير من البرامج نظرا لعدم تعبير مضامين الوسائل الاعلامية أو محتوياتها عن المشاكل الحقيقية للشباب ٠

٨ - الاحساس بفجوة عميقة بين ما يعرض فى التليفزيون والسينما من ناحية ، وبين الحياة الواقعية التى يعيشها الشباب المصرى ٠ يضاف الى ذلك أيضا التصوير المبالغ فيه لآمال وتطلعات لا يمكن للشاب المصرى أن يبلغها ٠

٩ - اقتباس كثير من البرامج الاعلامية من أمريكا وأوربا الغربية وهى مجتمعات تتميز باختلاف ثقافتها وتقاليدها وعاداتها عن ثقافتنـــا المصرية ، ومحاكاة كثير من العادات المســـتحدثة عندهم ، والتى لا تتفق مع تقاليدنا مما يضر بالشباب ويؤدى الى نتائج سلبية ٠

١٠ - عدم وضوح الهدف من البرامج الاعلامية ، نتيجة لتذبذبها وتقلبها وعدم التزامها بفلسفة واضحة ومحددة ٠

ومن أجل ذلك فاننا نود أن نشير الى بعض التوصيات والاقتراحات الخاصة بالاعلام والتنمية والتى قد تفيد كنقاط مرجعية فى تقييم البرامج الاعلامية أو نقدها أو رسم سياساتها ، وهى :

١ - ينبغى أن يخضع الاعلام المصرى بكافة أجهزته ومؤسساتـــه العاملة ، لخطة قومية شاملة تضع الاطار العام والمبادىء الرئيســـية والاهداف المنوطة بهذه العملية ، وتكون مهمتها هى التخطيط والتوجيه والمتابعة ، بينما تترك عمليات التنفيذ والبرمجة للاجهزة الفرعيـــة والمتخصصة ٠

٢ — ضرورة انطلاق وسائل الاعلام ، سواء المقروءة منهـــا أو المسموعة أو المرئية ، من فلسفة واضحة تحدد أهداف العملية الاعلامية فى مصر ، وتقوم كافة الاجهزة الاعلامية بالاهتداء بهذه الفلسفة ، وهذا حماية لها من الارتجال والتخبط الذى يؤدى الى الوقوع فى التناقض أحيانا أو السطحية أحيانا أخرى ٠

٣ — لا ينبغى أن يقتصر دور وسائل الاعلام على مجرد القيام بالعملية الاخبارية أو بتوصيل المعلومات ، بل يجب أن يمتد الى مـــا هو أبعد من ذلك ، فيحدد المشكلات ، ويقرر الأولويات ، ويقترح الحلول ، ويضع البدائل مما يتيح له التأثير فى ادراك الشباب لاحتياجاته وفى كيفيـــة تلبية هذه الاحتياجات ٠

٤ — عدم تبديد الجهود والاموال فى سبيل الترويج لمبدأ معين أو فكرة قد تكون مزيفة فى أساسها ومضللة للجماهير ٠

٥ — الابتعاد بقدر الامكان عن الحديث عن القلة المميزة أو المحتكرة، والحاجة الى خلق أبطال ايجابيين ، والبطل هو الشـــخص الحقيقى أو الوهمى الذى تمجده القصص والروايات والذى يمثل الانسان الجديد ، ويصبح مصدر الهام لملايين لشباب بفضل المثال الذى يضربه ٠ وقد يكون هذا البطل عاملا بسيطا أو فلاحا أو جنديا فى الجيش أو أحد المثقفين العادين الذى يمتاز بسعيه الحثيث الى كل ما هو عظيم ، وبصفاته الخلقية المشرفة ٠

٦ — معارضة كل ما من شانه أن يحط بقيمة الانسان أو يقلل من مستوى وعيه بانسانيته ، وهى الظاهرة التى تبدو واضحة فى كثير من المؤلفات فى الدول الرأسمالية ، تلك التى تدعو الى تمجيد القسوة وتنادى بالفردية والانانية ، وتنشر صورا مغرية لرجال احرزوا نجاحا فى حياتهم عن طريق انتهاك المعايير الاخلاقية والانغماس فى لذات ومتع بفضـــل أموالهم الطائلة ٠

٧ — ضرورة ابراز الطابع القومى لمصر فى مختلف المواد الاعلامية ودعم ايجابيات الشخصية المصرية والتصدى لسلبياتها ٠

٨ — تدعيم قيمة العمل الخلاق الذى يحقق الصالح لعام للمجتمع بأسره ، وحث الشباب على المحافظة الملكية العامة وتنميتها ، وتدعيم الروح

الجماعية فيهم والقدرة على الاحترام المتبادل والاهتمام بقيم الاسرة وتربية الاطفال ·

٩ ـ الاهتمام باحتياجات الجمهور الفعلية ، واعتبارها المنطلق الأول لتخطيط البرامج الاعلامية ، والتخلى عن الأهداف المتعلقة بالربح الخاص، والنفعية السياسية ، أو بالحاجة الى الحفاظ على الوضع الراهن لمؤسسات الاتصال الحالية ·

١٠ ـ تحاشى الأحاديث والصور والاعلانات والمادة الاعلامية التى تستهدف الاثارة بكل معانيها ، وبما ينطوى عليه ذلك من اسهاب فى الحديث عن الجريمة أو الجنس · حيث تلجأ بعض أجهزة الاعلام فى بعض المجتمعات الى اطلاق العنان للانحطاط الحسى والجنسى الذى يسيطر على أذهان الشباب وعلى العادات الحديثة فيتحول فى النهاية الى شىء دنىء ومحزن للغاية ·

١١ ـ الابتعاد عن المبالغة فى ارتداء الأزياء الثمينة والحلى والتزين بالنسبة لمذيعات التليفزيون وممثلات المسرح والسينما لانهن عادة ما يكن محل تقليد عدد كبير من الفتيات ·

١٢ ـ التصوير الواقعى للاحداث ولطبيعة الحياة المصريـــة دون المبالغة فى اضفاء سمات ثقافية وخصائص مســــتعارة من دول أخرى ومجتمعات تختلف فى ثقافتها عن مجتمعنا وينطبق ذلك مثلا على ما يتعلق بتصوير طبيعة المنزل المصرى بمقوماته ومحتوياته ونوعية أثاثه ، وأسلوب حياة الانسان المصرى ·

١٣ ـ عدم الاقبال على التقليد الأعمى لكل ما هو وافد من الغرب ، سواء فى مجال الأدب أو الفن أو التقاليد والعادات وآداب السلوك · ولو أردنا أن نقتبس بعض جوانب من الأدب أو الفن الغربى فليكن ذلك فى حدود ما يتطلبه واقعنا المصرى بماله من قيم أصيلة وتقاليد عريقـــة واحتياجات ملحة ·

١٤ ـ الاهتمام بالتكوين العلمى الاكاديمى للعاملين فى مؤسسات الاعلام الجماهيرى ، وخاصة المخرجين والمذيعين والمحررين ، والقـــائمين باعداد البرامج الاعلامية ، حتى يكونوا على مستوى المسئولية لحظة قيامهم بالدور المنوط بهم ·

١٥ — ضرورة الاهتمام بعملية التغذية المرتدة وباستطلاع آراء جمهور الشباب بوجه خاص ، وتوصيلها الى القائمين بالاعلام ، والحرص على نقلها الى الجمهور كله وذلك من أجل ضمان مساهمة فئة الشباب فى محصلة الاعلام وفى سياسته .

١٦ — التوسع فى الاستقبال الجماعى للبرامج الاعلامية ، ويتم ذلك عن طريق تجميع عدد من الشباب حول بعض البرامج الاذاعية أو التلفزيونية ، أو الصحف والمجلات والكتب ، تحت اشراف رائد تختاره الجماعة يستطيع أن يوجه التعليق على مضمون البرامج ، ويقود الحوار بين الجماعة ، ثم يرسل نتائج المناقشات الى أجهزة الاعلام للاستفادة منها فى تطوير برامجها . ويمكن أن تتم عملية التوسع هذه فى قصور الثقافة والأندية والمدارس ، ودور العلاج والاصلاح .

١٧ — محاولة ايجاد توازن فيما يختص بتدفق المواد الاعلامية المستوردة أو المقتبسة من الخارج، بين تلك التى تأتى الينا من غرب أوروبا وأمريكا ، والتى تأتينا من أوروبا الشرقية . وينطبق ذلك على كافة أجهزة الاعلام التى تستعين بالاخبار المكتوبة أو المصورة ، أو الاشرطة المسجلة ، والافلام ، والكتب ، والمنشورات وغيرها .

١٨ — تشجيع الشباب والأطفال فى مراحل العمر المختلفة على الاهتمام بالقراءة والاطلاع ، وتكون نقطة البدء متمثلة فى مرحلة ما قبل الالتحاق بالمدرسة ، حيث تخلق الرغبة فى القراءة عند الطفل بواسطه تلاوة بعض القصص عليه بالاعتماد على كتاب صغير وشرح مضمون القصة ثم مطالبته باسترجاع ما قد فهمه منها ، وهذا هو الاسلوب المتبع فى دور الحضانة ومدارس الاطفال فى كل من انجلترا وفرنسا بوجه خاص .

١٩ — تشجيع القراءة الحرة بالمدارس وخارجها ، ويكون ذلك عن طريق تدعيم مكتبات المدارس بأعداد اضافية من الكتب العلمية والثقافية والادبية ، وتزويدها ببعض العاملين المثقفين الذين يقومون بدور الارشاد والتوجيه العلمى . ولايفوتنا فى هذا المقام أن ننوه بأهمية التوسع فى انشاء قصور الثقافة فى القرى والاقاليم والتوسع فى اقامة معارض

للكتب المتخصصة والعامة ، والحرص على بيعها بأسعار فى متنـــــاول الجميع (١) ·

٢٠ – تشجيع المؤلفين والكتاب على اخراج كتب للاطفال تتنـــاول كافة فروع المعرفة ، وذلك ضمانا لتنمية قدرة الطفل على التفكير العلمى السليم وتشجيعه على الابتكار والتعلم الذاتى ·

٢١ – تنمية قدرة الشباب على الحوار والنقد البناء ، ولا يتأتى ذلك الا عن طريق استخدام الحوار فى المناقشات ، السياسية ، وكذلك الحوار التمثيلى الذى يعرض الرأى والرأى الآخر فى مختلف مجـــالات الحياة ومواقفها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ·

٢٢ – تدعيم البحوث الاجتماعية فى مجال الاعـــلام الجماهيرى ، لتحديد نوعية القطاعات المستهدفة فى الوسائل المختلفـــة والوقوف على طبيعة المشكلات التى تعانيها وظروفها الاجتماعية والثقافية حتى يمكن لكل وسيلة منها أن تحدد الموضوعات التى تتناولها وطـريقة معالجتها . وفضلا عن ذلك فان مثل هذه البحوث تفيد فى قياس حجم الاستقبـــال وردود الفعل ·

---

(١) هناك بحث مفيد فى ميدان الشباب والفراغ ، يجمع بين التحليل النظرى والدراسة الميدانية . ويلقى الضوء على الابعاد الحقيقية لمشكلـــة الفراغ عند الشباب المصرى وكيفية مواجهتها بأساليب وطرق متنوعة·أنظر:

(محمد على محمد ، وقت الفراغ فى المجتمع الحديث : مبحث فى علم الاجتماع · دار المعرفة الجامعية – الاسكندرية ١٩٨١)

الفصل الثامن

البناء الطبقى والجريمة

- تمهيـــــد .
- مفهوم الطبقة .
- البنائية الوظيفية فى ضوء نظرية التكامل .
- الطبقة الاجتماعية وانحراف الأحداث (دراسة ميدانية) .

أولا : ابعاد الدراسة ومنهجها .

ثانيا : دليل الوضع الطبقى .

ثالثا : الطبقة الاجتماعية وبيانات أساسية عن الحدث .

رابعا : الطبقة الاجتماعية وظروف الاتهام .

خامسا : الطبقة الاجتماعية والمسكن والجوار .

سادسا : الطبقة الاجتماعية وظروف الأسرة .

سابعا : أهم النتائج .

الفصل الثامن

البناء الطبقى والجريمة ★

تمهيـــد :

هناك نظريتان أساسيتان فى الطبقات الاجتماعية ـ شأنها مثل دراسة أى موضوع فى علم الاجتماع ـ وهما نظرية الصراع ، ونظريـــة التكامل . فنظرية الصراع ترتكز أساسا على الأفكار الماركسية فيما يرتبط بتحديد مفهوماتها وأطرها التصورية ، متخذة عدة مسارات لتعميق أبعاد مشكلة التدرج الطبقى . بيد أن الطابع الغالب على هذه النظرية ينحصر فى النظر الى الطبقة ككل وأثرها فى بقية الطبقات التى تكون البنـــاء الاجتماعى والاقتصادى للمجتمع . وهذا يبعدها عن تصور الصراع الذى قد يحدث داخل الطبقة ، اذ تركز على الصراع بين الطبقات فقط . وقد يرجع ذلك التصور الى الظروف التى من خلالها صاغ الفكر المـــاركسى للطبقة ، حيث أن أيديولوجية الصراع بين الطبقات ، واستغلال طبقـــة لأخرى ، وتصور تاريخ كل مجتمع على أنه تاريخ الصراع الطبقى ، كانت كلها أفكار محورية فى آراء ماركس والماركسيين من جانب وكان لهـــا أعظم الأثر فى توجيه مسارات نظرية الصراع فى التراث السوسيولوجى الحديث فيما يتعلق بدراسة التدرج الطبقى من جانب آخر .

ويتضح أن للاتجاه الماركسى جذور فلسفية وتاريخية الى حد كبير ، حيث أن تفسير الصراع ، وحتى تصور الطبقة ، كان من خلال تصـــور التاريخ والأحداث التاريخية التى مرت بها المجتمعات ـ أو الطبقات ـ كان ماركس يحللها بقصد توكيد وجهة نظره فى الصراع الحتمى . كما أن المظهر الذى كان عليه المجتمع الصناعى فى القرن التاسع عشر جعل كارل ماركس يرى التاريخ الانسانى متمثلا فى الصراع الدائم بين طبقتين ، وهما الطبقة المالكة ذات النفوذ والسلطة والطبقة التى لاشىء تملكه غير

★ تأليف الدكتور غريب سيد أحمد .

الصراع على الطبقة الأولى • فالظروف الاجتماعية التى عاصرها ماركس هى التى حكمت تفكيره ، بالاضافة الى الاصالة الفلسفية والاطلاع الواسع على التاريخ ، حيث استمد منهج دراسته من الجدل الهيجلى واستمد المادية من فيورباخ • ويتضح الجدل الهيجلى فى كتابات ماركس بصورة عامة ، ففى نظرته الى التاريخ (سواء الطبقى أو تاريخ المجتمع ككل) كان يرى طبقتين متصارعتين يحدث فى نهاية الأمر انتصار احداهما على الأخرى • بمعنى أنه ينظر الى احدى الطبقتين على أنها « قضية » وأن الطبقة الأخرى بمثابة « قضية نقيضة » ثم يتم التأليف بينهما عن طريق الصراع • أما المادية التى أخذها عن فيورباخ بصفة خاصة ، فتتمثل فى تحديده للطبقة على أساس اقتصادى وتركيزه على ملكية وسائل الانتاج •

واذا كانت الأفكار الفلسفية والوقائع التاريخية التى كانت تجرى فى عصر ماركس وغيره من مفكرى نظرية الصراع هى التى قادتهم - جميعا - الى التأكيد على تفسير ظواهر المجتمع فى ضوء هذه النظرية ، الا أن الطابع الايديولوجى هو الذى كان يحم تفكيرهم فى غالب الأحوال ، حيث توجه نظرية الصراع انتقاداتها الى الاتجاه البنائى - الوظيفى فى كونه يعتمد على دراسة نموذج ثابت Static ويهمل ديناميات التغير الاجتماعى • كما أنه فشل فى التعرف على التوزيع غير المتكافىء للقوى فى المجتمع ، وأن ماينبغى أن يكون وظيفيا لجماعة ما قد لا يكون كذلك بالنسبة لجماعة أخرى • ولهذا تركز نظرية الصراع على عوامل وديناميات التغير والحراك والصراع بين الطبقات - وليس داخل الطبقة الواحدة باعتبار أن كل طبقة تمثل وحدة مستقلة لها كيان خاص • كما تركز نظرية الصراع على القوة أو السلطة - أو الاستغلال على حد تعبير لينين - كبعد أساسى فى احداث الصراع الطبقى ، وأخيرا ننظر الى الصراع وكأنه أمر حتمى لبقاء المجتمع واستمرار وجوده •

وعلى هذا تحدد مفهوم الطبقة فى ضوء نظرية الصراع على أساس المكان الذى يشغله أعضاؤها فى نسق الانتاج الاجتماعى والاقتصادى - وهذا يؤكد تأثر هذه النظرية بالمادية - والتشابه فى الدخل والمنزلة وأسلوب الحياة ، ومدى ملكية وسائل الانتاج • وهذا التحديد يوضح أن هذه النظرية تعتمد فى أساسها على المادية من جانب ، والنظر الى

الطبقة كوحدة متكاملة من جانب آخر . ويلاحظ ان الوجـــود الطبقى فى ضوء نظرية الصراع يقوم على مدى استغلال طبقة لأخرى ، وهذا يؤكد أن الصراع بين الطبقات هو أساس هذا الوجود .

وليس غريبا أن تفسر هذه النظرية « الصراع » باعتمادهـــا على التاريخ ، لأن التطور التاريخى والاجتماعى كما يذهب رواد نظرية الصراع يتضمن فكرة الثورة ، ويتضح هذا عندما عرض ماركس للصراع من خلال تطور البورجوازية والبروليتاريا ، حيث يوضح أن الهدف الجوهرى من تطور الطبقة هو مشاركتها فى الصراع الاجتماعى عامة ، والســـياسى خاصة ، ولهذا تظهر أهمية الدور الذى يلعبه الصراع الطبقى فى توضيح مدى الاختلافات السياسية ، اذ يتضمن بناء الطبقة العاملـــة - مثلا - عناصر التغير ، لأن الصراع لمتطلبات اقتصادية يتطلب بالضرورة صراعا سياسيا . والقوة السياسية من وجهة نظر الماركسية تقف فى مواجهـــة البورجوازية حيث ينجم أسلوب الحكم السياسى عن نظام الانتاج . بعكس الحال لدى المفكرين الغربيين الذين يرون أن أسلوب الحكم السياسى ناجم عن مستوى للتطور الفنى والتكنولوجى حيث يؤكد الصراع بين الصفوة تضامن البناء الاجتماعى وتماسكه من جانب ، كما يفسر بناء القيـــادة السياسية فى ضوء الطبقة ككل من جانب آخر . وعند دراسة الأحزاب السياسية باعتبارها تمثل طبقات ذات مصالح خاصة ، ينظر الماركسيون الى الطبقة ككل عند عرضهم لتحول شعور الفرد بالوضع الطبقى الى مستوى الشعور بالانتماء الى اقليم أو دين أو عقيدة معينة ، حيث يرتبط الوعى الطبقى بالمعتقدات والأيديولوجية . بعكس الحال فى المجتمعات الغربية حيث ينظر الى سلوك الناخبين باعتبار كل منهم ينتمى الى طبقة معينة دون روابط أيديولوجية ، والنظر الى الصفوة من الوجهة الماركسية على أنهـــا تمثل ضغوطا اجتماعية ، يتفق مع فكرة الإستغلال الطبقى ، ومع نظرية المصلحة الطبقية . ولهذا فان الماركسية حينما تنظر الى الجماعـــات السياسية ، فانما تحللها فى ضوء الصراع الذى قد يحدث لما لديها من قوة وسيطرة ، وهنا يتحدث الماركسيون عن الجماعات الضـــاغطة وعن الأحزاب الجماهيرية ، حيث تلعب الجماهير دورا هاما وخطيرا فى عملية الصراع الطبقى وخاصة صراع الطبقة العاملة .

ولعل أهم تطور لنظرية الصراع يتمثل فى النظرية القسرية للمجتمع التى عبر عنها رالف داهرندورف ، اذ ينظر الى أن التغير والصراع بين الطبقات وقهر طبقة لأخرى سمات أساسية لكل مجتمع ، بالاضافة الى أن تجانس التنظيم الاجتماعى يستند الى الضغوط التى على مختلف الطبقات، حيث تعتبر السلطة جزءا من البناء الاجتماعى ٠

وعلى هذا يتضح مدى اسهام نظرية الصراع فى تحليل الطبقة والتدرج الطبقى من خلال دراسة الطبقات الحاكمة والصفوة والأحزاب السياسية والوعى الطبقى ومع ذلك تتجه العديد من دراسات الطبقة الى التأكيد على دراسة الحراك الاجتماعى باعتباره وجها من أوجه التغير المصاحب للوجود الطبقى من جانب ، وباعتبار أن فشل الطبقة - أو الفرد - فى الحراك قد يكون سببا فى الصراع ٠ وذلك بالاضافة الى النظر الى الحراك على أنه مؤشر طبقى ، اذ عندما يحدث حراك اجتماعى فان هذا يشير الى أن ثمة طبقات اجتماعية أفضل أو أدنى يتحرك خلالها الفرد أو تتحرك الطبقة ككل نحو وضع اجتماعى مغاير لما هى عليه ٠ ويعتبر سوروكين أكثر المتعمقين فى دراسة الحراك حيث يحدد طبيعته سواء أكان أفقيا أو رأسيا أو توسطيا -كما سبق أن فسرنا - والذى يهمنا فى مجال نظرية الصراع النوع الرأسى من الحراك ، لأن الوصول الى وضع اجتماعى يخالف الوضع الذى عليه الطبقة - أو الفرد - يتطلب من اعضائها وعيا بالوجود الطبقى ، وهذا قد يؤدى الى صراع بين الطبقات ٠

وفى مقابل نظرية الصراع تحاول نظرية التكامل أن تضع اطارا تصوريا لتفسير الطبقة من خلال ثباتها ، منطلقة من القضية التى مؤداها « عدم وجود مجتمع بلا طبقات ، وأن الطبقات ضرورية فى كل مجتمع ، وتعمل على تجانسه وتماسكه » ٠

١ - مفهوم الطبقة :

تحدد نظرية الصراع الطبقة عن طريق الدور الذى يلعبه شاغلوها فى عملية الانتاج والتمايز فى الأوضاع الاقتصادية ٠ وهذا ما يؤكد عليه لينين مفسرا للتعريف الماركسى للطبقة على أساس أن نسق الانتاج الاجتماعى يتحدد تاريخيا ، وأن لكل طبقة دورها فى التنظيم الاجتماعى

للعمل ، كما يؤكد لينين على فكرة استغلال طبقة لأخرى . ولهذا يذهب جالسكى الى ضرورة توضيح مدى الارتباط بين الطبقات من جـــانب ، والتمييز بين القوى الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية من جانب آخر . كما يذهب الى تحديد الطبقة عن طريق التفاوت فى الملكية الخاصة لوسائل الانتاج . واذا تعمقنا التفرقة التى وضعها داهرندورف بين الطبقـــة والشريحة الاجتماعية يمكن أن نحـــدد التدرج الطبقى عن طريق مدى المصلحة المشتركة بين أعضاء الطبقة ، وتشابه أعضاء الشريحةالاجتماعية من حيث الدخل والمنزلة وأسلوب الحياة . وعلى ذلك فان تعريف الطبقة من وجهة نظر ماركس والماركسيين يقوم على :

١ ـ وجود جماعة من الناس تتشابه من حيث المكان الذى تشغله فى نسق الانتاج الاقتصادى والاجتماعى .

٢ ـ وتتشابه فى الدخل والمنزلة وأسلوب الحياة .

٣ ـ كما تتشابه من حيث نصيبها فى ملكية وسائل الانتاج .

ويلاحظ أن أسس هذا التعريف تركز على فكرة الاستغلال الطبقى والمصلحة الطبقية التى تؤدى ـ من وجهة نظر الماركسية ـ الى الصراع بين الطبقات .

أما نظرية التكامل فتؤكد على أبعاد الطبقة الاجتماعية وعـــــدم قصورها على عامل معين ، حيث يحدد ماكس فيبر ـ مثلا ـ الطبقة فى ضوء الاقتصاد والمكانة والقوة من جانب ، وينفى أهميـــــة الصراع بين الطبقات أو داخل الطبقة من جانب آخر . وذلك رغم أنه يرى أن السلطة قد تكون مغتصبة قبل أن تتحول الى سلطة شرعية . وعلى ذلك فهو يؤكد على توزيع الشهرة والمنزلة بين أعضاء مختلف الطبقات ، وهذا يعنى أنه يؤكد بالتالى على المكانة الاجتماعية بصفة خاصة . وفى هذا يختلف فيبر عن ماركس من حيث عدم اعتماده على العامل الاقتصادى وحده كمحدد للطبقة ومن حيث اهماله للصراع بين الطبقات . ويتفق سوروكين مع فيبر فى عدم تحديد الطبقة عن طريق العامل الاقتصادى وحده ، ويرى أن الطبقة تقوم على المهنة والاقتصاد وتوزيع الحقوق والواجبـــات والقيم

والممارسات والمعايير • ويحدد سوروكين الطبقة عن طريق مدى جمودها وذلك حتى لا تناقض آرائه فى الطبقة تلك الآراء التى ذهب اليها فى نظريته عن الحراك الاجتماعى • ولكنه يرى أن الثورات والصراعات لم تنجح فى تحطيم التدرج الطبقى ، وذلك يساير النظرية التكاملية التى تنظر الى التدرج الطبقى على أنه سمة أساسية لكـــل مجتمع • ويتفق بيرلاروك ومونييه مع سوروكين من حيث تحديد الطبقة على أساس درجة جمودها ، لكنهما يؤكدان على المكانة الاجتماعية كمنطلق لتحديدها ، حيث يتحدد الوضع الطبقى عن طريق التقييم ، ويضيف تيومين الى الخصائص السابقة ، الآثار التى تنجم عن الوجود الطبقى من جانب ، كما أن ليس للطبقة أساس بيولوجى من جانب آخر • وهذا يتفق مع ما ذهب اليـــه هاليفاكس ، لكنه يختلف مع الرأى الذى ذهب اليه بارسونز من أن القرابة والروابط القرابية تؤثر الى درجة كبيرة فى تحديد الطبقة • ويؤكد هاليفاكس على الاطار الاقتصادى للطبقة ، بالاضافة الى أنها تحدد سلوك أعضائها ودوافعهم ومستويات طموحهم ، كما أنه يرى عدم امكانية تحديد الطبقة فى ضوء المهنة أو الدخل لاختلاف تقييم كل منهمـــا باختلاف المجتمعات •

وعلى ذلك فان تعريف الطبقة فى ضوء نظريةالتكامل يقوم على :

١ ـ تحديد الطبقة عن طريق أبعاد متعددة مثل الاقتصاد والمكانة والقوة والبعد السيكولوجى •

٢ ـ عدم التأكيد على الصراع الطبقى •

ويلاحظ أن أسس هذا التعريف تركز على تقييم المكانة ، حيث يتفق معظم مفكرى نظرية التكامل على أن المكانة الاجتماعية هى الدعامة الجوهرية فى الوجود الطبقى •

٢ ـ البنائية الوظيفية فى ضوء نظرية التكامل :

ظهر الاتجاه الوظيفى فى البيولوجيا وعلم النفس ـ وخاصـــــة الجشطلتى ـ والأنساق الاجتماعية والدور الذى تؤديه الأجزاء المكونة لكل نسق للمحافظة على تكامله وتوازنه • وفى علم الاجتماع يتضح هذا الاتجاه من خلال أعمال دور كايم وكـــولى وتوماس وزنانيكى وميرتـــــون

وبارسونز وباريتو وجورج هومانز وادوارد شيلز وغيرهم .

ويرتبط الاتجاه الوظيفى فى دراسة الطبقة والتدرج الطبقى بكل من كنجزلى دافيز وولبرت مور ، رغم الانتقادات العديدة التى وجهها اليهما بعض علماء الاجتماع أمثال مالفين تيومين . والقضية الأساسية التى يرتكز عليها هذا الاتجاه هى حقيقة أن ليس ثمة مجتمع بلا طبقات فلا يمكن أن يستمر مجتمع ما فى وجوده بدون تدرج طبقى يقوم على عدم المساواة فى توزيع المكافآت والامتيازات . ولهذا يمكن تصور التدرج الطبقى من خلال الترتيب الهرمى للمرتبة الذى يختلف فى كل مجتمع على أساس ظروف داخلية وخارجية . فهناك عوامل مثل الدين والحكومة وانتاج الثروة وادارة الملكية والعمل والانتاج والمعرفة التكنولوجية ، يقيمها الأفراد على أساس قيم دائمة ثابتة فى هرم ترتيب المرتبة (١) . ويرى كنجزلى دافيز ضرورة النظر الى البناء الاجتماعى على أنه وحدة متكاملة حيث يشير الوضع Position الاجتماعى الى المكان الذى يشغله الفرد فى البناء الاجتماعى . وعند تحديد ذلك الوضع يمكن النظر اليه من وجهات متعددة ، فهو « ذاتى » من حيث وجوده فى عقول وسلوك أعضاء المجتمع ، وهو «موضوعى» من حيث اتفاق هؤلاء الأعضاء على وضع معين ،وهو « متبادل » من حيث ما يتضمنه من حقوق والتزامات ، وهو « وظيفى » ذو هدف من حيث دوره فى البناء الاجتماعى . أما الموقف Situation فهو مجموع الأوضاع المتداخلة للفرد . وتشير المنزلة — لدى دافيز — الى القيم المتصلة بأية مكانة اجتماعية وهذه القيم نسبية من حيث ارتباطها بالبناء الاجتماعى ، كما يرتبط الدور Role بالوقار Esteem (٢) . ومعنى هذا أن دافيز يضع محاولة للتفرقة بين العوامل البنائية والعوامل غير البنائية فى السلوك حيث تختلف الشخصية الانسانية على أساس الوضع الاجتماعى سواء كان ذلك عن طريق الوراثة

---

(1) Owen Carol; Social Stratification; London, Routledge and Haul Kegan, 1968 PP. 25-26.

(2) Davis, Kingsley, "A Conceptual Analysis of Stratification" A.S.R. Vol. 7, No. 3, 1942. PP. 309-321.

أو عن طريق الدور ٠

ولقد تعرضت نظرية دافيز ومور هذه لاعتراضات عديدة من حيث اهتمامها بالاهمية الوظيفية وانكارها للوظائف المعوقة Disfunctions والعوامل الوظيفية الخارجية للتدرج الطبقى ٠ فلقد اهتم برنارد باربر بالنظرية الوظيفية لدى دافيز ومور محاولا ايجاد حلول لبعض المشاكل التى لم يضع لها كل منهما حلولا ٠ كما أن تيومين قد أوضح الخلافات المنهجية فى نظريتهما ٠ فقد ذهب باريتو الى توضيح دورة الصفوة Circulation of the Eilte وذهب فبلن الى بيان « طبقة الفراغ » وماكس فيبر الى « فرص الحياة وأسلوبها » ونظر كل وارد وكولى الى الوضع الاجتماعى كمحدد للطبقة الاجتماعية ، فى حين أن تشارلز بيج يعالج الطبقة عن طريق تصور عام يتضمن آراء كل من سمول وروز Ross وسمنر ٠ ومن الدراسين المعاصرين للتدرج الطبقى اهتم كل من تاونى R. T. Tawney ونورث & C. C. North وبيكر Becker وسوروكين وجيرت Gerth وميلز Mills وريموند ويليامز R. M. William وماكيفر وبيج وفوتز H. Pfautz وكيرت ماير K. Mayer بالاتجاه الوظيفى ويتخذ بركلى تصورا للتدرج الطبقى يقوم على تدرج المراكز والأوضاع الاجتماعية حيث يشير هذا التصور الى ترتيب هرمى للجماعات أو للتجمعات الاجتماعية التى تتصل فيما بينها(١) ورغم أن باربر قد ميز بين التدرج الطبقى وبين التمايز الطبقى باعتبار الأول نتاج التمايز والتقويم الاجتماعيين ، الا أن التقويم لديه عبارة عن أهمية وظيفية للأدوار الاجتماعية المتمايزة وفى هذا يتشابه باربر مع دافيز ومور فى انكارهم التفرقة بين المفهومين وسنعرض فيما يلى الى نظرية كنجزلى دافيز وولبرت مور فى التدرج الطبقى والانتقادات التى وجهها تيومين بالذات اليهما موضحين وجهة نظره فى دراسة التدرج ، ثم ننتقل الى وجهة نظر برنارد باربر باعتباره يمثل مرحلة متقدمة فى التدرج الطبقى من الوجهة التكاملية ٠

---

(1) Buckley. Walter "Social Stratification & the Functional Theory of Social differentiation"; A. S. R. Vol. 23 : No. 4, 1958, PP. 369-371.

١ - يحاول كنجزلى دافيز وولبرت مور توضيح العلاقة بين التدرج الطبقى وبين بقية أجزاء النظام الاجتماعى، مفسران كيفية توزيع المنزلة بين مختلف نماذج الأوضاع الاجتماعية فى كـل مجتمع • حيث يختلف التدرج الطبقى باختلاف المجتمعات من حيث درجته ونوعه وكذلك من حيث اختلاف عوامل حدوثه • وعلى ذلك يريان أن هناك خطين مختلفين للتحليل ، يتمثل أولهما فى تفهم الخاصية العامة Universal للتدرج الطبقى ، بينما يتمثل الثانى فى فهم السمات أو الملامح Features النوعية له ويسهم كل من هذين الخطين فى توضيح الظاهرة المرتبطـة بنسق الأوضاع الاجتماعية وليس بالأفراد الذين يشغلون هذه الاوضاع • ولذلك يتساءل دافيز ومور عن السبب الذى من أجله تكون للاوضـاع المختلفة درجات متباينة من المنزلة ؟ ، وكيف يصل بعض الافراد الى هذه الاوضاع دون سواهم ؟ ويريا أن المادة العلمية التى تدور حول التدرج الطبقى قد حاولت الاجابة على السؤال الثانى وخصوصا بيان مسهلات ومعوقات الحراك الاجتماعى مبتعدة عن محاولة الاجابة على السـؤال الاول ، وذلك رغم أن هذا السؤال له صفة الاولوية الواقعية لكل من الفرد والجماعة (١) • وانطلاقا من هذا الهدف المحدد يوضح دافيز ومـور الاهمية الوظيفية للتدرج الطبقى فى داخل البناء الاجتماعى فمن وجهة النظر الوظيفية يوزع كل مجتمع أعضائه على أوضاع اجتماعية ذات حقوق والتزامات محددة • كما تتحدد المرتبة الاجتماعية للفرد بعاملين ، أولهما الاهمية الوظيفية المتمايز التى يؤديها الفرد فى المجتمع ، وثانيهمـا شخصية الفرد وخبراته لشغل أوضاع اجتماعية معينة (٢) • وهنـاك وظائف مجتمعية عامة يعتبرها دافيز ومور وظائف عامة للتدرج الطبقى ، ويلخصها فى الدين الذى يحدد قيم وأهداف وسلوك الفرد من جانب ، ويؤدى الى تكامل المجتمع من جانب آخر ، والحكومة ذات الوظـائف

---

(1) Davis, K. & Moore, W.E., "Some Principles of Stratification"; in. Logan Wilson & William L. Kolb, Sociological Analysis; N. Y., Harcourt, Brace & Com, 1949, PP. 434 F. & also. A. S. R. 1945, PP. 242-249.

(2) Ibid., P. 436.

الداخلية فى المجتمع والتى يكون لها معايير وقوة سياسية مؤثرة ، والثروة الملكية والعمل بمعنى المظهر الاقتصادى للوضع الاجتماعى وأخيرا المعرفة التكنولوجية التى تعنى المهارات التى يتطلبها وضع اجتماعى معين (١)٠ وتختلف الانساق الاجتماعية المتدرجة - من وجهة نظرهما - على أساس درجة التخصص وطبيعة الوظيفة التى يؤديها شاغلى وضع اجتماعى ما ٠ وقدر الاختلافات المؤدية الى البعد الاجتماعى بين الاوضاع الاجتماعية ، ودرجة الفرص المتاحة ، ودرجة التضامن الطبقى (٢) ٠ كما أن هنـــاك ظروف خارجية يمكن ايجازها فى مرحلة التطور الثقافى التى يمر بهـــا المجتمع من ناحية ، والموقف الذى يتخذه المجتمع من وجهة نظر غيره من المجتمعات من ناحية ثانية ، وحجم المجتمع من ناحية أخيرة (٣) ٠

٢ - تنطلق وجهة نظر مالفين تيومين من تلخيصه لآراء دافيز ومور فى مقالهما السالف الاشارة اليه ، حيث يعتبر نقاط التخليص هذه (٤) فروضا توجه دراسات التدرج الطبقى ٠

أ - أن أوضاعا معينة - فى أى مجتمع - لها أهمية أكثر من غيرها من خلال المنظور الوظيفى ، حيث تتطلب مهارات خاصة لشغلها ٠

ب - أن عددا محدودا من الافراد ذوى نبوغ Talents يمكنهم شغل أوضاع هامة وظيفيا عن طريق التدريب ٠

جـ - يتضمن تحويل النابغين الى ماهرين فترة كافية من التدريب٠

د - حتى يتسنى اقناع النابغين بقبول التدريب ، ينبغى أن يكون للاوضاع التى سيشغلوها قيمة معينة تمايزها عن غيرها ٠

هـ - يتضمن كل وضع اجتماعى مجموعة من الامتيازات المرغوب فيها مثل الغذاء والراحة والترفيه والتسلية ، واحترام النفس وتقدير الذات .

---

(1) Ibid., PP. 437-441.
(2) Ibid., P. 242.
(3) Ibid., P. 442.
(4) Tumin, M., "Some Principles of Social Stratification A Critical Analysis" A. S. R; Vol. 18. No. 4, 1953, PP. 387-388.

و — تختلف الجزاءات على أساس اختلاف المنزلة التى تميز كل درجـــة .

ز — تعتبر اللامساواة الاجتماعية فى مختلف الدرجات من حيث الامتيازات المرغوب فيها وقدر المنزلة المتقبلة . وظيفة ايجابية لها قيمتها فى المجتمع .

يحاول تيومين تعسق هذه الفروض التى استخلصها من مقال دافيز، ومور ، فيرى أن المفهوم المفسر فى هذا هو « الاهمية الوظيفية » حيث لم تتضح عندهما النظرية الوظيفية ، للتنظيم رغم وجود حد أدنى لما يمكن أن يطلق عليه « قيم الحياة » السائدة فى كل بناء اجتماعى . ويستشهد فى ذلك بمثال فيقول ، لكى نحكم على أن مهندسى مصنع معين لهم أهمية وظيفية أكثر من العمال غير المهرة ، فان هذا يتطلب معرفة قدرات العمال غير المهرة اذا ماقيست بالنسبة للمهندسين ، ولربما تقابل المرء مشكلة تكيف العمال مع مستويات المهارة ، أو أن يكون لبعض العمال غير المهرة أهمية تقابل أهمية المهندسين ، وعلى ذلك ينبغى على النظرية العامة للتدرج الطبقى معرفة أن نظم الاقناع والجزاءات المعروفة هى واحدة من متغيرات عديدة ذات التأثير وعلى الأقل من الناحية النظرية . وهذا يعنى أن فكرة الوظيفة لدى دافيز ومور كانت متطرفة (١) . وفيما يرتبط بالقضيـــة الثانية ، فيرى تيومين أن صدقها مترتب على صدق القضـــية الأولى ، فبالاضافة الى نابغى كل مجتمع فهناك الجهلاء والبلهاء . ويقلل المجتمع الأكثر جمودا من فرص اكتشاف ما يدور حول النابغين . واذا كان وجود الجزاءات أو عدم وجودها فى جيل معين مرتبط بفرص وظيفية ، فمن الواضح أن التمايز فى الجزاءات يسمح بتوارثها ، وعندئذ يتخذ نسق التدرج الطبقى سمة الانحلال Dysfunction . حيث يتجه نســـق التدرج الطبقى الى تحديد الفرص المتاحة ، كما قد يكون ثمة اتجاه ذا طبيعة معينة يوضح كيفية وصول الصفوة الى أوضاعهم الاجتماعية حسب القوة الوظيفية (٢) . اما تعليق تيومين على القضية الثالثة فمؤداه ان مصطلح «تضحية "Sacrifice"» مصطلح ضيق لأنه انحصر فى كسب مراكز القوة فقط . والملاحظ أن النسق الذى تشغل فيه الاوضـــاع

(1) Ibid., P. 388.
(2) Ibid., P. 381.

الاجتماعية عن طريق التكليف لا يتطلب وجود تمـــايزات فى الجزاء ، وبالتالى تدرج طبقى لها ، ويرتبط نقد تيومين لهذه القضية بنقده للقضية الرابعة ، حيث أن اقناع النابغين بمستقبلهم الناجم عن التدريب يتخذ صورة صارمة وجامدة ، فليست هناك وسيلة اقناعية بأن الوضـــع ذو الاهمية الوظيفية يتطلب مهارات خاصة ، وأن المنزلة العليا تتطلب نابغين قادرين على شغل أوضاع معينة (١) • وفيما يرتبط بالقضيتين الخامسة والسادسة يتساءل تيومين عن الأسس التى عليها يمكن التأكيد على نماذج معينة من الجزاء دون سواها حتى تكون ذات تأثير وظيفى ، فمن المعروف أن المجتمعات تختلف من حيث تقديرها للجزاءات ، كما أن هناك فارق بين الاستجابة وبين الجزاء ، بالاضافة الى اختلاف المنزلـــة بين الذين يمتثلون والذين ينحرفون (٢) • ويمكن أن تكون اللامساواة الاجتماعية بين مختلف الدرجات من ناحية كم السلع النادرة والمرغوب فيها ، وقدر المنزلة والوقار المتقبل ، وظائف ايجابية وحتمية Inevitable فى كل مجتمع • وهذا يعنى السؤال عن نوعية الوظيفة الايجابية للتدرج الطبقى • وهل هناك وظائف سلبية له ؟ ويرى تيومين أن هناك وظائف معوقـــة للتدرج الطبقى مثل التوزيع العادل للسكان حسب أهميتهم من جانب ، وحسن انتماءاتهم الاقليمية Loyality من جانب ثان « وحسب حوافز المشاركة من جانب ثالث ، بالاضافة الى أن التدرج الطبقى يشجع العداء وعدم الثقة بين الطبقات مما يؤدى الى الحد من امكانية التكامل الاجتماعى للمجتمع ككل (٣) •

ويرد كل من مور ودافيز منفردا على النقد الذى وجهه اليهما تيومين، فيرى مور أن تيومين لم يضع تحديدا للتدرج الطبقى يستند اليه ، وقد كان نقده على المستوى النظرى فقط ورغم هذا فليس الأساس النظرى ولا حتى الواقعى يؤكد التساوى فى الجازءات أو فى الفرص (٤) • ولقد حدد كنجزلى دافيز رده فى أن هناك صعوبات متعددة ، حيث اختار تيومين

(1) Ibid; PP. 390-391.
(2) Ibid.; PP. 392-393 .
(3) Ibid.; PP. 392-293.
(4) Moore, Wilbert E., "Comment on Some Principles of Stratification by Tumin"; A.S.R., Vol. 18, No. 4, 1953 P. 397.

بعض القضايا اعتبرها أحكاما دون أن يفرق بين الحكم وبين التفسير ، كما أنه قد اعتمد على مقال واحد دون البحث فى سائر آراء دافيز ومـــور الأخرى ، ولذلك فشل تيومين فى التوصل الى تعريف التدرج الطبقى(١) .
ويرى دافيز أن التمايز الطبقى ليس موقوفا على الأهمية الوظيفية وحدها، بل قد يكون نتيجة لتضحية أشخاص معينين أو أنه يكون نتيجة لهما معا .
ومعارضة تيومين لفكرة « التضحية » فى تدريب النابغين يرجع الى غموض مصطلح « التدرج الطبقى » لديه . كما أن توضيح تيومين للوظـــائف المعوقة لايهم دافيز ومور حيث أنهما يعمقان الطرق التى بهـــا تتوزع الاوضاع الاجتماعية توزيعا غير متساو فى المجتمع كما يراها الاعضاء(٢) .
وفى هذا يتساءل تيومين اذا كان من الممكن تقسيم النموذج نظريا من حيث الوظائف الاجتماعية العامة فى ضوء اللامساواة ، فكيف يمكن اذن تفسير التدرج الطبقى والحتمية البنائية والوظيفية معا ؟ يرى تيومين أن القرابة مثلا تتداخل مع التدرج الطبقى ، ومن الواضح أن الآباء لا يســـتطيعون تحويل كل من المزايا والمساوىء الى ذريتهم فى بناء القرابة (٣) .

واذا كانت مناقشة تيومين المبادىء التدرج الطبقى لدى دافيز ومور من خلال مقالات لم توضح وجهة نظره بصورة متعمقة . فلقد نشر فى عام ١٩٦٧ كتابا بعنوان ((**التدرج الطبقى**)) والكتاب رغم صغر حجمه ، فهو يعبر عن وجهة نظر ضرورية وهامـــة لدارسى التدرج الطبقى من حيث تحديده لخصائصة من جانب والعمليات الاجتماعية فيه من جانب ثان ، وما يتبع التدرج الطبقى من مظاهر سواء فى فرص الحياة أو أسلوبهـــا المتبع من جانب آخر . وفى هذا يحدد تيومين أربعة عمليات اجتماعيـــة عامة ترتبط بوجود أنساق التدرج هى (٤) :

١ - **تمايز المكانات الاجتماعية :** وتتحدد عن طريقها الأوضـــاع الاجتماعيـــة ، مثل الأب والأم والمدرس والموظف اذ تختلف الادوار التى

---

(1) Davis, K., "Reply", A.S.R. Vol. 18, No. 4, 1953, P. 394.
(2) Ibid.; PP. 395-397.
(3) Tumin, M. "Reply to Kingsley Davis"; A. S. R. Vol. 18. No. 6, 1953, PP. 672-673.
(4) Tumin, Social Stratification; Op. Cit., 19-42.

يقوم بها كل منهم وفقا لاختلاف وضعه الطبقي ، وبالتالى تتحدد الحقوق والمسئوليات· ويزداد تأثير تمايز المكانة حينما تتحدد الاتجاهـــات الاجتماعية بوضوح وتتميز خطوط السلطة والمسئولية للأدوار الاجتماعية، وحينما توجد ميكانيزمات مؤثرة لتدريب الاشخاص على شغل مكانات اجتماعية معينة ، وأخيرا عندما توجد جزاءات تتضمن الثوات والعقاب كحوافز فردية ·

٢ ـ **المرتبة** : وطالما أن المكانات تتمايز عن طريق الادوار،فمن الممكن مقارنة بعضها بالبعض الآخر،بمعنى أن امكانية وضع مراتب Ranking معينة لهذه المكانات · ويعتمد هذا الترتيب على خصائص معينة مثل الذكاء أو الجمال أو القوة البدنية من جانب ، وعلى المهارات والقدرات الخاصة كمعرفة القانون والتعليم والقدرات المهنية والحركية من جانب ثان ، ومدى التأثير على الآخرين وعلى المجتمع بصورة عامة،أى دور الممثل أو القاضى أو ضابط الشرطة بمعنى الوظائف الاجتماعية من جانب ثالث وأخير · وهذا لا يعنى أن وضع المراتب الاجتماعية يكون على أساس أحكام عن «الحسن» أو « السيء » وانما يعنى اهتمام الترتيب الطبقى بالسؤال عن « الكثرة أو القلة More or Less » ، وتعتبر عملية الترتيب هذه عملية انتقائية ذات وجهين ، يرتبط أولهما بتمايز المكانات ويرتبط الثانى بمحكات وضع مراتب اجتماعية لهذه المكانات المتمايزة·

٣ ـ **التقويم** : ويتضمن الاشارة الى مواضع المكانات المتمايزة على مقياس القيم والصلاحية Worthiness ويمكن وصف تدرج القيم على ضوء السيادة والتبعية والحسن والسيء ، والرأى العام · وتوجد ثلاثة أبعاد للاحكام التقويمية ، ويتمثل أولها فى المنزلة التى تشير الى الشهرة التى تتضمن سلوكا يتميز بالاحترام · وثانيها التفضيل Preferability حيث هناك عبارات تدل على ذلك مثل « أنى أود أن أكون مثلـــه » أو « أتمنى أن يكون أبنائى مثله » أو أرغب أن أكون صديقا له » ·· وهكذا، حيث تمتزج احكام القيمة مع الاعتبـــارات الواقعية الممكنة . وثالثهـــا « المرغوب فيه » Popularity ويظهر بصفة خاصة عند تقييم المكانة المهنية فى المجتمعات الصناعية الحديثة · اذ أن هناك العديد من المهن ذات الجذب العام والشهرة العامة رغم أنها لاتتطلب منزلةاو شهرةواقعية·

وتوجد ثلاثة مستويات للتقويم ، يتمثل الأول فى حاجة كل مجتمع لتحديد ما اذا كان الدور أو المكانة الممنوحة للفرد أعلى أو أدنى من الخط الأدنى للقبول الاجتماعى ، ذلك الخط الذى يتحدد شرعيا وأخلاقيا . فالمكانة الاجتماعية للسارق مثلا أقل من الخط الادنى للقبول الاجتماعى، ويعبر المستوى الثانى للتقويم عن المجتمع ، بمعنى مقارنة مختلف المكانات الاجتماعية لتحديد مكانة فرد ما من وجهة نظر الآخرين ، تلك المكانة التى تتضمن حدا أدنى من الجزاءات . وينطبق هذا المستوى من التقويم على خصائص المكانة فى نظم معينة كالأسرة والجماعات السياسيةوالاجتماعية. أما مستوى التقويم الثالث فمؤداه مقارنة المكانات والادوار على أساس محكات ممكنة كالمكافآت وتمايز توزيعالسلع والخدمات والقوة مثلا . وباختصار فان مستوى التقويم الأول هو تقدير الحد الأدنى للقبول ، والمستوى الثانى هو المقارنة بين المكافآت بالتركيز على متطلبات المكانة الاساسية للحياة فقط ، والمستوى الثالث يتضمن الجزاءات المتمايزة والتنافس .

٤ - **المكافأة** : ويمكن عن طريقها توضيح تمايز المكانآت والمراتب الاجتماعية بارتباطها بكميات السلع المتاحة . ففى كل مجتمع قواعد ومعايير تحدد كيفية توزيع المكانآت.وتتغير هذه القواعد وفقا للأيديولوجية السائدة والدور الذى يؤديه الصفوة فى المجتمع . ويمكن تصنيف المكافآت الى ثلاثة أقسام،أولها الملكية أو الحقوق والواجبات نحو السلع والخدمات. وثانيها القوة أو المقدرة على تأمين غايات الفرد ضد ما يعترضها . وثالثها الاشباع النفسى أو الاستجابات غير المادية التى تجلب السعادة للناس ، ومن السهل قياس الملكية عن طريق مقدار الدخل - مثلا - كما يفعل معظم دارسى التدرج الطبقى ، ولكن الأهم من ذلك النظر الى العملية التى يتم عن طريقها توزيع الملكية فى مختلف المجتمعات فقد تتحدد الملكية فى بعض المجتمعات عن طريق السلطة ، بينما تتحدد فى مجتمعات أخرى عن طريق المشروع الحر Free Enterprise أو العمل الحر Laisay—Faire أو العرض والطلب . أما القوة فليست هناك طريقة مرضية لقياسها رغم أن لها مظهران ، فهناك قوة قائمة على نوعية الدور ، وهناك قوة جزائية . بالاضافة الى أن للقوة بعدين هامين ، يرجع أولهما الى المقدرة على تحقيق

الغايات فى شبكة المكانات الاجتماعية ، وقد يظهر فى البيروقراطيـــة الحكومية أو فى تنظيم المجتمع المحلى أو فى البناء الاجتماعى العام · ويتمثل البعد الآخر فى قدرة الفرد على تشكيل السياسة الاجتماعية وتوجيهها فى حدود معتقداته واهتماماته الشخصية · وفيما يتعلق بالاشباع أو الرضا النفسى باعتباره نوعا من المكافأة ، فهذا المحك يشمل كل المكافآت التى تصنف تبعا للملكية أو للقوة · ويرى تيومين أنه رغم امكانية قياس الملكية أو القوة فانه يستحيل قياس مدى الاشباع النفسى رغم تضمنه عوامل محددة مثل الشهرة والتأمين والاستقلال والحرية والرضا المهنى وماشابه ذلك ·

ويفسر برنارد باربر التـــدرج الطبقى فى ضوء النظـــرية العامة للمجتمع ككل من جانب ، ويتفق مع تيومين فى توضيح الوظائف المعوقة للتدرج الطبقى من جانب آخر · حيث يرى أن نسق التدرج الطبقى ينتج عن تفاعل التمايز والتقويم · ويقوم التفاعل على عدم المساواة ، اذ يرتب الناس بعضهم البعض فى مراتب عليا أو دنيا وفقـــا للقيم التى تعطى لأدوارهم ومناشطهم الاجتماعية المختلفة ويرى باربر أن الوظيفة الأساسية لنسق التدرج الطبقى فى المجتمع هى وظيفة تكاملية Integrative ، بمعنى المدى الذى يعبر فيه نسق التدرج الطبقى الناجم عن أحكام المرتبة، عن تكامل المجتمع · أن لدى الناس ملكة الحكم Justice حينما يشعرون بأنهم على مراتب عليا أو دنيا عن طريق المستويات القيميـــة والأخلاقية وهذا الاحساس بالحكم عنصر هام فى تكامل المجتمع ، وبدون ذلك يتجه الناس الى الصراع وفقدان الشعور Apathatic من جانب ويفقد المجتمع تكامله من الجانب الآخر (١) ·

ولنسق التدرج الطبقى وظيفة وسيلية Instrumental وتوافقية Adaptive تكمنان فى بناء تمايز المرتبة ، بمعنى أن ثمة تسهيلات وجزاءات تبغى الوصول الى أنشطة تتفق مع قيم المجتمع · بالاضافة الى

---

(1) Barber, Bernard : Social Stratification. A Comparative Analysis of Structure & Process : N. Y., Harcourt, Brace & Com., 1957, P. 7.

وجود عقوبات لمن يخرج عنها • ان أعضاء المجتمع يقومون بأدوار اجتماعية متعددة لأنهم يشعرون بدرجات متفاوتـــة من الوعى (١) • ولقد بينت دراسات باك E. W. Bakke — عن العمال المتعطلين بالولايـــات المتحدة خلال عام ١٩٣٠ — ما يعرفه كل واحد عن عدم حصول العمال على جزاءات مادية عن طريق مهنة « وكذلك أوضحت تلك الدراسات تقدير الذات Self-Respect الذى لم يدركه أولئك العمال عن طريق تقويم الدور الوظيفى لهم (٢) •

وتختلف الوظائف المعوقة للتدرج الطبقى تبعا للسياق Context الذى تقارن من خلاله • فحينما يكون نسق التدرج الطبقى فى تجانس Harmony مع بعض أجزاء المجتمع ، يكون كذلك فى عدم تجانس الأجزاء من الأخرى • بمعنى أن نسق التدرج الطبقى فى أى مجتمع له وظيفة تكاملية من حيث المدى الذى يكون فيه التدرج تعبيرا عن بعض القيم العامة • ومن ناحية مقابلة فان نسق التدرج الطبقى يكون ذا أهمية وظيفية بالنسبة لبعض القيم ويكون ذا وظيفة معوقة بالنسبة لأخرها • ولذلك فعند دراسة نسق التدرج الطبقى ، ينبغى أن نتساءل عن مختلف أنساق القيم وحجم جماعات الأقلية والغالبية التى تعتنق أنساقا قيمية مختلفة • وكذلك نتساءل عن الانساق التى تعتبر ذات وظيفة ايجابية والانساق ذات الوظائف المعوقة ، ومعنى هذا ارتباط الوظيفة المعوقـــة للتدرج الطبقى بصراعات القيم أو تمايزاتها (٣) ويرى باربر أن التصور الوظيفى للتدرج الطبقى كمظهر كلى للمجتمع يمكن تقديمه ، ليس عن طريق التحليل الاستاتيكى فقط ، ولكن عن طريق التحليل الدينامى كذلك • والتركيز على وظائف التدرج الطبقى الايجابية والمعوقـــة على

---

(1) Ibid., PP. 7-8.

(2) Bakke, E. Wight, Citizens Without Work & the Unemployed Workers; Yale University press; 1940

وهناك دراسات أخرى مثل :

— Morse, Mancy C. & Weiss Robert S.; "The Function & Meaning of Work & the Job"; A.S.R.; Vol. 20, 1655, PP. 191-198.

(3) Baber, B., Op. Cit., PP. 9-10.

السواء ، يعنى التركيز على القوى الاجتماعية التى ينجم عنها اســـتقرار المجتمع أو عدم استقراره • فالمجتمع يتوقع الموازنة التى من خلالها يستمر التفاعل بين مختلف أقسامه • وهذا ما دعى باربر الى توضيح تغير أنساق التدرج الطبقى وكيفية ربط ذلك بأنواع التغير الاجتماعى الاخرى (١) • فما هو عدد الطبقات الموجودة فى نسق التدرج الطبقى ؟ وفى أى اتجاه وبأى معنى تنفصل كل طبقة عن الأخرى ؟ هذين السؤالين يوجههما باربر لتوضيح البناء الطبقى ، ويرى أن الاجابة تتوقف على طبيعة الأدوار ذات الوظيفة الاجتماعية بالاضافة الى محكات أخرى كامنة • حيث يتوقف التقسيم الطبقى الى حدما على هدف أيديولوجى عملى وعلمى (٢) • ويمكن تطبيق ذلك على المجتمع الامريكى حيث يوصف نسق التدرج الطبقى من الناحية العملية على أنه مكون من ثلاثة طبقات : عليا ووسطى ودنيا، أما من الناحية العملية فيستشهد باربر بالتقسيم السداسى الذى وضعه لويد وارنر • وهناك أهداف أيديولوجية توجه تحليل الطبقات الاجتماعية ومثال ذلك تصور الصراع بين الطبقات لدى ماركس كأساس للوجود الطبقى • ومن الدراسات التى أجريت حول هذا الموضوع دراسة كنجزلى دافيز عن سكان الهند وباكستان (٣) . ودراسة بيتــر روسى عن تحليل البناء والتـــدرج الطبقى (٤) . ودراسة تونج فاى عن البناء الاجتمـــاعى فى الصين (٥) . ودراسة مورتن فريد فى الصين أيضا (٦) ودراسة ثروب فى لندن فى

---

(1) Ibid., P. 12.
(2) Ibid., PP. 77-78.
(3) Davis; K.; the Population of India & Pakistan, Princeton University Press. 1951. Ch. 18.
(4) Rossi Peter H.; Latent Structnre Analysis and Research on Stratification, Unpubliched Doctoral Assertation, Columbial University, 1951.
(5) Fei, Hsiao — Tung; "Peasntry and Centry : an Interpretation of Chinese Social Structure and its Changes", A. J. R.; Vol. 512 1964. PP. 1-17.
(6) Fried; Horton H., Fabric of Chinese Society; N.Y., Frederick A. Preger, 1953.

العصور الوسطى (١) • ودراسة باربر عن البورجوازية فى فرنسا فى القرن الثامن عشر (٢) ودراسة الكس انجلز عن التدرج الطبقى والحراك الاجتماعى فى الاتحاد السوفيتى (٣) •

وينتهى باربر الى أنه يمكن النظر الى أى مجتمع بطرق ثلاثة على الأقل فأولا : يمكننا النظر الى بنائـــه Structure بمعنى أن ننظر الى الأنماط الدائمة والثابتة نسبيا للتفاعل الاجتماعى أو الثقافة التى يتكـــون منها ذلك البناء • وثانيا : يمكن النظر الى الارتباطات الوظيفيـــــة Functional Correlates بمعنى الاشكال الخاصة لاقسام المجتمـــع الاخرى التى ترتبط معا الى أدنى حد من التفكك الاجتماعى وثالثـــا : وأخيرا ، يمكننا أن ننظر الى عملياته Processes بمعنى أنماط السلوك التى تتضمن الثبات أو التغير النسبى داخل بعض الأبنية المختلفة • وهذا ما دعا باربر بعد أن اهتم بتوضيح مظاهر بناء التدرج الطبقى من حيث الشكل وفترة الوجود ونموذج التنظيم من جانب ، والعلاقات الوظيفيـــة كالمعرفة والجهل والايديولوجية والتأثير والشخصية والنشئة الاجتماعية المتأثرة بالتدرج من جانب آخر ، أن يهتم بالتركيز على نماذج الحركة من وضع اجتماعى معين الى وضع آخر حيث يوضح المعايير التى تتحكم فى احداث الحراك الاجتماعى (٤) • وهذا ما يجعلنا نضع باربر بين المؤيدين لنظرية التكامل فى دراسة التدرج الطبقى تارة ، وضمن المؤيدين للاتجاه الدينامى تارة أخرى • ذلك لأنه يحاول توضيح أبعـــاد التدرج الطبقى واتجاهات دراسته سواء من الوجهة الدينامية أو التكاملية ، رغم أنه يميل الى الاتجاه التكاملى •

---

(1) Thrupp; Sylyia L.; the Merchant Class of Medival London, 1300-1500; Universty of Chicago Press; 1948.
(2) Barber; Elinor G. the Bourgeoise in 18th Century France; Princton University Press; 1955.
(3) Inkeles, A.; "Stratification and Mobility in the Soviet Union" A. S. R.; Vol. 15, 1950; PP. 465-479.
(4) Barber, Op. Cit., PP. 339-342.

وعلى هذا فان الاتجاه البنائى — الوظيفى يحلل الطبقة ويفسرها من خلال نظرية التكامل بافتراض أن نسق التدرج الطبقى ينبغى أن يكون فى حالة استاتيكية تكاملية ، وأن الاجزاء المكونة له يجب أن تكون فى تفاعل وتضامن وتماسك ، للحفاظ على توازن النسق الاجتماعى بصفة عامة . ولذلك يتجه معظم رواد هذا الاتجاه الى التأكيد على الوظائف التى يؤديها نسق التدرج الطبقى فى المجتمع . ورغم أن دافيز ومور لم يركزا على الوظائف المعوقة للتدرج ، فان تيومين وبرنارد باربر يؤكدان على هذه الوظائف لما لها من أهمية فى تشكيل نسق التدرج الطبقى . حيث يمكن النظر الى أى مجتمع من خلال بنائه وعملياته والارتباطات الوظيفية بين الأجزاء المكونة له كما يذهب باربر مثلا . ويتضح كذلك التأكيد على العمليات الاجتماعية المرتبطة بالطبقة وذلك فى ضوء القيم السائدة فى كل مجتمع ، حيث أن تقويم الأعضاء هو الذى يشكل نسق التدرج الطبقى . ولقد اتخذ الاتجاه التقويمى مسارا آخر عند تحديد نسق التدرج ، ويتمثل هذا المسار فى الاتجاه التحليلى الذى يعتمد — بالاضافة الى التقويم — على النسق القرابى وأهميته فى تشكيل نسق التدرج الطبقى .

٣ — الصراع الطبقى فى ضوء نظرية الصراع :

قدم ماركس تفسيرا لظهور الطبقة الاجتماعية عندما عرض لتطور البورجوازية والبروليتاريا . ففى العصور الوسطى اتحد كل مواطن باقرانه ضد نبلاء الأرض ، كما أن اتساع نطاق التجارة ووسائل الاتصال أدى الى شعور مدن متجاورة بمصلحة متشابهة مهد لظهور طبقة مواطنى المدينة أو القرية Burghers التى مهدت بدورها لوجود الطبقة البورجوازية التى استوعبت كل الطبقات المالكة . فتحولت الملكية القديمة (للأرض) الى رأس مال صناعى أو تجارى ، وهذا فى الوقت الذى كون فيه غير الملاك طبقة أخرى شعرت بعداء مشترك ضد الطبقة المالكة . ثم أصبح لكل من الطبقتين وجودا مستقلا كل الاستقلال عن الأخرى تبعا للمصلحة المشتركة وظروف الحياة الخاصة (1) فالبورجوازية نتيجة

---

(1) Marx K. & F. Engles; The German Ideology; Moscow Progress pub. 1968 : PP. 69-70.

ويشير ماركس فى « البيان الشيوعى » الى أن المجتمع قد انقسم الى =

تطور سلسلة من الثورات فى أساليب الانتـــاج والتبادل . وكانت كل مرحلة من مراحل التطور التى مرت بها البورجوازية يقابلها ارتقاء سياسى تحرزه هذه الطبقة . فمنذ أن توطدت الصناعة الكبرى وتأسست السوق العالمية أستولت البورجوازية على السلطة السياسية فى الدولة ، فأصبحت الحكومة عبارة عن لجنة ادارية تدير الشئون العامة للطبقة البورجوازية (١) . هذا فضلا عن أن البورجوازية قد عملت على انحلال واندثار العلاقات الاجتماعية الراسخة ، وما يحيط بها من معتقدات وأفكار كانت على درجة من الاحترام والقداسة (٢) . وعلى أى حال فلقد أوضح البيان «الشيوعى» أن السمة الأساسية لأى تنظيم اجتماعى متمثلة فى الصراع الطبقى كما أن هذا الصراع لا يحفظ توازن النظام الاجتماعى الا فى الدولة اللاطبقية . ولقد كان هذا الاعلان تحطيما لليوتوبيا التقليدية ، حيث قامت معظم أعمال ماركس على أيديولوجية الصراع والثورة الطرعية ضد النظام القائم (٣) .

= طبقتين كبيرتين العداء بينهما مباشر — هما البورجوازية والبروليتاريـــا (ماركس وانجلز ، بيان الحزب الشيوعى الطبعة العربية مرجع سابق ، ص ٤٣) . . كما يذهب لينين الى أن الدولة تظهر حيثما يظهر انقسام المجتمع الى طبقات ، فتطور المجتمعات البشرية خلال ألوف السنين وفى جميع البلاد بلا استثناء ، يوضح لنا القانون العام للتطور . فلقد سيطرت العبودية تماما لألفى سنة مضت ، ثم تلاها الاقطاع ، ثم الرأسمالية . أن الدولة لم توجد قبل انقسام المجتمع الى طبقات ، وبمقدار ماينشأ هذا الانقسام ويتوطد ، بمقدار ما ينشأ المجتمع الطبقى ، تنشأ الدولة وتتوطد . أن الدولة أداة لحفظ سيادة طبقة على أخرى (لينين ، الدولة ، محاضرة ألقيت بجامعـــة سفير دلوف عام ١٩١٩ ، الترجمة العربية — موسكو ، دار التقدم ، ١٩٦٧ ، ص ١١ — ١٥) .

(١) ماركس وانجلز ، بيان الحزب الشيوعى ، مرجع سابق ، ص ٤٣ — ٥١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٤٤ .

(3) Hodges, H.M; Social Stratificatioon, Cambridge, Schen- ... kman pub. Com. 1964, P. 45.

وفى هذا يذهب بارسونز الى أن « البيان الشيوعى » تعبير عن القضية =

واذا كان ماركس وانجلز يوضحان الصراع الطبقى من خلال تطور ونمو البورجوازية ، فانهما يوضحانه كذلك فى ضوء تطور البروليتاريا. فلقد ظهرت محاولات ارتباط العمال المبكرة فى شكل اتحادات عمالية تدافع عن المصالح المشتركة بينها ، وتحول التنافس الذى أثارته البورجوازية الى تنافس عام ضد الرأسمالية . حيث يتخذ التطور طابعه السياسى عن طريق الاتحادات العمالية . ومن ثم لا يكتفى العمال بتوجيه ضرباتهم الى علاقات الانتاج البورجوازية ، بل الى أدوات الانتاج ذاتها . ذلك لأن البروليتاريا لا تستطيع الاستيلاء على قوى الانتاج الا بهدم أسلوب الملكية الخاصة ، وهذا لايتأتى الا اذا حطمت جميع الطبقات المتراكب بعضها فوق بعض والتى تؤلف المجتمع التقليدى (١) . وحينئذ تكرس هذه الطبقة كل جهودها لبلوغ أهدافها الطبقية ، وما يلزم ذلك من

= النظرية العامة للماركسية ، حيث بين كل من ماركس وانجلز خيطا هاما لتطور العلم الاجتماعى أكثر من التأكيد على الجانب الايديولوجى للاشتراكية العلمية .

(See Parsons T.; Essays in Sociological Theory : Glencoe, III : the Free Press 1954, P. 323).

كما أثارت هذه الفكرة عددا من الاعتراضات مؤداها أن هذه المحاولة تعسفية لتفسير مجرى الحوادث الانسانية . ويبدو أن ماركس وانجلز قد ذهبا الى أقصى طرف فى تفسيرهما للتاريخ استجابة لمطالب النضال السياسى والاجتماعى فى عصرهما . ومع ذلك يقول بعض المعلقين على النظرية الماركسية ، أنه لولا هذا التطرف لما كان من الممكن أن يصادفها القبول والنجاح الذى لاقته ولا تزال تلاقيه حتى الآن . (دكتور محمد عاطف غيث ، علم الاجتماع ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٣ ، ٤٣١) .

(١) ماركس وانجلز ، بيان الحزب الشيوعى ، مرجع سابق ، ص ٥٣ ـ ٥٨ . وكذلك

Marx, K.; The Poverty of Philosophy; Op. Cit.; P. 150.

أفكار ونظم تواجه من يقفون فى سبيل تقدمها (١) ٠ وهذا يؤدى الى اتصال أعضاء كل طبقة بعضهم بالبعض وتضامنهم فى داخل تنظيم سياسى واحد (٢) ٠ ولم ينظر ماركس الى عداء العمال للطبقة الرأسمالية والنظام الاقتصادى السائد باعتباره حصيلة الصراع من أجل امتيازات اقتصادية، بل أكد على النتائج البشرية التى تصاحب الانتاج الآلى القائم فى ظل الرأسمالية ، وما ينجم عنها من علاقات تحرم العامل من فرص الاشباع

---

(١) ماركس وانجلز ، بيان الحزب الشيوعى ، مرجع سابق،ص٠٤٠ - ٤١ ٠ ويرى ماركس أن هذه الطبقة سوف تصبح طبقة حاكمة Ruling Class حيث يختلف دورها ، وتتحول من طبقة تناضل من أجل التقدم الى طبقة تقف فى وجهه ، بل وتقاوم أية محاولة تسعى لتغيير تنظيم المجتمع اقتصاديا واجتماعيا ٠ فتاريخ كل مجتمع لم يكن سوى تاريخ الصراع بين الطبقات (المرجع السابق س ٤١) وبذلك تصبح أفكار ومعتقدات هذه الطبقة تحكمية ، اذ لم يعد لديها حاجة لتطوير أفكارها من جانب وما ينجم عن تقسيم العمل من خلق جماعات ذات أيديولوجيا خاصة ومصالح محددة من جانب آخر ٠

(Zeitlin, I. M.; Ideology & the Development of Sociological Theory; New Delhi; Prentice-Hall of India Private Limited; 1969, PP. 101-102.

(٢) ولكى نلخص وجهة نظر ماركس فى اتصال أعضاء الطبقة الواحدة ، نورد رأيه فى المزارعين الفرنسيين الذين يتشابه وضعهم الاجتماعى الذى يشغلونه فى البناء الاقتصادى ٠ منعزلة احداها عن الأخرى وليس ثمة اتصال موضوعى بينها ٠ بينما يوجد هذا الأساس لدى عمال الصناعة الذين يتمركزون فى المدن الصناعية الكبرى وتضعهم ظروف انتاج المصنع فى اتصال طبيعى تلقائى .(Bendix & Lipset, Op. Cit., P. 34). فالظروف الاقتصادية وسيطرة رأس المال تخلقان من السكان طبقة لها مصلحة عامة وموقفا عاما ٠ وعلى هذا الاساس يمكن التمييز بين الطبقة فى حد ذاتها In Itself والطبقة لذاتها for Itself ، ويوضح هذا التمييز الفرق بين الصراع الواقعى Realistic وغير الواقعى Non Realistic (Goser, L. A., Continuities in the Study of Social Confict, New York, The Free Press 1967, P. 33).

النفسى . فتقسيم العمل فى الصناعة الحديثة جعل من الكائنات البشرية مجرد أذيال Appendages أو تروس للآلة ويعتقد ماركس أن اغتراب العمل Alination ناجم عن الرأسمالية كما أنه سبب فى الحرمان النفسى الذى قد يقود فى نهاية الأمر الى ثورة للبروليتاريا . وهنا يقابل ماركس بين العامل الصناعى الحديث وبين الحرفى فى العصور الوسطى، حيث يلاحظ أنه فى ظل ظروف الانتاج الحديثة يفقد العامل كل فرصة فى تصنيع منتجاته عن طريق معرفته وخبرته وارادته . ويبدو هـــذا الحرمان النفسى ــ لدى ماركس ــ على أنه أكثر أهمية من العوز الاقتصادى للعمال (١) .

وعلى هذا فان المادية التاريخية لاتنكر الجـــــانب السوسيولوجى والايديولوجى للحياة الاجتماعية ، ولكنها ترفض أن ترى فيه فقط العامل الأساسى أو التعبير الصادق عن الحقيقة الاجتماعية . كما أن علم الاجتماع الماركسى على تصور المصالح الطبقية والصراع الطبقى . حيث يتوجـــــه تحليل ماركس للتطور التاريخى للمجتمعات الى الطرق التى بها تتشكل العلاقات بين الناس عن طريق أوضاعهم النسبية فى عملية الانتاج ، وكيف تتحول المصالح الفردية الى مصالح جماعية يمكن التنبؤ بها (٢) .

ولقد تبع الكثير من علماء الاجتماع وجهة النظر الماركسية ــ اللينينية فى دراسة الصراع الطبقى ، بالاضافة الى الاسهامات التى قاموا بها فى هذا الاتجاه ومن أمثال هؤلاء العلماء دجيلاز Djilas وشـــومبيتر وبورنهام Burnham وكرونر Croner ورينر Renner ومن هذه الاسهامات ما ذهب اليه جيجر من أن البناءات الطبقية فقدت خاصية السيطرة . كما ذهب كل من دروكر ومايو Druker and Mayo الى أن التطور الاجتماعى الحديث يتضمن فكرة الثورة .

ويرى داهرندورف أنه رغم أن كل عالم اجتمـــاع يحاول ــــ منـــذ ماركس ــ أن يجد مدخلا جديدا لدراسة الصراع ، فلم يستطع أحد أن

---

(1) Bendix and Lipset. Op. Cit., PP. 32-33.
(2) Coser, Op. Cit., P. 137.

يذهب الى ما قال بـه ماركس • وقد يرجع ذلك أن بعض هؤلاء العلمـاء لم يتجاوز أبعد مما ذهب اليه ماركس من أفكار ، وقد يرجع ذلك أيضا الى أن بعضهم حاول تحليل الصراع الاجتماعى على أنه ظاهرة بنائيـــة • ورغم ذلك فقد أسهمت نظريات هؤلاء العلماء فى فهم الصراع الاجتماعى وخاصة فى المجتمع الرأسمالى (١) • وسوف نعرض لاتجاهـــات بعض هؤلاء العلماء عند حديثنا عن تطور نظرية الصراع •

والذى يمكن استخلاصه من الاتجاه الماركسى فى تفسير الصراع الطبقى امكانية تفسير التطور الاجتماعى والتاريخى فى ضوء ظهور الطبقات من جانب ، والنظر الى الوجود الطبقى باعتباره ناجما عن الصراع من جانب مقابل • كما يمكن الوقوف على أسباب الصراع الطبقى من خلال وجهـــة النظر الماركسية • وتتمثل هذه الأسباب فى السيطرة على وسائل الانتاج، والتقدم الصناعى والفنى ، وتقسيم العمل فى الصناعة الحديثة الذى حرم العامل من فرص الاشباع النفسى وجعل منه مجرد ترسـا فى آلـــة ، الوصول الى ارتقاء سياسى معين ، ولهذا يمكن أن تسهم دراسة الصراع الطبقى فى القاء مزيد من الضوء على التدرج الطبقى كموضوع من جانب، كما يمكن تحليل التدرج فى ضوء نظرية الصراع من جانب آخر •

الطبقة الاجتماعية وانحراف الأحداث (دراسة ميدانية) :

يتزايد الاهتمام بدراسة الاحداث المنحرفين والمشردين على السواء ، وكيفية ايجاد أنسب الطرق لحمايتهم من الانحراف ، ومعالجتهم بعد أن يودعوا فى مؤسسة الايداع • وخاصة بعد أن تحولت النظرة اليهم من مجرد كونهم مجرمين صغار ، الى أنهم مرضى اجتماعيا يحتاجون الى علاج وتوجيه وتقويم •

لهذا فرق المشرع بين الحدث المنحرف الذى يرتكب جرائم (مخالفات أو جنح أو جنايات) يعاقب عليها القانون الجنائى ، وبين الحدث المشرد الذى لم يرتكب جريمة ، وانما أتى بفعل مخالف لما يفعله قرناؤه فى نفس

(1) Dahrendorf, Class and Class Conflict in Industrial Society, California, 1959, P. 115.

عمره ، مثل جمع أعقاب السجائر أو مخالطة الاشرار أو المروق ٠٠ أو غير ذلك من حالات التشرد ٠

ولقد أجرى العديد من الدراسات التى تدور حول انحراف الاحداث وتشردهم الا أنه لم توجد بين هذه الدراسات دراسة واحدة حاولت ان تربط بين هذه الظاهرة وبين الطبقة الاجتماعية التى هى موضوع تخصصنا واهتمامنا ٠

ومن هنا جاءت فكرة الاجابة على مجموعة من التساؤلات التى تدور حول الحدث المنحرف أو المشرد ، والطبقة الاجتماعية التى تنتمى اليهـــا أسرته ٠ ومدى ارتباط الوضع الطبقى بنوع الانحراف أو التشرد ، ومدى اختلاف الطبقات بعضها عن بعض فى مسائل محـــددة بالذات وترتبط بانحراف الصغار ٠

بالاضافة الى هذا الهدف ، تحاول الدراسة الراهنة ان تضع مقياسا أودليلا يتحدد فى ضوئه الوضع الطبقى للاسرة التى خرج منها الحدث المنحرف أو المشرد ٠ ويمكن ان يضم هذا الدليل الى مجموعة الادلة التى وضعتها فى دراساتى عن الدكتوراه أو البحوث المرتبطة بالطبقاتالاجتماعية فى مصر ٠ اذ أننى قد أدخلت على الدليل المستخدم مع دراسة الانحراف لدى الصغار ، مجموعة من التعديلات التى اتضحت من خلال الواقع الاجتماعى والاقتصادى الذى تعيشه مجموعة الاسر التى تفرخ للانحراف أو التشرد ٠

أولا : أبعاد الدراسة ومنهجها :

تحاول الدراسة المسحية الميدانية الراهنة تحديد الوضـــع الطبقى لمجموعات مقارنة من الاحداث المودعين ببعض مؤسسات الايداع بمدينـــة الاسكندرية ، فى ضوء دليل الوضع الطبقى ٠ كما تركز الدراســـة على توضيح مدى ارتباط الطبقة الاجتماعية التى تنتمى اليهـــا أسرة الحدث بموضوعات تتعلق بسن الحدث ، والمهنة السابقة له قبل ايداعة المؤسسة، ومستوى تعليمه وترتيبه بين أخوته ، والامراض التى قد أصيب بها فى صغرة وتدخل كعامل جسمانى فيزيقى فى انحرافه ٠ كذلك تحـــاول الدراسة ايجاد مدى ارتباط الطبقة الاجتماعية بنوع الاتهام الموجه الى الحدث أو نوعية التهمة التى بسببها أودع فى المؤسسة وهل هناك ارتباط

بين الطبقة وبين عود الحدث الى الانحراف ، أو اعتياده على الاجرام ؟ ٠

ولما كان للمسكن والجوار أثرهما فى تحديد الوضع الطبقى وفى الانحراف أيضا ، كان علينا محاولة توضيح الارتباط بين الطبقة الاجتماعية وعدد حجرات المسكن ونوع الاضاءة ، ومدى استقلال الاسرة بمسكن واحد أو اشتراكها مع غيرها من الاسر فى نفس المسكن اذ قد يؤثر ذلك على انحراف الصغير ٠

كذلك الحال بالنسبة الى الظروف الاسرية ، مثل مهنة الوالد وتعليمه وعمل الام وزواجها بغير الاب الشرعى للحدث،ودخل الاسرة ومدى كفايته٠ اذ قد ترتبط هذه الظروف الاسرية بنوع الانحراف ، كما أنها تدخل فى تحديد الوضع الطبقى ٠ ولهذا نحاول توضيح مدى ارتباط تلك الظروف بالطبقة الاجتماعية التى ينتمى اليها الحدث ٠

بالاضافة الى المسائل السابقة ، تحاول الدراسة الراهنة الاجابة على أسئلة أخرى مثل :

أ - هل هناك ارتباط بين سن الحدث ووجه الاتهام فى كل طبقة اجتماعية ؟ ٠

ب - هل هناك ارتباط بين تعليم الحدث ووجه الاتهام فى كل طبقة اجتماعية ؟ ٠

جـ - هل هناك ارتباط بين المهنة السابقة للحدث ووجه الاتهام فى كل طبقة اجتماعية ؟ ٠

د - هل هناك ارتباط بين ترتيب الحدث بين اخوته ووجه الاتهام فى كل طبقة اجتماعية ؟ ٠

هـ - هل هناك ارتباط بين مهنة الوالد ووجه اتهام الابن فى كل طبقة اجتماعية ؟ ٠

و - هل هناك ارتباط بين تعليم الوالد ووجه اتهام الابن فى كل طبقة اجتماعية ؟ ٠

ز - هل هناك ارتباط بين زواج الام بآخر ووجه اتهام الابن فى كل طبقة اجتماعية ؟ ٠

ح - هل تؤثر طبيعة المسكن على نوع التهمة الموجهة الى الحدث ؟ ٠

ط ـ هل هناك ارتباط بين تعليم الحدث واعتياده على الانحراف فى كل طبقة ؟ ٠

ى ـ هل هناك ارتباط بين المهنة السابقة للحدث واعتياده على الانحراف فى كل طبقة ؟ ٠

ك ـ هل هناك ارتباط بين ترتيب الحدث بين اخوته واعتياده على الانحراف فى كل طبقة ؟ ٠

ل ـ هل هناك ارتباط بين دخل الاسرة ووجه اتهام الحدث فى كل طبقة؟ ٠

م ـ هل هناك ارتباط بين وجه اتهام للحدث وبين التهمة السابقة ؟ ٠

★ العينة والتوقيت :

هذه الدراسة عبارة عن مسح شامل لجميع المودعين بمؤسسة أحداث محرم بك والمنشية الجديدة ودار التربية الاجتماعية بمحرم بك ، اذ تشمل كل من المؤسستين الاولتين (٧٠) سبعون حدثا مودعا ، بينما تشمل المؤسسة الاخيرة (٥٠) خمسون حدثا ٠ وتتميز المؤسسة الاخيرة بأن المودعين فيها من الاحداث شديدى الانحراف وان كان بعضهم من حالات التشرد ٠ الا أنهم معتادى التشرد أو الانحراف وهذا لايعنى أن المؤسستين الاولتين تضمان حالات التشرد فقط ، وان كان البحث معنونا (بمؤسسات مدينة الاسكندرية) فان البحث الميدانى قد أجرى فقط على هذه المؤسسات الثلاث خلال شهر ابريل من عام ١٩٧٦ م ٠

★ منهج البحث وأدوات جمع البيانات :

استخدم فى هذه الدراسة المنهج الوصفى وخاصة ان طبيعة البحث ترتبط بطريقة المسح الاجتماعى للتعرف على ملامح جناح الاحداث وارتباطها بالطبقة الاجتماعية ٠ كما استخدم المنهج المقارن وذلك لطبيعة البحث ـ أيضا ـ حيث أن ثمة مقارنة بين ثلاث مؤسسات أو مجتمعات للبحث واستخدم أيضا المنهج التحليلى لتوضيح بعض المسائل التى قد لاتوضحها طبيعة الارقام المتحصل عليها من خلال الدراسة اذ أن هذه الارقام الاحصائية تتضمن تفسيرات كيفية،يجب على الباحث أن يوضحها ويفسرها. فالارقام تصور الواقع والتحليل يبين كيفية وجود الواقع على هذا النحو دون غيره ٠

أما عن أدوات جمع البيانات فقد وضعت استمارة للبحث تضمنت مجموعة من الاسئلة وفقا لبنود الدراسة ، وقد استخدمت المقابلة الفردية مع حالات الدراسة لاستيفاء هذه الاداة ٠ الا أنه قد تم اجراء اختبار مبدئى للاستمارة ، تحددت فى ضوئه متغيرات الاسئلة ، وأعيد ترتيب الاسئلة وفقا لسياق المقابلة ، كما أعيدت بعض صياغات الاسئلة لتتناسب مع طبيعة لغة الحدث موضوع الدراسة ، وقد يتضح هذا من خلال مجموعـــــات المتغيرات ، حيث حذفت المتغيرات التى لم تنل أية استجابة من المبحوثين(١) ٠ وقد شملت استمارة البحث ما يلى من موضوعات :

١ - بيانات عن الحدث :

أ - العمر ٠

ب - المهنة السابقة قبل الايداع ٠

جـ - ترتيب الحدث بين اخوته ٠

د - تعليم الحدث ٠

هـ - الامراض التى أصيب بها الحدث قبل الايداع ٠

٢ - ظروف الاتهام :

أ - طبيعة الاتهام ٠

ب - الاتهام السابق (العود والاعتياد) ٠

٣ - المسكن :

أ - عدد حجرات المسكن ٠

ب - نوعية الاضـــاءة ٠

جـ - نوعية المسكن (مستقل أو مشترك) ٠

٤ - الاسرة :

أ - مهنة الوالد .

ب - تعليم الوالد ٠

جـ - عمل الام ٠

د - زواج الام بآخر .

هـ - دخل الاسرة

و - مدى كفاية الدخل ٠

---

(١) يرجع فى ذلك الى الملحق المرفق الخاص باستمارة البحث ٠

ثانيا : دليل الوضع الطبقى :

اعتمادا على المقياس الذى خرجنا به من دراســـتنا فى الدكتوراة والخاص بتحديد الوضع الطبقى فى ضوء الدخل والتعليم والمهنة ، نحاول أن نضع دليلا أكثر ملاءمة مع طبيعة جمهور البحث الراهن ، بحيث نقوم بتعديل بعض البنود الفرعية داخل كل متغير ، مع الحفاظ على الخط العام للمقياس • واضافة «المسكن» كمتغير جديد لما له من أثر فى طبيعـــة الموضوع الذى نحن بصدد دراسته • وقد قمنا بهذا التعديل على أساس عدد من الدراسات السابقة التى أكدت على أهمية المتغير الجديد المضاف الى المقياس الحالى بالاضافة الى العوامل الاقتصادية والمهنية والتعليمية •

ففى الدراسة الشهيرة عن « المتاون Elmtown » يعتمـــد هولنجسهيد وريدلش على منطقة الاقامة والمهنة والتعليم كمتغيرات لتحديد الوضع الطبقى (١) • بينما يعتمد ساريولا على مجموعة من العوامل منها درجة التعليم والمهنة وعدد حجرات المسكن وبعض مزايا المسكن مثل وجود الكهرباء والمياه الجارية والممتلكات التكنولوجية كالـــراديو والتليفزيون ، واجمالى الدخل ومتوسط دخل الفرد •• وغير (٢) ويحدد ميرز وشيفرز الطبقات الاجتماعية عن طريق الثروة والمستوى التعليمى والمنزلـــة الاجتماعية والمهنة ومنطقة السكنى (٣) •

ويعتمد هتزلر على محل الاقامة وثروة الاسرة والتأثير الشـــخصى والدخل والوضع الاسرى والمنزلة المهنية وحالة المسكن والتعليم ، كمعايير طبقية ، رغم أن المبحوث هو الذى يعطى لنفسه الدرجة التى يراها (٤) •

---

(1) Hollingshead A. B. & F. C. Redlich; "Social Stratification and Psychiatric Disorders; A. S. R.; Vol. 18, 1953, PP. 163-169.

(2) Sariola S.; "Defining Social Class in two Finish Communities; inter. Socio. Associ, Vol. II, PP. 108-116.

(3) Myers. K. & Leslie Schaffers; "Social Stratification and Psychiatric Practice : A study of an Out-patient Clinic"; A. S. R., Vol. 19, 1954. P. 308.

(4) Hetzler S. A.; An Ivestigation of the Distinatireness of Social Class"; A.S.R.; Vol. 18. 1953; PP. 493-497.

واذا كان شابين Chapin قد وضع مقياسه على أســـــاس مستلزمات الحياة وظروفها ، واعتمد على « التحليل العاملى » حيث انتهى الى أهمية الدخل والممتلكات المادية والتعليم والمشاركة فى الانشطـــة الاجتماعية (١) فلنا أن نستخرج من هذا المقياس بعض المعايير الطبقيـة الهامة التى تتلاءم مع طبيعة مجتمعنا ٠ على أننا ننظر الى المشاركة فى الانشطة الاجتماعية على أنها عملية تمارس من خلال المهنة أولا ، ثم من خلال الانضمام الى المؤسسات السياسية والاجتماعية المؤثرة فى المجتمع٠

وعلى هذا ، يمكن تحديد درجات معايير المقياس الذى فى ضوئه تتحدد الطبقة الاجتماعية لاسرة الحدث المنحرف أو المشرد على النحو التالى :

(١) دخل الاسرة	٤٠ درجة
(٢) مهنة الوالد	٢٠ درجة
(٣) تعليم الوالد	٢٠ درجة
(٤) عمل الام	٥ درجات
(٥) نوع المسكن	٥ درجات
(٦) عدد حجرات المسكن	٥ درجات
(٧) طبيعة الاضاءة	٥ درجات

ويقاس البند الاول على النحو التالى :

(١) فئة الدخل أقل من ١٠ جنيهات شهريا	٥ درجات
(٢) ١٠ ـ ٢٠	١٠ درجات
(٣) ٢٠ ـ ٣٠	٢٠ درجة
(٤) ٣٠ ـ ٤٠	٣٠ درجة

(١) أنظر كتابنا بالاشتراك مع د. عبد البـاســط محمد عبد المعطى وعلى عبد الرازق جلبى فى المدخل الى علم الاجتماع المعاصر ، الفصل العاشر، ص ٢٤٣ وما بعدها ٠

(٥) ٤٠ جنيه فأكثر	٤٠ درجة
(٦) لايعرف	٥ درجات (أقل درجات المقياس)
(٧) لم يبين	٥ درجات (أقل درجات المقياس)

وتتوزع درجات البند الثانى الخاص بمهنة الوالد على هذا النحو :

(١) موظف	١٢ درجة
(٢) عامل صناعى	٨ درجات
(٣) تاجر أو بائع صاحب محل	٨ درجات
(٤) مزارع	٤ درجات
(٥) جندى أو مجند	٤ درجات
(٦) حرفى	٨ درجات
(٧) أعمال حرة	٨ درجات
(٨) بالمعاش	٤ درجات (أقل درجات المقياس)
(٩) متوفى	٤ درجات (أقل درجات المقياس)
(١٠) لايعمل (عاطل)	صــــفر
(١١) يعمل بالجريمة	صــــفر

والملاحظة أن الفئة الاخيرة تضم بائعى المخدرات والسارقين والخارجين على القانون ومن اليهم ٠ وهذه ليست مهن وانما ضرب من النشاط ينبذه المجتمع ولايقدره ، ولذلك فليس لهذه الفئة أية درجة في مقياس المكانة الاجتماعية وخاصة اننا اعتمدنا فى تحديد الدرجات السابقة للمقياس المهنى على الدراسة الميدانية التى اجريناها فى بحث الدكتوراه مع الاحتفاظ بالنسب والمعدلات لكل فئة وتتوزع درجات البند الثالث المرتبط بتعليم الاب كما يلى :

(١) أمى	صــــفر
(٢) يقرأ ويكتب	٣ درجات
(٣) ابتدائى	٦ درجات
(٤) اعدادى	٩ درجات

(٥) ثانوى ١٢ درجة
(٦) جامعى ١٦ درجة

وقد احتسبت الدرجة فى هذا المقياس التعليمى على أساس سنوات التحصيل الدراسى • بينما توزعت الدرجات الخاصة بعمل الام على النحو التالى :

(١) موظفة ٥ درجات
(٢) عاملة ٣ درجات
(٣) خادمة ٣ درجات
(٤) متوفية ١ درجة واحدة (أقل درجات المقياس مع الاحتفاظ بالنسب)
(٥) لاتعمل صـــفر

أما نوع المسكن فتتوزع درجاته على هذا النحو :

(١) مستقل ٥ درجات (٢) مشترك صـــفر
وتتوزع الدرجات التالية على المتغير الخاص بعدد حجرات المسكن :

(١) حجرة واحدة ٢ درجتان
(٢) حجرتين ٣ درجات
(٣) ثلاث حجرات ٤ درجات
(٤) اربعة فاكثر ٥ درجات

أما الدرجات الخاصة باضاءة المسكن فتوزع على النحو التالى :
(١) كهرباء ٥ درجات (٢) كيروسين صـــفر
وعلى هذا ، تحددت ١٠٠ مائة درجة لدليل الوضع الطبقى وضعناه فى فئات طول كل فئة عشرين درجة على هذا النحو :
(١) من يقعون فى الطبقة العليا وهم الذين يصل مجموع درجاتهم فى الدليل من ٨٠ الى الدرجة النهائية •
(٢) من يقعون فى الطبقة بين العليا والوسطى ويحصلون على درجات لا تقل عن ٦٠ درجة ولاتزيد عن ٨٠ درجة •

(٣) من يقعون فى الطبقة الوسطى بحيث لا نقل درجاتهم عن ٤٠ درجة ولا تزيد عن ٦٠ درجة ٠
(٤) من يقعون فى الطبقة بين الوسطى والدنيا وهم الذين يصل مجموع درجاتهم من عشرين درجة ولا تصل الى الاربعين ٠
(٥) من يقعون فى الطبقة الدنيا وهم الذين لم يصلوا الى ٢٠ درجة فى دليل الوضع الطبقى ٠

ولقد أوضحت الدراسة المسحية الميدانية أن الطبقة العليا لا وجود لها بين أسر جمهور البحث ، بينما توزعت هذه الاسر على بقية الطبقات وان كان الاتجاه العام يميل الى أن حوالى ثلاثة أرباع أسر العينات الثلاث تقع فى الطبقة بين الوسطى والدنيا ، يلى ذلك من يقعون فى الطبقة الوسطى ، ثم الطبقة الدنيا ٠ وتأتى قلة من الاسر فى الطبقة بين العليا والوسطى باستثناء مؤسسة محرم بك التى تخلو من هذه الطبقة تماما ٠

ولتصوير البناء الطبقى لأسر المودعين بمؤسسات الدراسة يتضح — كما سبقت الاشارة — أن ٧٤٪ من أعضاء المؤسسة الاولى تقع أسرهم فى الطبقة بين الوسطى والدنيا ، يلى ذلك من يقعون فى الطبقة الوسطى (بنسبة ١٨٪) ، وتتساوى معدلات من يقعون فى الطبقة بين العليا والوسطى وفى الطبقة الدنيا على السواء (اذ تبلغ ٤٪ من مجموع حالات هذه المؤسسة) ٠

كما يتضح أن مؤسسة محرم بك تخلو من الطبقتين الاولى والثانية، وأن غالبية الاحداث المودعين بها تقع أسرهم فى الطبقة بين الوسطى والدنيا (بنسبة٤٣ر٨١٪) يلى ذلك من يقعون فى الطبقة الوسطى (بنسبة ١٠٪) واخيرا اعضاء الطبقة الدنيا (بنسبة ٥٧ر٨٪ من مجموع حالات المؤسسة سالفة الذكر) ٠

أما المؤسسة الاخيرة (المنشية الجديدة) فان حوالى ثلاث أرباع حالات البحث (بنسبة ٢٨ر٧٤٪) تقع أسرهم — أيضا — فى الطبقة بين الوسطى والدنيا ، يلى ذلك من يقعون فى الطبقة الوسطى (بنسبة ١٤ر١٧٪) ، وتتساوى معدلات من يقعون فى الطبقتين بين العليا والوسطى والطبقة الدنيا (بنسبة ٢٩ر٤٪ لكل منهما) ٠ وهذه البيانات — جميعها —

توضح أن البناء الطبقى لاسر الاحداث المودعين بمؤسسات الدراسة الثلاث ، متشابهة ، اذ ترتفع معدلات الطبقة بين الوسطى والدنيا ، تليها معدلات الطبقة الوسطى . ومن الملاحظ كذلك ان غالبية أسر جمهور البحث _ ككل _ تقع فى الطبقة الوسطى فما دونها اذ تصل المعدلات الى أكثر من ٩٥٪ من الحالات .

ثالثا : الطبقة الاجتماعية وبيانات أساسية عن الحدث :

نحاول فى هذا البند توضيح مدى ارتباط الطبقة الاجتماعية بمجموعة من المتغيرات المتعلقة بالحدث نفسه مثل سنه ومستوى تعليمة والمهنة السابقة له قبل ايداعه ، وترتيبه بين الابناء من جانب . ومن الجانب المقابل محاولة ايضاح مدى الارتباط بين هذه المتغيرات وبين وجه اتهام الحدث أو تكراره للانحراف فى الطبقة الوسطى والطبقة بين الوسطى والدنيا ، والطبقة الدنيا على اعتبار أن الطبقة بين العليا والوسطى توجد فى مؤسستين فقط ولا توجد فى المؤسسات الثلاث . وذلك كمحاولة لايجاد اجابة عن الاسئلة المتعلقة بوجود علاقة بين سن الحدث ونوع التهمة الموجهة اليه مثلا ، وغيرها من أسئلة على شاكلة ما أوضحناه .

١ _ توضح البيانات العلاقة بين الوضع الطبقى للاسر التى ينتمى اليها الاحداث وبين سن الحدث (١) فى المؤسسة الاولى (شديدى الانحراف) ، اذ يتضح أن نصف أعضاء الطبقة بين العليا والوسطى يقعون فى فئة العمر ١٤ _ ١٦ سنه، بينما يقع النصف الاخرفى الفئة(١٨ _ ٢٠) . ويقع أكثر من نصف أعضاء الطبقة الوسطى (بنسبة ٥٥ر٥٦٪) فى الفئة (١٤ _ ١٦) يليهم من يقعون فى الفئة التالية ١٦ _ ١٨ سنة (بنسبة ٣٣ر٣٣٪) وأخيرا من يقعون فى الفئة ١٨ _ ٢٠ سنة (بنسبة ١١ر١١٪) . أما الطبقة بين الوسطى والدنيا فتزداد معدلات من يقعون

---

(١) يحدد القانون رقم ٢ لسنة ١٩٠٨ الحدث بأنه من لم يبلغ من العمر خمس عشرة سنة كاملة . ثم تعدل هذا القانون ، ليحدد القانون رقم ٧١ لسنة ١٩٧٤ ، الحدث بأنه من لم تجاوز سنه ثمانى عشرة سنةميلادية كاملة وقت ارتكاب الجريمة أو عند وجوده فى احدى حالات التعرض للانحراف (المادة الاولى) .

فى الفئة١٦-١٨ سنة (بنسبة ٨٤ر٣٧٪) يليهم من يقعون فى الفئة ١٤ - ١٦ سنة (بنسبة ٠٣ر٢٧٪) ثم من يقعون فى الفئة ١٨-٢٠سنة (بنسبة ٣٢ر٢٤٪) يلى ذلك من يقعون فى الفئة ١٢ - ١٤ سنة (بنسبة ١١ر٨٪) وأخيرا من يقعون فى فئة العمر الاخيرة « ٢٠ الى الحد القانونى » (بنسبة ٧ر٢٪) • والملاحظ أن الفئة الاخيرة لم ينص عليها فى المادة الاولى من القانون السابق الاشارة اليه ، الا أن الفترة من ١٨ الى ٢١ سنة تعتبر فترة انتقالية من الممكن أن يودع خلالها الشاب دارا للايداع • وفى الغالب فان الحالات التى تقع فى هذه الفترة من معتادى الانحراف •

والملاحظ عموما أن معظم حالات البحث ككل تقع فى الفئة من ١٤ الى ١٨ سنة (بنسبة ٦٤٪) يلى ذلك من يقعون فى الفئة ١٨ - ٢٠ ثم الفئة ١٢ - ١٤ وأخيرا الفئة ٢٠ الى السن القانونية وهذا يتفق مع توزيع معدلات مختلف الطبقات فى هذه المؤسسة •

واذا حاولنا ملاحظة بيانات مؤسسة محرم بك ، فان البيانات توضح أن جميع الحالات لم تصل الى أكثر من ١٦ سنة ، وربما يرجع ذلك الى طبيعة هذه المؤسسة حيث لاتضم بين المودعين فيها أحداثا ممن يطلق عليهم شديدى الانحراف أو معتادى الاجرام والتشرد •

ويقع أكثر من نصف أعضاء الطبقة الوسطى فى فئة العمر « ١٢ - ١٤ سنة » (بنسبة ١٤ر٥٧٪) يليهم من يقعون فى الفئة « أقل من ١٢ سنة » (بنسبة ٥٧ر٢٨٪) ثم من يقعون فى الفئة « ١٤ - ١٦ سنة » (بنسبة ٢٩ر١٤٪) •وتكاد تتشابه النتيجة السابقة مع ما توصلنا اليه فى الطبقة بين الوسطى والدنيا ، اذ يقع ٤٢ر٦٨٪ من مجموع أعضائها فى الفئة ١٢ - ١٤ سنة، يلى ذلك من يقعون فى الفئة « أقل من ١٢ سنة » بنسبة ٥٦ر٢٤٪ ، ثم من يقعون فى الفئة « ١٤ - ١٦ سنة » (بنسبة ٠٢ر٧٪) أما أعضاء الطبقة الدنيا فيتقاسمون الفئتين الاولى والثانية من فئات العمر •

وتدلنا البيانات على نفس التوزيع الخاص بالاعمار والطبقة فى مؤسسة المنشية الجديدة ، اذ يتضح أن جميع أعضاء الطبقة بين العليا والوسطى والطبقة الوسطى والطبقة الدنيا يقعون فى فئة العمر « ١٤ -

١٦ سنة » بينما يقع أكثر من ثلثى أعضاء الطبقة بين الوسطى والدنيا (بنسبة ٢٣ر٦٩٪) فى نفس الفئة السابقة ، يلى ذلــك من يقعون فى الفئة ١٢ ـ ١٤ سنة (بنسبة ٣١ر١٧٪) ثم من يقعون فى الفئة من ٢٠ سنة الى السن القانونى (بنسبة ٤٦ر١٣٪) ·

والملاحظ على البيانات السابقة والخاصة بسن الاحداث المنحرفين أو المشردين فى المؤسسات الثلاث ، أن متوسط السن يأخذ معـــدلا عاليا فى المؤسسة الاولى (شديدى الانحراف) اذ يبلغ ٦ر١٦ سنه ، يلى ذلك متوسط السن فى مؤسسة المنشية الجديدة ويبلغ ٣٤ر١٥ سنة ، وأخيرا مؤسسة محرم بك ويبلغ ٦ر١٢ سنة · وهذا يتفق مع خصائص هذه المؤسسات الوحيدة (شبة المغلقة) بمدينة الاسكندرية ·

وفيما يرتبط بمتغير العمر ، نحاول أن نوجد علاقة ارتباطه بوجه اتهام الحدث ، وذلك لاعضاء النماذج الثلاثة على السواء ، ولكن فى ثلاث طبقات تشترك فى وجودها نماذج الدراسة · فجرائم السرقة مثلا ـ فى الطبقة الوسطى ـ يتزايد معدلها فى فئة العمر ١٤ـ١٦ سنة اذ تبلغ ٣٣ر٧٣٪ من مجموع حالات السرقة ، وكذلك الحال بالنسبة للطبقة بين الوسطى والدنيا اذ تصل الى ٠٧ر٣٦٪ من مجموع حالات السرقة بهذه الطبقة ، وتكاد تتفق نفس النتيجة فى الطبقة الدنيا اذ يصل المعدل فى نفس فئة العمر ونفس وجه الاتهام ٨٦ر٤٢٪ · هذا وتتضاءل معدلات السرقة لدى من يقعون فى فئات العمر الاقل من الفئة السابقة أو الاعلى منها على السواء· وفيما يتعلق بالتشرد فان حالات الطبقة الوسطى جميعا تقـــع فى نفس الفئة العمرية السالف الاشارة اليها ، بينما تأخذ هذه الفئة أعلى معدلات التشرد بالطبقة بين الوسطى والدنيا (بنسبة ٠٧ر٢٣٪) بعد الفئـــة ١٢ ـ ١٤ سنة التى تحوز نصف المعدلات ، يلى ذلــك من هم أقـــل من ١٢ سنة ، ثم تتعادل المعدلات كلما ارتفع السن فى الطبقة بين الوسطى والدنيا وتحصل جرائم المخدرات على ثلثى أعضاء الطبقة الوسطى فى الفئة العمرية ١٤ ـ ١٦ سنة ، بينما تقع جميع حالات المخدرات فى نفس الفئة العمرية بالطبقة بين الوسطى والدنيا · كذلك يتزايد معدل حالات المروق فى الفئة ١٢ـ١٤ سنة (بنسبة ١٢ر٤٤٪) تليها الفئة ١٤ـ١٦ سنة (بنسبة ٣٥ر٣٢ ٪) ثم الفئة أقل من ١٢ سنة (بنسبة ٧١ر١٤٪) من أعضاء الطبقة بين الوسطى والدنيا · ويقع ثلثى المارقين من أعضاء الطبقة

الدنيا فى فئة العمر (أقل من ١٢ سنة) بينما يقع الثلث الآخر من الفئة ١٢ ــ ١٤ سنة فى نفس الطبقة • بينما يتوزع المارقون من أعضاء الطبقة الوسطى توزيعا متساويا بين الفئات العمرية الثلاث الاول والفئـــــة الخامسة •

والملاحظ عموما أن السرقة تتزايد معدلاتها بين أعضاء الطبقة بين الوسطى والدنيا ، وكذلك التشرد والمروق والتسول ، وقد يرجع ذلك الى كبر حجم هذه الطبقة بين الأحداث المنحرفين أو المشردين • بينمـــا الجناية الوحيدة التى ارتكبت (القتل) كان الحدث من أبناء الطبقـــة الوسطى ويقع عمره فى الفئة ١٤ ــ ١٦ سنة • والملاحظ أيضا أن فئـــة العمر ١٤ ــ ١٦ سنة هى أخصب فترات العمر انحرافـــا وتشردا على السواء • وهذا يتفق مع متوسطات السن التى خرجنا بهـــا من تحليل البيانات بالسن والطبقة الاجتماعية •

٢ ــ واذا انتقلنا الى تعليم الحدث ، فان البيانات توضح ذلك موزعا على مختلف الطبقات بالمؤسسة الأولى • حيث تدل البيانات أن أعضـــاء الطبقة بين العليا والوسطى يتقاسمون المعدلات الأميين وبين الذين يقرأون ويكتبون ، وكذلك أعضاء الطبقة الدنيا بين فئة من يقرأ ويكتب وفئة من حصل على مؤهل ابتدائى • بينما توضح البيانات أن أكثر من نصـــف أعضاء الطبقة الوسطى (بنسبة ٥٦ر٥٥٪) قد حصلوا على مؤهل ابتدائى، يلى ذلك ثلث أعضاء الطبقة من الذين يقرأون ويكتبون ،بينما ١١ر١١٪ منهم لا يعرفون القراءة أو الكتابة • وفى الطبقة بين الوسطى والدنيا ، نجد أن أكثر من نصف أعضائها وصلوا الى المرحلة الابتدائية (بنسبة ٠٧ر٥٤٪) يلى ذلك الاميون (بنســـبة ٣٢ر٢٤٪) ثم الذين يقرأون ويكتبون (بنسبة ٩١ر١٨٪) وأخيرا من حصلوا على مؤهل اعـــدادى (بنسبة ٧ر٢٪ من مجموع أعضاء هذه الطبقة) • وهذه البيانات عموما لا توضح اى ارتباط بين تعليم الحدث وبين الطبقة التى ينتمى اليها •

وفى مؤسسة محرم بك لا يوجد أحد من أعضائها قد حصل على مؤهل اعدادى على السواءفى كل الطبقات• بينما تتزايد معدلات من يقرأون ويكتبون فى الطبقات الثلاث الوسطى ، ووسطى الدنيا ، والدنيا (بنسب

٥٧ر١٤٪ — ٧٠ر١٨٪ — ٦٦ر٦٧٪ على التوالى) يلى ذلك من يقعون فى فئة الأميين (بنسبة ٢٨ر٥٧٪ - ٢٤ر٥٦٪ - ٣٣ر٣٣٪ فى الطبقات الثلاث على التوالى) • وتتزايد نسبة الحاصلين على مؤهل ابتدائى فى الطبقة الوسطى (بنسبة ١٤ر٢٩٪) عنها فى الطبقة بين الوسطى والدنيا اذ تبلغ ٥ر٢٦٪ من أعضاء الطبقة ولا يوجد أحد من أعضاء الطبقة الدنيا فى هذه الفئة • وربما تعطى هذه الفئة الاخيرة - فقط - مؤشرا يربط بين التعليم والطبقة بمعنى أنه كلما ارتقت الطبقة كلما زاد معدل الحاصلين على مؤهل ابتدائى من أعضاء نفس الطبقة •

أما المؤسسة الاخيرة (المنشية الجديدة) فتوضح البيانات أنـــه لاتوجد حالة قد حصلت على مؤهل ابتدائى ، بينما يتزايد معدل الحاصلين على مؤهل اعدادى بانخفاض الطبقة اذ تبلغ النسبة ٣٣ر٣٣٪ من مجموع أعضاء الطبقة الدنيا وتبلغ ٨٥ر٣٪ من مجموع أعضاء الطبقة بين الوسطى والدنيا،ولم يحصل أى من أعضاء الطبقة الوسطى أو وسطى العليا على المؤهل الاعدادى • وتتباين النتائج فيما يتعلق بالذين يقرأون ويكتبون اذ تبلـــغ معدلات هذه الفئة فى الطبقة بين العليا والوسطى ٦٦ر٦٧٪ وفى الطبقة الوسطى ٣٣ر٣٣٪ وترجع المعدلات الى الزيادة فى الطبقة بين الوسطى والدنيا اذ تصل الى ٤٠ر٣٨٪ من مجموع أعضائها • وفيما يتعلق بالاميين تبدوا نفس النتائج أيضا،اذ تبلغ المعدلات فى الطبقة بين العليا والوسطى والدنيا لتصل الى ٥٥ر٧٧٪ ثم تتزايد فى الطبقة الدنيا لتصـــــل الى ٦٦ر٦٧٪ •

وعموما فليس ثمة اتجاه ثابت لارتباط التعليم بالطبقة الاجتماعية التى ينتمى اليها الحدث • وهذه النتائج تؤكد على صلاحية دليل الوضع الطبقى الذى أخذ فى اعتباره تعليم الاب وليس تعليم الحدث نفســـه كأحد بنود المقياس الطبقى •

الا أن نظرة شاملة فى نتائج المؤسسات الثلاث لتوضح لنا ازدياد نسبة الأميين فى المؤسسة الأخيرة عنها فى الثانية عنهـــا فى الأولى • وازدياد نسبة الذين يقرأون ويكتبون فى المؤسسة الثانية عنها فى الثالثة عنها فى الأولى • ورغم هذا لا يتضح لنا ارتباطا ايجابيا أو سلبيا بين الطبقة وتعليم الحدث •

ولنحاول توضيح مدى الارتباط بين تعليم الحدث ووجه الاتهام الموجه اليه فى كل من الطبقات الوسطى ووسطى الدنيا والدنيا • وتوضح البيانات أن الذين ضبطوا فى حالات السرقة ويقعون ضمن أعضاء الطبقة الوسطى ، ترتفع معدلات الذين يقرأون ويكتبون منهم (بنسبة٦٦ر٤٦٪) وتتعادل معدلات الاميين أو الذين حصلوا على مؤهل ابتدائى (بنسبة ٦٧ر٢٦٪ لكل منهما) • بينما تقع حالة التشرد وحالة القتل من أعضاء هذه الطبقة فى فئة الاميين• أما حالات المخدرات والتسول فان ثلثى الاعضاء يقعون فى فئة الاميين ، ويقع الثلث الآخر فى فئة الذين يقرأون ويكتبون• ويتقاسم المارقون فئتى الذين يقرأون ويكتبون والذين حصلوا على مؤهل ابتدائى •

وفيما يتعلق بأعضاء الطبقة بين الوسطى والدنيا فان جرائم السرقة توضح انخفاض معدل مرتكبيها كلما ارتقى المستوى التعليمى ، وكذلك الحال بالنسبة لحالات التشرد ، على العكس من حالات المخدرات والتسول التى تتزايد نسبتها كلما ارتقى المستوى التعليمى للحدث • بينما تتأرجح معدلات الزيادة والنقصان فيما يرتبط بالمارقين اذ تقع أعلى المعدلات فى فئة الذين يقرأون ويكتبون يلى ذلك الاميون فالحاصلون على مؤهل ابتدائى وأخيرا الحاصلون على مؤهل اعدادى ، وتكاد تتفق النتائج مع أعضاء الطبقة الدنيا فيما يتعلق بالسارقين اذ ينخفض معدلهم بارتقاء المستوى التعليمى • ومعنى هذا أن (السرقة) - فقط - كوجه اتهام ينخفض معدل مرتكبيها كلما ارتقى الوضع التعليمى فى الطبقتين وسطى الدنيا والدنيا •

أما اذا حاولنا توضيح مدى ارتباط تعليم الحدث وتكرار الانحراف أو التشرد فاننا سوف نسأل عن تهمة سابقة ارتكبها • ففى الطبقة الوسطى يقع ثلاثة ارباع الذين اعتادوا التشرد فى فئة الاميين ، ويقع الربع الأخير فى فئة الحاصلين على مؤهل ابتدائى متساوية (بنسبة ٣٧ر٣٦٪ لكل منهما) بينما ينخفض المعدل فيمن يقرأون ويكتبون (بنسبة ٢٧ر٢٧٪) ومعنى هذا أن بيانات اعضاء الطبقة الوسطى لاتعطى مؤشرا للارتباط بين مستوى تعليم الحدث وتكراره للانحراف كذلك الحال بالنسبة للطبقة بين الوسطى والدنيا اذ تتساوى معدلات الذين تعودوا

السرقة بين الاميين والحاصلين على مؤهل ابتدائى (بنسبة ٩ر٣٥٪ لكل منهما) يلى ذلك معدل الذين يقرأون ويكتبون (بنسبة ٦٤ر٢٥٪) ثم الحاصلون على مؤهل اعدادى (بنسبة ٥٦ر٢٪) • وفيما يتعلق بحالات تكرار التشرد فان ثلاثة أرباع هذه الفئة لم تتعلم أبدا ، بينما يقع الربع الأخير فى فئة الحاصلين على مؤهل ابتدائى • وتوضح البيانات أن نصف الذين تعودوا المروق يقرأون ويكتبون يلى ذلك الاميون المارقون (بنسبة ٣٣ر٣٣٪) ثم الحاصلون على مؤهل اعدادى (بنسبة ١١ر١١٪) فالحاصلون على مؤهل ابتدائى (بنسبة ٥٦ر٥٪) ويقع أكثر من نصف معتادى التسول (بنسبة ١٤ر٥٧٪) فى فئة الذين يقرأون ويكتبون ، ويقع الباقى فى فئة الاميين •

وهكذا لاتوضح البيانات ارتباط المستوى التعليمى للحدث بتكراره للانحراف ومما يؤكد ذلك بيانات الطبقة الدنيا ، اذ يتقاسم السارقون فئة الاميين والذين حصلوا على مؤهل ابتدائى • ويتقاسم المارقون فئة الحاصلين على مؤهل اعدادى وفئة الذين يقرأون ويكتبون •

٣ - ونحاول الان دراسة المهنة السابقة للحدث قبل ايداعه فى المؤسسة ، وربط المهنة بالطبقة الاجتماعية التى تنتمى اليها أسرة الحدث من جانب ، وتوضيح مدى ارتباطها بوجه الاتهام وبتكرار الجناح فى مختلف الطبقات من جانب آخر •

وتوضح البيانات العلاقة بين الطبقة الاجتماعية وبين المهنة السابقة للحدث ، اذ يتضح أن أعضاء الطبقة بين العليا والوسطى جميعا كانوا يعملون بالاعمال الحرة وذلك فى مؤسسة شديدى الانحراف • بينما يقع أكثر من نصف أعضاء الطبقة الوسطى بنفس المؤسسة (بنسبة ٥٦ر٥٥٪) فى نفس فئة المهنة السابقة ، وكذلك حوالى ثلثى أعضاء الطبقة بين الوسطى والدنيا (بنسبة ١٦ر٦٢٪) ونصف أعضاء الطبقة الدنيا • وهذا يعنى أن البيانات لاتوضح أية علاقة بين الطبقة وبين من كانوا يقومون بالاعمال الحرة قبل الايداع • أما فيما يتعلق بمن كانوا يعملون بالصناعة فان نسبتهم تتناقص بانخفاض المستوى الطبقى وان كانت هناك طبقتين لاتوجد فيهما حالات من هذا النوع ، اذ تبلغ نسبة العاملين

بالصناعة فى الطبقة الوسطى ١١ر١١٪ وتبلغ فى الطبقة بين الوسـطى والدنيا ٨١ر١٠٪ ٠

وتوضح البيانات عدم وجود علاقة بين الطبقة وبين من لا يعملون قبل الايداع اذ يصل معدل هذه الفئة فى الطبقة الوسطى ٢٢ر٢٢٪ ، ثم يتناقص المعدل ليصل الى ٢٢ر١٦٪ فى الطبقة بين الوسطى والدنيا ، ثم يتزايد المعدل ليصل الى ٥٠٪ من اعضاء الطبقة الدنيا . أما من كانـوا يعملون (بمحل) فان نسبتهم فى الطبقة الوسطى ١١ر١١٪ وفى الطبقة بين الوسطى والدنيا ١١ر٨٪ وهذا يعنى ان فئة المهن هذه تتشابه مع فئة عمال الصناعة ٠

وعموما فان النسبة الغالبة من أعضاء هذا النموذج كانوا يعملون بالأعمال الحرة،وهذا واضح فى مختلف الطبقات ، يلى ذلك من كانوا بغير عمل ، ثم عمال الصناعة فالذين يعملون فى محال ٠ وتتناقص النتائج السابقة مع بيانات المؤسسة الثانية (محرم بك) اذ ترتفع معدلات الباعة الجائلين قبل الايداع (بنسبة ٤٣ر٤١٪ من مجموع حالات الدراسة ككل) يليهم من كانوا يعملون بمحل (بنسبة ٢٨ر٢٤٪) ثم من كانوا بغير عمل (بنسبة ١٤ر١٧٪) فالذين كانوا يقومون بأعمال حرة (بنسبـة ٢٩ر١٤٪) واخيرا عمال الصناعة (بنسبة ٨٦ر٢٪) ٠

والملاحظ من هاتين النتيجتين الخاصتين بالمؤسستين السابقتين أن من تعودوا الانحراف أو التشرد ، لم يحددوا عملا معينا فيقومون) بأعمال حرة) اذ تبلغ معدلات هذه الفئة فى مؤسسة شديدى الانحراف ٦٢٪ من مجموع حالات الدراسة ، على حين أن من قال بنفس الفئة المهنية من المؤسسة الاخرى ٢٩ر١٤٪ فقط من مجموع الحالات ، وهذا يعنى أن متكررى الانحراف يبتعدون عن ذكر المهنة السابقة لانهم - حقيقة - يعملون بالانحراف وحتى قبل الايداع ٠ وهذا أيضا يتفق مع نتائـج المؤسسة الثالثة اذ كان اغلبية المودعين بها يعملون بالصناعة ٤٢ر٦١٪ يليهم عمال الخدمات (بنسبة ٨٦ر١٢٪) ٠ الا أن مجموعة من المودعين بهذه المؤسسة قد أكدت انها كانت تعمل (بالتسول) (بنسبة ٨٦ر١٢٪ وهى نفس المجموعة تقريبا - التى تكرر انحرافها ٠

وتوضح البيانات العلاقة بين الطبقة الاجتماعية والمهنة السابقة للحدث قبل الايداع بمؤسسة محرم بك ، اذ لاتدل البيانات عن ارتباط هذين المتغيرين الا فيمن كانوا يعملون بمحل حيث تتناقص معدلاتهم كلما انخفض المستوى الطبقى • أما من كانوا يعملون كبائعين جائلين ومن لم يسبق لهم العمل فكانت المعدلات بين الزيادة والنقصان دون ايضاح لارتباط معين بين المهنة والطبقة • ففى الفئة الاخيرة – مثلا – ترتفع معدلات أعضاء الطبقة بين الوسطى والدنيا (بنسبة ٤٣ر٨٥٪) ، يلى ذلك معدلات أعضاء الطبقة الدنيا من نفس الفئة المهنية (بنسبة ٣٣ر٣٣٪) ثم من يقعون فى الطبقة الوسطى (بنسبة ٢٨ر٥٧٪) •

أما المؤسسة الثالثة ، فتوضح البيانات ارتباط الطبقة بفئة المتسولين اذ ترتفع معدلات هذه الفئة كلما انخفض المستوى الطبقى • وكذلك ترتفع معدلات من لم يعملوا قبل الايداع كلما ارتفع المستوى الطبقى • وليس ثمة دلالات أخرى فى هذه المؤسسة • اذ أن أعلى معدلات من كانوا يعملون بالصناعة متساوية فى الطبقة عليا الوسطى والطبقة الوسطى والطبقة الدنيا (بنسبة ٦٦ر٦٧٪ من مجموع أعضاء كل طبقة على حدة) بينما تقل المعدلات الى حد ما (بنسبة ٥٩ر٦٢٪) فى الطبقة بين الوسطى والدنيا • وفيما يتعلق بالباعة الجائلين فتوضح البيانات أن أعلى معدل لهذه الفئة يقع فى الطبقة بين الوسطى والدنيا ، يلى ذلك من يقعون فى الطبقة الوسطى ،ولا توجد حالات لهذه الفئة المهنية فى الطبقتين عليا الوسطى أو الدنيا على السواء • وتكاد تنطبق نفس النتيجة على فئة عمال الخدمات •

واذا تعمقنا العلاقة بين المهنة السابقة للحدث قبل الايداع ووجه الاتهام فاننا نلاحظ أن الذين تم القبض عليهم بتهمة السرقة من أبناء الطبقة الوسطى فى النماذج الثلاثة ككل ، تتساوى معدلاتهم بين عمال الصناعة والذين كانوا يقومون بأعمال حرة (بنسبة ٢٦ر٦٧٪ لكل منهما) يلى ذلك من لم يكن له عمل (بنسبة ٢٠٪) ثم فئة الباعة الجائلين (بنسبة ١٣ر٣٣٪) وأخيرا تصل أقل المعدلات فى فئة التسول والذين يعملون بمحل (بنسبة ٦ر٦٦٪ لكل منهما من مجموع حالات السرقة) • واذا تعمقنا نفس وجه الاتهام بالطبقة بين الوسطى والدنيا ، فاننا نلاحظ

ارتفاع معدلات من كانوا يعملون بأعمال حرة (بنسبة ٣٦٫٠٧٪) يليهم عمال الصناعة (بنسبة ٢٧٫٨٧٪) وتتساوى معدلات المتسولين والذين كانوا يعملون بمحل ومن كانوا بغير عمل (بنسبة ٤٫١٩٪).والملاحظ أن فئة واخيرا تأتى فئة عمال الخدمات (بنسبة ٤٫٩٢٪) • والملاحظ أن فئة « الاعمال الحرة » تحوز أعلى معدلات السرقة بين الاحداث• ومما يؤكــد ذلك نتائج الطبقة الدنيا ، اذ يصل معدل هذه الفئة ٤٢٫٨٥٪ ، تليها فئة عمال الصناعة (بنسبة ٢٨٫٥٧٪) ، وتتساوى فئة المتسولين ومن كانوا بلاعمل (بنسبة ١٤٫٢٩٪) • وهذا يؤكد تصدر فئة « الاعمال الحرة » « عمال الصناعة » فيما يتعلق بتهمة السرقة •

وبالرجوع الى الطبقة الوسطى، نجد أن جميع حالات التشرد والقتل تقع فى فئة عمال الصناعة ، بينما يقع ثلثى الذين تم القبض عليهم فى حالات مخدرات فى هذه الفئة المهنية ، ويقع الثلث الاخر فى فئة الذين كانـــوا يعملون بمحل • ، أما حالات المروق من الطبقة الوسطى فقد كان نصفهم من غير العاملين قبل الايداع ، بينما كان الربع يعمل بالصناعة ، والربع الآخر بالاعمال الحرة • كذلك حالات التسول حيث تتساوى معدلات من كانوا يعملون بالخدمات أو الباعة الجائلين أو بمحل أو بدون عمل (بنسبة ٢٥٪ لكل فئة) •

وفيما يتعلق بالطبقة بين الوسطى والدنيا ، فان أعلى معدلات حالات التشرد تقع فى فئة الباعة الجائلين ، تليها عمال الصناعة ، ثم من كانوا يعملون بمحل أو كانوا بلا عمل ، ، فالذين قالوا بأنهم كـــانوا يعملون بأعمال حرة ،وأخيرا فئتى عمال الخدمات والمتسولين • أما أعلى معدلات حالات المخدرات من هذه الطبقة فهى تقع فى فئة عمال الصناعة (بنسبة ١٤٫٥٧٪) يليها عمال الخدمات للاعمال الحرة • وتقــع أعلى معدلات حالات المروق بنسبة (٤١٫١٧٪) فى فئة الباعة الجائلين يليها من يقعـــون فى فئة من كانوا يعملون بمحل (بنسبة ١٧٫٦٥٪) ثم عمـــال الصناعة ، فالذين كانوا بلاعمل ، ثم الذين كانوا يقومون بأعمال حرة ، فعمـــال الخدمات • ويقع ثلث حالات التسول فى فئة عمال الصناعة والباعـــة الجائلين على السواء ، بينما يقع ١١٫١١٪ منهم فى فئة الاعمال الحـــرة والذين كانوا يعملون بمحل والذين كانوا بلاعمل قبل الايداع •

أما أعضاء الطبقة الدنيا ، فان ثلثى حالات المروق كانت تعمل فى فئة الباعة الجائلين ، بينما يقع الثلث الآخر فى فئة من لايعملون ، وتقع حالات التسول جميعها فى فئة من كانوا يعملون بمحل . وهكذا فاننــا نخرج من تحليل هذه البيانات بمؤشرات فقط للفئة المهنية التى يرتفــع معدلها بالنسبة لكل اتهام وفقا للطبقة الاجتماعية .

أما اذا حاولنا ملاحظة الارتباط بين المهنة السابقـــة للحدث قبل الايداع وبين التهمة السابقة قبل الايداع ايضا ، فان أكثر من ثلث حالات السرقة كانت تعمل بالاعمال الحرة، يليها عمال الصناعة ومن كانوا بلاعمل على السواء ، ثم المتسولين والباعة الجائلين ومن كانوا يعملون بمحل . كذلك تتساوى حالات متكررى التشرد بين فئات المهن : عمال الصناعة ، والخدمات ، والاعمال الحرة ، وبلاعمل سابق . وذلك فى الطبقـــة الوسطى لجميع حالات الدراسة ككل .

على أن أعضاء الطبقة بين الوسطى والدنيا الذين تكررت السرقـة كوجه اتهام لهم ، يقع غالبيتهم فى فئة الأعمال الحرة (بنسبة ٤٣ر٥٩٪) يليهم من يقعون فى فئة عمال الصناعة (بنســـبة ٢٥ر٦٤٪) ثم من لا يعملون (بنسبة ١٥ر٣٩٪) ، وتتساوى معدلات من كـــانوا يعملون بمحل أو بالتسول (بنسبة ٥ر١٣٪) واخيرا تتساوى معدلات عمـــال الخدمات والباعة الجائلون (بنسبة ٢ر٥٦٪) .وتقع نصف حالات معتادى التشرد فى فئة عمال الصناعة بينما يقع النصف الآخر فى فئتى عمـــال الخدمات والاعمال الحرة . وتقع نصف حالات معتادى المروق فى فئـــة الباعة الجائلين ، بينما يقع ١٦ر٦٧٪ منهم فى فئة عمال الصناعة أو الاعمال الحرة وتوضح البيانات أن ١١ر١١٪ منهم كانوا بلاعمل قبـــل الايداع . ويقع أكثر من نصف حالات التسول (بنسبة ٥٧ر١٤٪) فى فئة الباعة الجائلين ، وتتوزع بقية الحالات توزيعا عادلا بين فئات عمال الصناعة ومن كانوا بلا عمل ومن كانوا يعملون بمحل .

أما أعضاء الطبقة الدنيا من نماذج الدراسة ككل ، فان حـــالات السرقة فيها تتوزع توزيعا عادلا بين فئة عمال الصناعة، وفئة من كانوا بلاعمل . بينما تتوزع حالات المروق توزيعا عادلا أيضا بين فئة عمال الصناعة وفئة الباعة الجائلين .

والملاحظ عموما على علاقات الارتباط أن فئات الانحراف وخاصة السرقة والتشرد تتزايد معدلاتها بين فئات المهن المرتبطة بعمال الصناعة والأعمال الحرة والباعة الجائلين على اختلاف طبقات النماذج · كما أن الذين لم يعتادوا الاجرام أو الانحراف يرتفع معدلهم فى فئتى عمال الصناعة والباعة الجائلين · وهذا لايعطينا الحق فى ايجاد ارتباط القوى بين الانحراف ـ عموما ـ وبين فئات المهن ·

٤ ـ واذا حاولنا توضيح أثر ترتيب الحدث بين أخوته على انحرافه وفقا لمختلف الطبقات فان البيانات توضح العلاقة بين الطبقة وبين ترتيب الحدث المنحرف أو المشرد فى مؤسسة شديدى الانحراف · والملاحظ عموما ارتفاع معدلات من كانوا يقعون وسطا بين أخوتهم حيث تقع جميع حالات الطبقة الدنيا ضمن هذه الفئة ويقع أكثر من نصف جمهور الطبقة الوسطى (نسبة ٥٥ر٥٦٪) فيها وكذلك نصف حالات الطبقة بين العليا والوسطى ، كما يقع ٤٣ر٢٤٪ من أعضاء الطبقة بين الوسطى والدنيا فى هذه الفئة · الا أن هذا لا يعنى أن ثمة ارتباط الى حد ما بين كون الحدث أول الاخوة أو أخيرها وبين الانحراف ، وهذا ماسوف تبينه علاقات الارتباط بين ترتيبه وبين وجه الاتهام وتكراره واسترجاع البيانات لاستكمال موقف الحالات الباقية ، فان النصف الاخر من أعضاء الطبقة بين العليا والوسطى كان ترتيبهم الاول بين الاخوة ، وفى نفس الفئة من الترتيب يقع ١١ر١١٪ من أعضاء الطبقة الوسطى ، ويقع ٦١ر٢٢٪ من أعضاء الطبقة بين الوسطى والدنيا ، وهذا لايعطى دلالة ارتباط ترتيب الابن الاول للاسرة بالطبقة الاجتماعية التى فرخت للجريمة أو التشرد · أما موقف الاحداث الذين كان ترتيبهم فى آخر ترتيب الاخوة فان نسبتهم تتناقص كلما انخفض المستوى الطبقى ، اذ تبلغ النسبة فى الطبقةالوسطى ٣٣ر٣٣٪ ، وتبلغ فى الطبقة بين الوسطى والدنيا ٧٣ر٢٩٪ ·

الا أن هذا لاينطبق على مؤسسة محرم بك ، اذ تتميز الطبقة الدنيا بأن نصف أعضائها يقعون فى فئة « الاول بين الاخوة » ويقع ٣٣ر٣٣٪ منهم فى فئة «الاخير» ، وتقع القلة ٦٧ر١٦٪ منهم فى فئة الوسط · أما أعضاء الطبقة بين الوسطى والدنيا ، فان أكثر من نصفهم(بنسبة١٥ر٥٦٪ منهم) يقعون فى فئة « الوسط بين الاخوة » فى حين تتساوى نسبة

من كان ترتيبهم الاول أو الاخير (بنسبة ٢١ر٠٥٪ لكل منهما) . وفى الطبقة الوسطى بنفس المؤسسة توضح البيانات تساوى معدلات من يقعون وسطا بين الاخوة أو يقعون فى آخر الترتيب اذ تبلغ نسبتهم ٤٢ر٨٥٪ لكل فئة منهما ، بينما يقع باقى أعضاء هذه الطبقة فى فئة « الأول » . وان كان لنا تعليق لهذا العرض ، فان البيانات توضح ارتباط ترتيب الابن - اذا كان أول الاخوة - بالطبقة الاجتماعية ، اذ يرتفع معدل الابناء الاول فى أسرهم كلما انخفض المستوى الطبقى وتعرضوا للانحراف أو التشرد فى هذه المؤسسة .

والمتعمق للبيانات يلاحظ عدم وجود ارتباط طردى أو سلبى بين ترتيب الحدث المنحرف أو المشرد وبين الطبقة فى مؤسسة المنشية الجديدة. اذ يقع الثلث الاخر فى فئة « الاول » ويقع الثلث الاخر فى فئة «الاخير». ويقع نصف أعضاء الطبقة الوسطى فى فئة « الاول » أيضا ، بينما يقع ٤١ر٦٧٪ منهم فى فئة « الوسط » ويقع ٨ر٣٣٪ فى فئة «الاخير» . وتأخذ الطبقة بين الوسطى والدنيا ترتيبا نازلا من فئة الاوسط الى الاخير الى الاول ، على العكس من الطبقة الدنيا .

واذا تعمقنا مدى ارتباط ترتيب الحدث بأوجه الاتهام ، لاتضح لنا أن جريمة السرقة ترتفع فى حالة الابن الوسط بالطبقة الوسطى الدنيا، بينما تتعادل نسبتها فى الطبقة الدنيا مع فئات الابن الاول . كما أن وجه الاتهام هذا (السرقة) يتعادل من حيث التوزيع التكرارى بالطبقة الوسطى فى فئة الابن الاول أو الاخير على السواء ، بينما ترتفع معدلاتها فى الطبقة بين الوسطى والدنيا بفئة الابن الاخير عنها بفئة الابن الاول ، وتحوز على أقل معدلاتها فى الابن الاخير بالطبقة الدنيا . وفيما يرتبط بحالات التشرد فانها جميعا تقع فى فئة الابن الاول بالطبقة الوسطى ، ويتزايد معدلها فى فئة الابن الاخير بالطبقة بين الوسطى والدنيا ، ويتعادل منسوبها فى حالة كون الابن وسطا أو أول الابناء فى الاسرة . أما حالات المخدرات ، فان ثلثى أعضاء الطبقة الوسطى ممن تم القبض عليهم بهذه التهمة كانوا وسطا بين اخوتهم ، بينما الثلث الاخر كان الاخير، وتتفق هذه النتيجة مع أعضاء الطبقة بين الوسطى والدنيا الذين لهم نفس نوع الاتهام . وفيما يتعلق بحالات المروق ، فان نصف هذه الحالات بالطبقة الوسطى كان وسطا بين

اخوته ، بينما ينقسم النصف الآخر على فئتى الاول والاخير • كمـــا أن نصف أعضاء الطبقة بين الوسطى والدنيا كانوا وسطا ، يليهم من كان ترتيبهم الاول ثم من كان ترتيبهم الاخير • الا أن حالات المروق من الطبقة الدنيا يقع ثلثيها فى فئة «الاخير» ويقع الثلث الاخر فى فئة «الاول» • كذلك الحال بالنسبة لحالات التسول ، اذ يقع نصف أعضاء الطبقـــة الوسطى بالفئة « وسط » وينقسم النصف الآخر بين الفئتين الاخيرتين • ويقع أكثر من نصف حالات التسول بالطبقة بين الوسطى والدنيا بفئة « وسط » بينما يقع ٣٣ر٣٣٪ منهم فى فئة الاخير ، ويقع ٥٦ر٥٪ فى فئة « الاول » • وتقع جميع حالات الطبقة الدنيا من حالات التسول فى فئة « الاول » • أما حالة القتل من الطبقة الوسطى فان ترتيبها كان الاول بين الاخوة •

أما فيما يتعلق بارتباط ترتيب الحدث بتكرار الاتهام ، فان قرابة نصف أعضاء الطبقة الوسطى الذين اعتادوا السرقة كانوا وســـطا بين أخوتهم (بنسبة ٤٦ر٤٥٪) يليهم من كان ترتيبهم « الاخير » ثم من كان ترتيبهم « الاول » وفى نفس الطبقة اتضح أن نصف حـــالات متكررى التشرد كان ترتيبهم « الاول » والنصف الاخر كان ترتيبهم الوسط • أما أعلى حالات تكرار السرقة بالطبقة بين الوسطى والدنيا فكانت وسطا بين الاخوة ، يليهم من كان ترتيبهم « الاخير » ثم من كان ترتيبهم «الاول »• وبالنسبة لحالات التشرد بنفس الطبقة ،فان نصف حالات التكرار كانت فى فئة « الاخير » ، بينما يقع النصف الاخر مناصفة بين الفئتين الاخريين• ويقع أكثر متكررى المروق فى الفئة « وسطا » بين الاخوة يليهم آخر الابناء ثم أولهم • وتتساوى معدلات التسول فى الفئتين « الاخير » و «الوسط » (بنسبة ٨٦ر٤٢٪ لكل منهما) يلى ذلك من يقعون فى فئـــــة « الاول » (بنسبة ٢٨ر١٤٪) • وفيما يتعلق بالطبقة الدنيا فتفيد البيانات أن حالات السرقة تقع مناصفة بين فئة « الاول » و « الوسط » بين الاخوة بينما تقع حالات المروق مناصفة بين فئة « الاول » و «الاخير» بينالاخوة•

ومما سبق يتضح أن هناك مؤشرا — الى حد ما — لارتباط كون الابن أولا أو أخيرا بين اخوته وبين ارتكابه للجريمة أو الانحراف أو التشرد ، ويتضح ذلك فى حالات السرقة بالذات •

٥ - وفيما يتعلق بالحالة الصحية للحدث فان البيانات توضح أن قلة منهم قد أصيبوا بأمراض قبل الايداع ، وذلك فى المؤسستين الاولى والاخيرة ، الا أن النتائج توضح غير ذلك بالنسبة لمؤسسة محرم بك . وعموما تزداد معدلات الامراض الباطنية لدى الذين قد أصيبوا قبل الايداع . ويتضح ذلك بالنسبة لمؤسسة شديدى الانحراف فالذين أصيبوا بأمراض باطنية ترتفع معدلاتهم فى الطبقة بين الوسطى والدنيا (بنسبة ١٨ر٩١٪) يلى ذلك من يقعون فى الطبقة الوسطى (بنسبة ١١ر١١٪) . وتوضح البيانات أن جميع حالات الامراض الصدرية بهذا النموذج تقع فى الطبقة بين الوسطى والدنيا وكذلك حالات السعال الديكى والامراض الجلدية . أما حالات الاصابة بالحمى فيرتفع معدل أعضاء الطبقة الوسطى الذين قد أصيبوا بها عن معدل ابناء الطبقة بين الوسطى والدنيا . والملاحظ عموما على نتائج هذا النموذج ارتفاع معدل المصابين بانخفاض المستوى الطبقى باستثناء الطبقة الدنيا التى لم يوضح أعضاءها اصابتهم بأى مرض .

وتؤكد البيانات المرتبطة بالعلاقة بين الوضع الطبقى والحالة الصحية للحدث قبل الايداع ، فى مؤسسة محرم بك ، أن غالبية أعضاء الطبقة الوسطى كانوا قد أصيبوا بأمراض باطنية ، يلى ذلك من لم يصابوا بامراض (بنسبة ٥٧ر٢٨٪) ثم تتساوى نسبتى من أصيبوا بأمراض جلدية أو بأمراض فى النظام (بنسبة ٢٩ر١٤٪ لكل منهما) . وفيما يتعلق بالطبقة بين الوسطى والدنيا فان معدل من لم يصابوا بأمراض يحتل مركز الصدارة (بنسبة ٣٥ر٤٠٪) يلى ذلك من أصيبوا بأمراض باطنية (بنسبة ٠٥ر٢١٪) ثم تتساوى نسب من أصيبوا بأمراض صدرية أو جلدية أو بأمراض القلب أو العظام (بنسبة ٥٥ر١٧٪ من أعضاء هذه الطبقة) . أما نصف أعضاء الطبقة الدنيا فقد أوضحوا أنهم كانوا مصابين بأمراض القلب ، يلى ذلك من أوضحوا اصابتهم بامراض باطنية (بنسبة ٣٣ر٣٣٪) ثم من أصيبوا بامراض جلدية (بنسبة ٦٧ر١٦٪) . والملاحظ عموما على جمهور هذه المؤسسة أن أكثر من ثلث اعضائها (بنسبة ٧١ر٣٥٪) لم يصابوا بأمراض محددة يلى ذلك من أصيبوا بالامراض الباطنية ، وهذا يتفق فقط مع جمهور الطبقة بين الوسطى

والدنيا ، الا أن الطبقتين الاخريين تختلفان مع النتيجة العامة للنموذج ٠

وإذا حاولنا ملاحظة البيانات المتعلقة بالموضوع السابق فى المؤسسة الثالثة (المنشية الجديدة) ، فيتضح أن جميع أعضاء الطبقة بين العليا والوسطى لم يصابوا بأمراض قبل الايداع ٠ بينما تتزايد معدلات هذه الفئة فى الطبقات الاخرى بالنموذج ، اذ تصل نسبة غير المصابين بالطبقة الوسطى الى ٣٤ر٨٣٪من مجموع أعضائها ، ثم تتساوى نسبتى من أصيبوا بامراض صدرية أو بسعال ديكى (بنسبة ٣٣ر٨٪ لكل منهما) فى هذه الطبقة ٠ ويقع ٨٥ر٥٣٪ من أعضاء الطبقة بين الوسطى والدنيا فى فئة غير المصابين ، يلى ذلك من أصيبوا بأمراض باطنية (بنسبة ١٥ر٢١٪) ثم بسعال ديكى (بنسبة ٣٨ر١٥٪) فالذين أصيبوا بامراض صدرية (بنسبة ٧٧ر٥٪) واخيرا أمراض العيون (بنسبة ٨٥ر٣٪)٠

أما ثلثى أعضاء الطبقة الدنيا فهم من غير المصابين بأمراض ، بينما الثلث الاخر يقع فى فئة الذين أصيبوا بأمراض صدرية ٠ والملاحظ عموما ارتفاع معدل غير المصابين فى هذا النموذج وهذا يتفق مع جميع طبقاته٠ يلى ذلك من أصيبوا بأمراض باطنية ، وهذا يتفق مع نتائج الطبقة بين الوسطى والدنيا فقط ٠

رابعا : الطبقة الاجتماعية وظروف الاتهام :

تفرق تشريعات الاحداث بين الاحداث المجرمين والاحداث المتشردين على اعتبار أنهما فئتين تتميز احداهما بارتكاب الجرائم ، وتتميز الفئة الثانية بأن أعضاءها يكونون فى حالات اجتماعية غير سوية معينة تعرضهم الى الانحراف أو الجناح ٠

وقد نص القانون رقم (٢) لعام ١٩٠٨ على أنه يعتبر الحدث ذكرا كان أو أنثى الذى لم يبلغ من العمر خمس عشرة سنة كاملة متشردا فى الاحوال الاتية :

- اذا تسول فى الطريق العام أو فى محل عمومى ٠
- اذا لم يكن له محل اقامة مستقر ولا وسائل للتعيش وكان أبواه متوفين أو محبوسين تنفيذا لاحكام صدرت عليهم بذلك ٠

— اذا كان سيء السلوك ومارقا من سلطة أبيه أو وصيه أو أمه اذا كان الاب متوفيا أو كان عديم الاهلية أو من ولى أمره ·

ولقد أضاف المشرع الى هذه الحالات فى القانون رقم ١٢٤لعام١٩٤٩ حالات جديدة هى : ممارسة جمع أعقاب السجائر أو غيرها من الفضلات أو المهملات ، والقيام بأعمال تتصل بالدعارة أو الفسق أو افساد الاخلاق أو القمار أو خدمة من يقومون بهذه الاعمال ومخالطة المشردين أو المشتبه فيهم أو الذين أشتهر عنهم سوء السيرة ·

وجاء القانون رقم ٣١ لسنة ٧٤ متمما وشاملا لانواع الانحراف لدى الصغار حيث تنص المادة الثانية منه على أن الخطورة الاجتماعية للحدث تتوافر اذا تعرض للانحراف فى أى من الحالات الاتية :

١ ـ اذا وجد متسولا ، ويعد من أعمال التسول عرض سلع أو خدمات تافهة أو القيام بألعاب بهلوانية أو غير ذلك مما لايصلح موردا جديا للعيش ·

٢ ـ اذا مارس جمع أعقاب السجاير أو غيرها من الفضلات أو المهملات ·

٣ ـ اذا قام بأعمال تتصل بالدعارة أو الفسق أو بافساد الاخلاق أو القمار أو المخدرات أو نحوها أو بخدمة من يقومون بها ·

٤ ـ اذا لم يكن له محل اقامة مستقر أو كان يبيت عادةفى الطرقات أو فى أماكن أخرى غير معدة للاقامة أو المبيت فيها ·

٥ ـ اذا خالط المعرضين للانحراف أو المشتبه فيهم أو الذين أشتهر عنهم سوء السيرة ·

٦ ـ اذا اعتاد الهروب من معاهد التعليم أو التدريب ·

٧ ـ اذا كان سيء السلوك ومارقا من سلطة أبيه أو وليه أو وصيه أو من سلطة أمه فى حالة وفاة وليه أو غيابه أو عدم أهليته ولا يجوز فى هذه الحالة اتخاذ أى اجراء قبل الحدث ولو كان من اجراءات الاستدلال الا بناء على اذن من أبيه أو وليه أو وصيه أو أمه حسب الاحوال ·

٨ ـ اذا لم يكن له وسيلة مشروعة للتعيش ولا عائل مؤتمن ·

وهكذا نستطيع التفرقة بين الحدث المجرم والحدث المشرد عند

تحليل البيانات التى حصلنا عليها من الدراسة المسحية ٠ اذ توضح البيانات أن هناك حالات وجهت اليها تهمة السرقة أو القتل ، ويمكن اعتبار هذه الحالات ضمن فئات الاجرام ، وهناك أيضـــا حالات للتشرد أو المخدرات أو المروق أو التسول ويمكن اعتبارها حالات للانحراف أو التشرد ٠

١ - توضح البيانات العلاقة بين الوضع الطبقى للاسرة ووجه الاتهام بمؤسسة شديدى الانحراف ، اذ يلاحظ أن جميع أعضاء الطبقة بين العليا والوسطى تم القبض عليهم فى حالات سرقة أو نشل ٠ وفى نفس فئة التهم يقع ٨٨ر٨٩٪ من أعضاء الطبقة الوسطى ، وكذلك ٨٣ر٧٨٪ من أعضاء الطبقة بين الوسطى والدنيا وجميع أعضـــاء الطبقة الدنيا ٠ وهكذا يتضح أن الغالبية العظمى من المودعين فى هذه المؤسسة من فئة الاحداث المجرمين أما فئة المشردين فـــان البيانات توضح أن ١١ر١١٪ من أعضـــاء الطبقة الوسطى من المارقين على سطة ذويهم وفى نفس الفئة يقع ١٠ر٨١٪ من أعضاء الطبقة بين الوسطى والدنيا بينما يقع ٥ر٤١٪ من أعضاء هـــذه الطبقة الأخيرة فى فئة التشرد ذاته ٠

ويمكن تبين النقطة السابقة بمؤسسة محرم بك حيث يتضح أن حالات التشرد أربعة أمثال حالات الاجرام المتمثلة فى السرقة بالطبقة الوسطى اذ تصل حالات السرقة بهذه الطبقة الى ١٤ر٢٩٪ بينما يزيد المعدل قليلا فى الطبقة بين الوسطى والدنيا (بنسبة ١٥ر٧٩٪) ويقع ثلث أعضاء الطبقة الدنيا فى هذه الفئة الاجرامية ٠ ومعنى هذا تزايد معدل الاجرام كلما انخفض المستوى الطبقى ٠ ويمكن أن ينطبق نفس القول بالنسبة لحالات المخدرات اذ يصل معدلها بالطبقة الوســـطى ٢٨ر٥٧٪ بينما تتزايد النسبة بالطبقة بين الوسطى والدنيا ويقع نصف أعضـــاء الطبقة الدنيا فى هذه الفئة من فئات التشرد ٠ الا أن الأمر يختلف فيما يتعلق بالتسول - كوجه للتشرد - اذ تبلغ أعلى المعدلات ٤٢ر٨٥٪ ويقع أعضاءها بالطبقة الوسطى ، يلى ذلك من يقعون بالطبقة بين الوســـطى والدنيا (بنسبة ٢٢ر٨١٪) وأخيرا أعضاء الطبقة الدنيا (بنسبة ١٦ر٦٧٪ من أعضائها) ٠

واذا تعمقنا البيانات المتحصل عليها من المؤسسة الثالثة يتضح لنا عكس النتيجة السابقة اذ تتزايد معدلات الاجرام – المتمثل فى السرقة والنشل – حيث يقع فى هذه الفئة الاجرامية جميع أعضاء الطبقة بين العليا والوسطى وجميع أعضاء الطبقة الدنيا ونصف أعضاء الطبقة الوسطى و ٣٨ر٤٠٪ من أعضاء الطبقة بين الوسطى والدنيا • وفيما يتعلق بحالات التشرد فلا توجد الا بالطبقتين الوسطى وبين الوسطى والدنيا ، حيث ترتفع معدلات التشرد – عامة – بين أعضاء الطبقة بين الوسطى والدنيا (بنسبة ١٥ر٢١٪ عنها بالطبقة الوسطى (بنسبة ٣٣ر٨٪) • وتنخفض حالات المخدرات بالطبقة وسطى الدنيا (بنسبة ٥٤ر١١٪) عنها بالطبقة الوسطى (بنسبة ٦٧ر١٦٪) • وتنخفض حالات المروق بالطبقة الوسطى (بنسبة ٣٤ر٨٪) عنها بالطبقة بين الوسطى والدنيا (بنسبة ٣١ر١٧٪) وترتفع معدلات التسول بالطبقة بين الوسطى والدنيا (بنسبة ٦٢ر٩٪) عنها بالطبقة الوسطى (بنسبة ٣٣ر٨٪) • ومعنى هذا أن نتائج مؤسسة المنشية الجديدة تؤكد نتائج مؤسسة محرم بك فيما يتعلق بالمروق فقط اذ تتزايد معدلاته كلما انخفض مستوى الطبقة .

٢ – ولنحاول وصف الانحراف أو الاجرام السابق للحدث المودع بالمؤسسات وقت اجراء الدراسة المسحية الراهنة • وتوضح البيانات العلاقة بين الوضع الطبقى لجمهور الدراسة والتهمة السابقة له ، اذ يتضح أن معدل الذين أودعوا بالمؤسسة بتهمة واحدة يتزايد بانخفاض المستوى الطبقى حيث يصل معدل الذين لم يرتكبوا جريمة سابقة ٦٢ر٢١٪ من مجموع أعضاء الطبقة بين الوسطى والدنيا ويصل الى نصف مجموع أعضاء الطبقة الدنيا وتوضح البيانات أيضا أن جميع حالات الطبقة الوسطى والطبقة بين العليا والوسطى كانت قد ارتكبت جرائم أو تشردا سابقا للتهمة الحالية • والملاحظ ثانيا ازدياد معدلات الاجرام عن التشرد بين أعضاء هذه المؤسسة ككل حيث يتزايد معدل تكرار الاجرام كلما ارتفع المستوى الطبقى فتبلغ المعدلات نصف مجموع حالات الطبقة الدنيا، وقرابة ثلاث أرباع (٩٧ر٧٢٪) أعضاء الطبقة بين الوسطى والدنيا بينما تبلغ المعدلات بالطبقة الوسطى ٨٩٪ وتصل الى القمة لتشمل جميع

حالات الطبقة بين العليا والوسطى فيما يتعلق بجريمة السرقة والنشل ٠ أما حالات التشرد بهذ المؤسسة فتصل أعلى مستوياتها بالطبقة الوسطى (بنسبة ١١ر١١٪) يلي ذلك من يقعون بالطبقة بين الوسطى والدنيا (بنسبة ٤١ر٥٪) ومعنى هذا أن حالات التشرد تتناقص بتناقص المستوى الطبقى ٠

واذا تعمقنا حالات تكرار الانحراف أو التشرد بمؤسسة محرم بك فان البيانات توضح عكس النتائج التى خرجنا بها من المؤسسة السابقة، فليس بهذه المؤسسة حالات كررت الاجرام اطلاقا ، بينما تتوزع حالات تكرار التشرد توزيعا غير خاضع لايجاد علاقات باستثناء فئة الذين كرروا المروق اذ ترتفع معدلات تكرارهم كلما ارتفع المستوى الطبقى فيقع حوالى ربع حالات الطبقة بين الوسطى والدنيا (بنسبة ٥٦ر٢٤٪) فى هذه الفئة ، يليها من يقعون بالطبقة الدنيا (بنسبة ٦٧ر١٦٪) وتصل حالات التسول الى ٢٨ر١٢٪ من أعضاء الطبقة بين الوسطى والدنيا ولايوجد أحد من هذه الفئة فى أى من الطبقتين الاخيرتين ٠

وتوضح البيانات العلاقة بين الوضع الطبقى وتكرار الانحراف اذ يلاحظ عدم وجود اتساق فى معدلات من لم يرتكبوا جريمة أو تشردا قبل التهمة الحالية ،اتساق يتفق مع ترتيب الطبقات المكونة لاسر هذا النموذج ٠

كذلك الحال بما يرتبط بالاجرام المتمثل فى السرقة أو النشل ٠ الا أن الملاحظ على بيانات هذا النموذج أن معدل الاجرام وسـطا بين المؤسسة الاولى والثانية اذ يصل حوالى ربع (بنسبة ٢٩ر٢٤٪) اعضاء النموذج ككل ٠ وبتوزيع هذه الفئة على مختلف طبقات النموذج يتضح أن ثلث اعضاء الطبقة بين العليا والوسطى وثلث أعضاء الطبقة الدنيا من هذه الفئة ، بينما ربع أعضاء الطبقة الوسطى يقعون فى فئة الاجرام هذه وأن ٠٨ر٢٣٪ من أعضاء الطبقة بينالوسطى والدنيا يقعون فى هـذه الفئة ٠ أما حالات التشرد فتتخذ ترتيبا نازلا مع نزول الطبقة اذ تصل الى ٦٧ر١٦٪ فى الطبقة الوسطى ، وتصل الى ٨٥ر٣٪ بالطبقة بين الوسطى والدنيا ٠ أما حالات المروق فتعطى نتيجة مخالفة لما توصلنا اليه من تحليل المؤسستين السابقتين ، اذ ينخفض معدلها بازدياد المستوى الطبقى ٠

٣ ـ واذا حاولنا توضيح العلاقة بين التهمة السابقة والتهمة الحالية للحدث المنحرف أو المشرد ، فتوضح البيانات أن جميع حالات المخدرات والقتل لم ترتكب جريمة سابقة بالطبقة الوسطى ، فى حين أن ثلاث أرباع حالات المروق بنفس الطبقة لم تكن مرتكبة لأية جريمة ، أما الربع الآخر من هذه الحالات فقد أودع قبل ذلك بتهمة التشرد . وتوضح البيانات أن نصف حالات التسول لم ترتكب انحرافا سابقا، على أن النصف الاخر كان قد أودع بتهمة التشرد أيضا ، ومن ناحية أخرى فان جميع الحالات التى ارتكبت تشردا كانت مودعة قبل ذلك بنفس التهمة وهذا مـا يفسره القانونيون بالاعتياد على الانحراف . أما حالات الجريمة (السرقة أو النشل) فان حوالى ثلاث أرباع الحالات (بنسبة ٣٣ر٧٣٪) معتـادة الاجرام حيث كانت مودعة قبل ذلك بنفس التهمة . وأن أكثر من الربع بقليل (نسبة ٦٧ر٢٦٪) لم ترتكب جريمة قبل ذلك .

وفيما يتعلق بالطبقة بين الوسطى والدنيا فان حـالات العود الى الجريمة والاعتياد على الاجرام تتناقص معدلاتها عنها بالطبقة الوسطى ، فى حين أن حالات العود والاعتياد على التشرد تتزايد . اذ تصل معدلات الاعتياد على نفس الجريمة فيما يتعلق بالسرقة أعلى المعدلات (٣٨ر٥٧٪ من أعضاء نفس الفئة) يلى ذلك معتادوا المروق (بنسبة ٢٩ر٣٥٪) ثـم التسول (بنسبة ٢٢ر٢٢٪) وأخيرا التشرد (بنسبة ٥٤ر١١٪) . هذا فيما يتعلق بالاعتياد على نفس النوع من الجريمة أو التشرد أما ما يرتبط بالعود الى الجريمة أو التشرد بصفة عامة فان أعلى المعدلات (نسبـة ٧٨ر٢٧٪) من المتسولين الذين كانوا مارقيين قبل ذلك، يلى هذا من وجهت اليهم تهمة المخدرات حاليا وكانوا مارقين أيضا . فكأن المروق قد يؤدى الى التسول أو الى الانهام بالمخدرات ويلاحظ أن نسبة ضئيلة جـدا (٦٤ر١٪) قد تحولت من التشرد الى الجريمة .

وهذا ما تؤكده بيانات الطبقة الدنيا ـ كذلك ـ اذ تحولت أعـل معدلات العود والاعتيـاد ـ على السـواء ـ من التشرد الى الجريمـة (٢٩ر١٤٪) . كما يلاحظ فى هذه الطبقة أن أعلى معدلات الاعتياد تقع بين المارقين (بنسبة ٣٣ر٣٣٪ منهم) يلى ذلك الاحداث المجرمون ـ سرقة

أو نشل ـ (بنسبة ٢٨ر٥٧٪) • وهاتين الفئتين هما فقط فئات الاعتياد بالطبقة الدنيا •

خامسا : الطبقة الاجتماعية والمسكن والجوار :

نحاول فى هذا الصدد التركيز على علاقة الطبقة الاجتماعية بالمسكن من حيث عدد حجراته ، ونوع اضاءته ، وطبيعة السكنى فيه ، وعلاقة هذا المتغير الاخير بنوعية الاتهام الموجه للحدث فى مختلف الطبقات • ومع قصور هذه المتغيرات الثلاثة المرتبطة بالمسكن وعدم امكانها من توضيح طبيعة الجوار أو نوعية أثاث المسكن أو منطقة السكنى ، فلنا بعض العذر، اذ أن غالبية المودعين بمؤسسات الاسكندرية ليسوا من مدينة الاسكندرية وحدها ، وانما تضم هذه المؤسسات أحداثا من مناطق أخرى مثـــل محافظة البحيرة • وليس فى امكانى اجراء مقابلات أو زيـارات لاسر الاحداث المودعين بالمؤسسات موضوع الدراسة حيث اتضح من خلال المقابلات التمهيدية مع الباحثين والاخصائين الاجتماعيين بالمؤسسات ، أن من الاحداث من تسكن أسرهم خارج نطاق المدينة • ومع ذلك فان فى المتغيرات الثلاثة المرتبطة بالمسكن مؤشرا للطبقة الاجتماعيــة التى هى موضوع اهتمامنا •

١ ـ تبين البيانات العلاقة بين الوضع الطبقى وعدد حجرات المسكن بمؤسسة شديدى الانحراف ، حيث يتضح أن جميع أسر أبناء الطبقــة عليا الوسطى يسكنون فى حجرتين ، وأن نصف اعضاء الطبقة الدنيــا تسكن أسرهم فى حجرتين ، بينما يسكن النصف الاخر فى حجرة واحدة • وتتوزع معدلات عدد الحجرات بالنسبة للطبقة الوسطى اذ تذكر أعلى المعدلات (٥٥ر٥٦٪) فى فئة حجرتين للسكنى ، يلى ذلك من يسكنون فى ثلاث حجرات (بنسبة ٢٢ر٢٢٪) ثم تتساوى معدلات من تســكن اسرهم فى حجرة واحدة أو فى اربعة حجرات فأكثر (بنسبة ١١ر١١٪ لكل منهما) بالطبقة الوسطى • أما من تقع أسرهم فى الطبقة بين الوسطى والدنيا فان أعلى معدلات هذه الاسرة (بنسبة ٢٤ر٤٣٪) تســكن فى حجرتين ، يلى ذلك من يقيمون فى حجرة واحدة (بنسبة ١٤ر٣٥٪) ثــم من يقيمون بأربعة حجرات فأكثر (بنسبة ٥١ر١٣٪) وأخيرا من تقيم أسرهم فى ثلاث حجرات (بنسبة ١١ر٨٪) • والملاحظ ان الذين تقيم

أسرهم فى حجرة واحدة ، يتزايد معدلهم كلما انخفض المستوى الطبقى، وأن الذين تقيم أسرهم فى ثلاث حجرات ، يتزايد معدلهم كلمـــا ارتفع المســـتوى الطبقى ، وأن الذين تقيم أسرهم فى حجرتين ينخفض معدلهم بانخفاض الطبقة باستثناء الطبقة الدنيا ٠ والملاحظ عمومـــا أن الذين تقيم أسرهم فى حجرة أو حجرتين يمثلون أكثر من ثلاث أرباع الاحداث المودعين بالمؤسسة ككل ٠

وتكاد تتفق بعض النتائج السابقة مع بيانات مؤسسة محرم بك، اذ يتزايد معدل من تسكن اسرهم بحجرة واحدة كلما انخفض المستوى الطبقى ، فتبلغ المعدلات ٢٨ر٥٧٪ بالطبقة بين الوسطى والدنيا ، وتبلغ ٨٣ر٣٣٪ بالطبقة الدنيا ٠ وفيمايتعلق بالطبقة الدنيا فان أعلى معدلاتها تقيم بحجرة واحدة بينما تقيم ١٦ر٦٧٪ من أسر هذه الطبقة بحجرتين أما الطبقتين الاخيرتين فان أعلى المعدلات فيهما تقيم بحجرتين ، ففى الطبقة الوسطى يصل المعدل الى ٤٢ر٨٦٪ منمجموع أعضائها وفى الطبقة بين الوسطى والدنيا يصل المعدل الى ٥٢ر٦٣٪ من مجموع أعضائها ويلاحظ أيضا أن الذين يقيمون فى أربعة حجرات فأكثر يرتفع معدلهم بارتفاع المستوى الطبقى حيث يصل المعدل بالطبقة الوســـطى الى ٢٨ر٥٧٪ وينخفض بالطبقة الوسطى ـ الدنيا ليصل الى ٣ر٥١٪ ٠

أما الحالات التى تسكن أسرها فى ثلاثة حجرات فانما يقعون فقط فى الطبقة بين الوسطى والدنيا (بنسبة ١٤ر٠٤٪) ٠

وتتفق أيضا النتائج السابقة مع النتائج التى حصلنا عليهـــا من مؤسسة المنشية الجديدة اذ يتزايد معدل من يقيمون بحجرة واحدة كلما انخفض المستوى الطبقى اذ يصل المعدل الى ٣٣ر٨٪ من مجموع أعضاء أعضاء الطبقة الوسطى ويصل المعدل الى ٩٢ر٥١٪ من مجموع أعضـــاء الطبقة بين الوسطى والدنيا ويرتفع المعدل ليصل الى ٦٧ر٦٦٪ من مجموع أعضاء الطبقة الدنيا وتتفق النتائج ايضا مع سابقتها حيث ينخفض معدل من يقيمون بحجرتين كلما انخفض المستوى الطبقى باستثناء الطبقة بين الوسطى والدنيا التى يصل فيها معدل من يقيمون بحجرتين الى٧٧ر٣٠٪ من مجموع اعضائها بينما يصل المعدل بالطبقة بين العليا والوسطى الى ٦٧ر٦٦٪ وينخفض الى ٦٧ر١٦٪ بالطبقة الوسطى ٠ وليست هنـــاك

ارتباطات يمكن ملاحظتها بالنسبة لمن يقيمون بثلاث حجرات أو أربعة فأكثر ففى الطبقة عليا الوسطى ٣٣ر٣٣٪ من أعضائها يقيمون بأربع حجرات فأكثر • وفى الطبقة الوسطى يقيم ٥٠٪ من اعضائها بأربعة حجرات فأكثر بينما يقيم ٢٥٪ من اعضائها بثلاث حجرات وفى الطبقة بين الوسطى والدنيا يقيم ٦٢ر٩٪ بأربع حجرات فأكثر ويقيم ٦٩ر٧٪ من اعضائها بثلاث حجرات • الا أن الملاحظ - بالرغم من اتفاق هذا النموذج مع النموذجين الاولين - ارتفاع معدل من يقيمون بحجرة واحدة حيث يأخذ مركز الصدارة ، فى حين يمثل من يقيمون بحجرتين مركز الصدارة فى النموذجين السابقين •

٢ - وتوضح البيانات العلاقة بين الوضع الطبقى ونوع اضاءة المسكن اذ يتضح ارتفاع معدل من يستخدمون الكهرباء فى الاضاءة كلما ارتفع المستوى الطبقى كما يتضح انخفاض معدل من يستخدمون الكيروسين فى الاضاءة كلما ارتفع المستوى الطبقى • وتوضح البيانات أن جميع حالات الطبقة بين العليا والوسطى وجميع حالات الطبقة الوسطى يستخدمون الكهرباء فى الاضاءة ، بينما يصل المعدل الى ٩٧ر٧٢٪ بالطبقة بين الوسطى والدنيا وينخفض المعدل الى ٥٠٪ من مجموع أعضاء الطبقة الدنيا ويصل معدل من يستخدمون الكيروسين الى ٥٠٪ بالطبقة الدنيا وينخفض المعدل الى ٠٣ر٢٧٪ من مجموع أعضاء الطبقة بين الوسطى والدنيا •

وتكاد تنطبق النتائج الخاصة بمؤسسة محرم بك مع النتائج السابقة مع تغيير - الى حد ما - فيما يرتبط بنتائج الطبقة بين الوسطى والدنيا. اذ يرتفع استخدام الكهرباء بارتفاع المستوى الطبقى وتصل أعلى معدلات استخدام الكهرباء ٢١ر٨٤٪ من مجموع أعضاء الطبقة بين الوسطى والدنيا، يلى ذلك من يقعون بالطبقة الوسطى (بنسبة ٤٣ر٧١٪) ثم من يقعون بالطبقة الدنيا (بنسبة ٦٧ر١٦٪) • أما استخدام الكيروسين فى اضاءة المسكن فتبلغ أعلى معدلاته ٣٣ر٨٣٪ من أعضاء الطبقة الدنيا يلى ذلك من يقعون بالطبقة الوسطى (بنسبة ٥٧ر٢٨٪) ثم من يقعون بالطبقة بين الوسطى والدنيا (بنسبة ٧٩ر١٥٪) •

الا أن النتائج الخاصة بمؤسسة المنشية الجديدة منطبقة تماما مع

نتائج النموذج الاول ، حيث أن جميع أعضاء الطبقة بين العليا والوسطى يستخدمون الكهرباء فى الاضاءة ، أما أعضاء الطبقة الوسطى فانغالبيتهم (بنسبة ٩١ر٦٧٪) يستخدمون الكهرباء فى حين أن قلة منهم (بنسبة ٨ر٣٣٪) يستخدمون الكيروسين . ويقل استخدام الكهرباء نسبيـــــا بالطبقة بين الوسطى والدنيا (اذ تصل النسبة الى ٧٨ر٨٥٪) ، يقابل ذلك ارتفاع نسبى (٢١ر١٥٪) فيمن يستخدمون الكيروسين بهذه الطبقة أما أعضاء الطبقة الدنيا فانهم جميعا يستخدمون الكيروسين فى الاضاءة .

٣ ـ وبدراسة العلاقة بين الوضع الطبقى وطبيعة السكنى،بمؤسسة شديدى الانحراف ، يتضح أن نصف أعضاء الطبقة بين العليا والوسطى يقيمون بسكن مستقل لأسرهم بينما يسكن النصف الآخر مع آخرين فى سكن مشترك . وتوضح البيانات أن جميع أعضاء الطبقة الدنيا يقيمون فى سكن مشترك مع أسر أخرى أما أعضاء الطبقة الوسطى فتزداد معدلات من يقيمون فى سكن مستقل (بنسبة ٥٥ر٥٦٪) عمن يقيمون فى سكن مشترك (بنسبة ٣٣ر٣٣٪) بعكس الحال لدى أعضاء الطبقة بين الوسطى والدنيا اذ ترتفع معدلات من يقيمون فى سكن مشترك (بنسبة ٥٩ر٤٦٪) عمن يقيمون فى سكن مستقل (بنسبة ٣٧ر٨٤٪) .

وتوضح البيانات الخاصة بمؤسسة محرم بك اختلافـــا مع بعض النتائج السابقة ،اذ يزداد معدل الذين يقيمون فى سكن مشترك مــــع آخرين بالطبقة الوسطى (بنسبة ٧١ر٤٣٪) عمن يقيمون فى ســــكن مستقل (بنسبة ٢٨ر٥٧٪) . ويزداد معدل الذين يقيمون فى سكن مشترك مع آخرين بالطبقة بين الوسطى والدنيا (بنسبة ٧٠ر١٨٪) عمن يقيمون فى سكن مستقل (بنسبة ٢٨ر٠٧٪) . الا أنه لا توجد حالـــة واحدة تقيم بسكن مستقل من أعضاء الطبقة الدنيا ، وهذه البيانـــات الأخيرة تجعلنا نقترب بعض الشىء من النتيجة التى خرجنا بها من تحليل بيانات المؤسسة السابقة ، اذ يلاحظ ازدياد معدلات الســكن المشترك بالطبقة الدنيا عنها بالطبقتين الاخيرتين ، ويلاحظ ـ أيضا ـ عدم وجود حالات من الطبقة الدنيا تقيم أسرها مستقلة .

الا أن النتائج السابقة تتفق مع بيانات مؤسسة المنشية الجديدة

حيث أن جميع اعضاء الطبقة عليا الوسطى من الذين يقيمون فى سكن مستقل وأن غالبية أعضاء الطبقة الوسطى (بنسبة ٩١ر٦٧٪) تقيم بسكن مستقل يلى ذلك الطبقة بين الوسطى والدنيا (بنسبة ٥٤ر٦١٪) ثم أعضاء الطبقة الدنيا (بنسبة ٣٣ر٣٣٪) أما الحالات التى تقيم بسكن مشترك مع أسرأخرى فان معدلاتها تزداد بالطبقة الدنيا (بنسبة ٦٧ر٦٦٪) يلى ذلك من يقعون بالطبقة بين الوسطى والدنيا (بنسبة ٤٦ر٣٨٪) ثم من يقعون بالطبقة الوسطى (بنسبة ٣٣ر٨٪) . وهذا يؤكد ارتفاع معدلات من يقيمون بسكن مستقل بارتفاع المستوى الطبقى وانخفاض معدلات من يقيمون بسكن مشترك بارتفاع المستوى الطبقى كذلك .

٤ ـ واذا حاولنا توضيح مدى الارتباط بين طبيعة السكن ووجه اتهام الحدث نستطيع القول بأن الذين وجهت اليهم تهمة السرقة أو القتل (وهى فى نطاق الاجرام) من أعضاء الطبقة الوسطى ، يسكن غالبية أسرهم بسكن مستقل (بنسبة ٦٠٪) بينما يقيم ثلث الاسر من هذه الفئة بسكن مشترك وهذا يعنى أن سكنى الاسرة مع غيرها لايعنى التفريخ للجريمة ويؤكد هذا أن جميع حالات التشرد والمخدرات والقتل تقيم أسرها بسكن مستقل فى حين أن نصف حالات المروق والتسول تقيم أسرها بسكن مستقل وأن النصف الآخر يقيم بسكن مشترك .

الا أن بيانات الطبقة بين الوسطى والدنيا تكاد تعطى معدلات متزايدة للاجرام والتشرد ـ على السواء ـ للاحداث الذين تقيم أسرهم مع أخرى فى سكن مشترك . ففى جريمة السرقة يرتفع معدل السكن المشترك (بنسبة ١ر٥٤ ٪) عنه فى حالات السكن المستقل بنسبة ٢٦ر٤٤٪ وفى حالات المخدرات يزداد معدل السكن المشترك بنسبة ١٤ر٥٧٪ عنه فى حالات السكن المستقل (بنسبة ٨٦ر٤٢٪) وهكذا فيما عدا حالات التشرد التى تشذ عن المجموعة حيث يمثل السكن المستقل ٨٥ر٥٣٪ من مجموع الحالات . الا أن حالات التشرد هذه يمكن أن تضاف الى بقية حالات التشرد فتصبح النتيجة العامة أن غالبية أعضاء هذه الطبقة تسكن أسرهم بسكن مشترك .

ولعل هذا أكثر وضوحا فيما يتعلق بأبناء الطبقة الدنيا . اذ أن جميع حالات التشرد تقيم أسرها فى سكن مشترك بينما تتزايد معدلات

السكن المشترك لحالات الجريمة (السرقة) (بنسبة ٨٥ر٧١٪) اذا ما قيست بحالات السكن المستقل (بنسبة ١٤ر٢٩٪) - والنتيجة العامة التى يمكن استخلاصها من تحليل هذه البيانات أنه كلما انخفض المستوى الطبقى كان للجوار أثره فى انحراف الحدث أو تشرده ·

سادسا : الطبقة الاجتماعية وظروف الاسرة :

نحاول فى هذا الصدد التعرض لبعض ظروف الحياة الاسرية - وليس جميعها - وذلك حسبما نرى أن هذه الظروف تدخل فى تحديد الوضع الطبقى للاسرة أو أنها عوامل أساسية يمكن أن ترتبط بالجناح أو التشرد ولذلك نعرض فيما يلى للمستويات التعليمية للاباء وكيف ترتبط هذه المستويات بوجه اتهام الابن · كذلك نعرض لتصنيف الاباء وفقا للمهنة على مختلف طبقات كل نموذج ، وهل ترتبط مهنة الوالد بوجه اتهام الابن ؟ · وماهو دخل الاسرة - بالتقريب - وهل لمقدار الدخل ارتباط بالتهمة الموجهة الى الحدث؟ وهل تعمل الام ؟ وماهى طبيعة عملها؟ وهل يرتبط زواج الام بآخر مع نوعية الانحراف لدى الصغار ؟ · وان كنا قد تجاهلنا عديدا من الموضوعات التى قد تبدو ذات صلة بانحراف الاحداث أو تشردهم مثل زواج الاب بغير الام ·· وغير ذلك فان مرد هذا راجعا الى تركيزنا على الطبقة الاجتماعية أكثر من التركيز على طبيعة الانحراف · فمن المعروف أن التعرض لزواج الام بغير الاب ، يتطلب التعرض لزواج الاب أيضا ، وهذا ما تتفق عليه غالبية البحوث ، الا أن وجود الحدث مع أمه الشرعية - بصفة خاصة - يمكن أن يمنع الابن من الانحراف ، عما اذا وجد مع أبيه فقط · فمن المعروف أن الام تمارس - دون الاب - ضبطااجتماعيا مباشرا للابناء ، اذ أن الاباء يقضون معظم أوقاتهم خارج المنزل فى العمل أو غير ذلك ·

١ - وبدراسة الحالة التعليمية للأب - حتى ان كان متوفيا - وكيفية توزيع هذه المستويات التعليمية على مختلف طبقات النموذج الاول· يتضح أن نصف آباء الاسر التى تقع فى الطبقة عليا الوسطى يقرأون ويكتبون ، بينما حصل النصف الاخر على مؤهل ابتدائى · كذلك الحال يقع نصف اعضاء الطبقة الدنيا فى فئة الذين يقرأون ويكتبون ، بينما

لم يعرف المستوى التعليمى للنصف الاخر . وفيما يتعلق بالذين يقعون فى الطبقة الوسطى فان غالبيتهم يقعون فى فئة الاميين (بنسبة ٦٦ر٦٧٪) يلى ذلك الحاصلون على مؤهل ابتدائى (بنســـبة ٢٢ر٢٢٪) ثم الذين يقرأون ويكتبون (بنسبة ١١ر١١٪) . وترتفع معدلات الاميين بالطبقة بين الوسطى والدنيا (بنسبة ٧٨ر٨٣٪) يلى ذلك من يقعون فى فئة المؤهل الابتدائى (بنسبة ١١ر٨٪) ثم الذين يقرأن ويكتبون (بنسبة ٧ر٢٪) . والملاحظ أن معدلات الامية تتزايد بانخفاض الطبقة الى حد ما ، كما أن معدلات الحاصلين على مؤهل تنخفض بانخفاض المستوى الطبقى عموما .

وتوضح بيانات النموذج الثانى ارتفاع نسبة الامية كلما انخفض المستوى الطبقى – كذلك – اذ يقع فى هذه الفئة التعليمية جميع أعضاء الطبقة الدنيا ، ويقع ٣٥ر٤٠ ٪ من أعضاء الطبقة بين الوسطى والدنيا فيها . أما فئة الحاصلين على مؤهل ابتدائى أو اعدادى فانها تزداد معدلاتها بارتقاء الطبقة الاجتماعية ، اذ يصل معدل الفئة الابتدائية الى ١٤ر٥٧٪ من أعضاء الطبقة الوسطى ، وتصل الى ٨٦ر٤٢٪ من اعضاء نفس الطبقة الحاصلين على مؤهل اعدادى وتتناقص المعدلات بالطبقة بين الوســـطى والدنيا اذ يصل معدل الفئة الابتدائية الى ٦ر٣٨٪ ويصل معدل الفئة الاعدادية الى ٠٢ر٧٪ .

وتؤكد بيانات النموذج الثالث نفس النتائج السابقة ، اذ يتضح ارتفاع معدلات الامية كلما انخفض المستوى الطبقى حيث تصل معدلات الامية بالطبقة الوسطى ٢٥٪ من مجموع أعضائها وترتفع النسبة بالطبقة بين الوسطى والدنيا (٩٢ر٥١٪) وترتفع أكثر بالطبقة الدنيا (نسبة ٦٧ر٦٦٪) هذا ولم يحصل على مؤهل اعدادى سوى ٣٣ر٣٣٪ من أعضاء الطبقة عليا الوسطى دون سائر الطبقات بمؤسسة المنشية الجديدة أما الحالات التى وقعت فى فئة الذين يقرأون ويكتبون فانهم يتزايدون بارتقاء الوضع الطبقى مع اختلاف قليل الى حد ما – بالطبقة الاولى التى يصل المعدل بها ٦٧ر٦٦٪ من أعضائها الا أن ٧٥٪ من أعضاء الطبقة الوسطى يقعون فى هذه الفئة التعليمية وتنخفض النسبة بالطبقة بين الوسطى والدنيا لتصل الى ٠٨ر٤٨٪ من مجموع أعضائها وتبلغ المعدلات أقل درجة بالطبقة الدنيا (بنسبة ٣٣ر٣٣٪) .

واذا حاولنا كشف العلاقة بين المستوى التعليمى للاب ووجه اتهام الابن بالطبقة الوسطى ، يتضح انه فيما يتعلق بجرائم الصغار (السرقة أو النشل) ارتفاع معدل الابناء المنحرفين والذين يرتبطون بهذه الجريمة كلما انخفض المستوى التعليمى اذ تصل معدلات الاميين ٤٦ر٦٧٪ من مجموع حالات أسر الابناء الذين ارتكبوا هذه الجريمة ، وينخفض المعدل فى فئة الذين يقرأون ويكتبون (بنسبة ٢٣ر٣٣٪) ثم الحاصلون على مؤهل ابتدائى (بنسبة ١٣ر٣٣٪) وأخيرا الحاصلون على مؤهل اعدادى (بنسبة ٦ر٦٧٪) • وتتعادل المستويات التعليمية مع حالات المخدرات بين ثلاث فئات تعليمية : الامية ـ القراءة والكتابة ـ المستوى الابتدائى• بينما تتزايد حالات المروق بانخفاض المستوى التعليمى للاباء ، حيث تقع نصف الحالات فى فئة الذين يقرأون ويكتبون ويتناصف الابـــاء الحاصلون على مؤهل ابتدائى واعدادى النصف الاخر من المعدلات•وتوضح البيانات عدم وجود ارتباط بين المستويات التعليمية وبين التشرد فى صورة التسول •

وتكاد تنطبق النتائج السابقة على حالات الطبقة بين الوســـطى والدنيا فى فئات جريمة السرقة وحالات التشرد بصفة عامة • اذ تصل أعلى معدلات السرقة لدى الاحداث (نسبة ٦٢ر٣٪) فى فئة الاميين من الاباء يلى ذلك من يقع آباءهم فى فئة الذين يقرأون ويكتبون (بنسبة ٢٤ر٥٩٪) ثم الحاصلون على مؤهل ابتدائى (بنسبة ١٣ر١١٪) أما فيما يرتبط ـ بحالات التشرد ـ عموما ـ بين الاحداث ، فانها تتوزع دون ملاحظة ارتباط سلبى أو ايجابى بين أنواع التشرد وبين المستويات الطبقية المختلفة •

الا أن جميع حالات التشرد (مروق ـ تسول) بالطبقة الدنيا يقع أباءهم فى فئة الاميين ، أما حالات الجرائمفانهاترتفع كلما انخفضالمستوى التعليمى • اذ يقع أكثر من نصف آباء الاحداث المجرمين (بنسبة٥٧ر١٤٪) فى فئة الاميين ، يلى ذلك من يقع آبائهم فى فئة الذين يقرأون ويكتبون (بنسبة ٢٨ر٥٧٪) •

٢ ـ وتوضح البيانات العلاقة بين مهنة الوالد ونوعية الطبقة التى تنتمى اليها أسرة الحدث ، حيث يلاحظ ارتفاع المستوى الطبقى كلمــــا

ارتفعت معدلات فئات مهن الموظفين والتجار والحرفيين بالمؤسسة الاولى، وكلما انخفضت معدلات عمال الصناعة • اذ تمثل فئة الموظفين نصف مجموع أعضاء الطبقة بين العليا والوسطى ، فى حين يلاحظ انخفـــاض معدل هذه الفئة المهنية بالطبقة الوسطى (بنسبة ١١ر١١٪) ثم يزداد الانخفاض ليصل الى ١١ر٨٪ بالطبقة بين الوسطى والدنيا كذلك تصل معدلات التجار الى ٢٢ر٢٢٪ من مجموع أسر الطبقة الوسطى ثم تنخفض هذه المعدلات الى ١١ر٨٪ من مجموع أعضاء الطبقة بين الوسطى والدنيا• وتمثل فئة الحرفيين أعلى معدلات الطبقة الوسطى ـ عموما ـ (٣٣ر٣٣٪) وينخفض معدل هذه الفئة (بنسبة ٩١ر١٨٪) بالطبقة بين الوســـطى والدنيا • أما فئة العمال فيزداد معدلهم بالطبقة بين الوسطى والدنيـــا (بنسبة ٨٤ر٣٧٪) عما هو الحال بالطبقة الوسطى (بنسبة ٢٢ر٢٢٪)، بالاضافة الى أن أعلى معدلات هذه الفئة تمثل نصف مجموع أعضـــاء الطبقة الدنيا •

الا أن الأمر على عكس ما سبق بمؤسسة محرم بك اذ يرتفع معدل العمال كلما ارتقت الطبقة الاجتماعية • ويرتفع معدل الحرفيين والقائمين بأعمال حرة كلما انخفض المستوى الطبقى • حيث تمثل فئة العمال أعلى معدلاتها • (بنسبة ٧١ر٨٥٪) بالطبقة الوسطى ، يلى ذلـــك من يقعون بالطبقة بين الوسطى والدنيا (بنسبة ١١ر٤٢٪) ثم من يحتلون الطبقة الدنيـــا (بنسبة ٣٣ر٣٣٪) • أمـــا فئـــة الحرفيين فتتمثل أعلى معدلاتها (٣٣ر٣٣٪) بالطبقة الدنيا ، يلى ذلك من يقعون فى الطبقة بين الوسطى والدنيا (بنسبة ٠٧ر٢٨ ٪) • وتتمثل أعلى معدلات الذين يقومون بأعمال حرة (بنسبة ٢٩ر١٩٪) فى الطبقة بين الوسطى والدنيا وتنخفض هذه المعدلات بالطبقة الوسطى (بنسبة ٢٩ر١٤٪) • الا أن المتفق عليه بين بيانات هذه المؤسسة وبيانات المؤسسة السابقة أن أعلى معدل للاحداث المنحرفين أو المشردين يعمل آباءهم بمهنة العمـــــال الصناعيين •

وتتفق بيانات المؤسسة الثالثة مع بيانات المؤسستين السابقتين من حيث ارتفاع معدل عمال الصناعة بين المهن ككل • كما تتفق البيانات مع النتائج التى توصلنا اليها بالمؤسسة الاولى ـ الى حد مـــا ـ حيث

يرتفع معدل الموظفين كلما ارتفع المستوى الطبقى ، وكذلك الحال بالنسبة للتجار والاعمال الحرة • حيث يعمل جميع آبـــــاء الاحداث المنحرفين والمشردين بالطبقة بين العليا والوسطى ، كموظفين • يلى ذلك من يقعون بالطبقة الوسطى (بنسبة ٣٣ر٨٪) ثم من يقعون بالطبقة بين الوسطى والدنيا (بنسبة ٧٧ر٥٪) • وترتفع معدلات التجار بالطبقة الوسطى (بنسبة ٣٣ر٨٪) عنها بالطبقة بين الوسطى والدنيا (بنسبة ٧٧ر٥٪)• وترتفع معدلات مهن الاعمال الحرة بالطبقة الوسطى _ أيضا _ (بنسبة ٢٥٪) عنها بالطبقة بين الوسطى والدنيا (بنسبة ٣١ر١٧٪ (• الا أن فئة عمال الصناعة يمثلون ٦٧ر٤١٪ من اعضاء الطبقة الوسطى والدنيا ، ومع أن أقل المعدلات (٣٣ر٣٣٪) بهذه الفئة المهنية تقع بالطبقة الدنيا ، الا أننا لانستطيع الجزم بهذه النسبة ، نظرا لوفاة ثلثى آباء هذه الطبقة• ومع ذلك الاستثناء نستطيع القول بارتفاع معدلات عمال الصناعة كلما انخفضت الطبقة الاجتماعية •

واذا حاولنا توضيح العلاقة بين فئات المهن الخاصة بالاباء ونوعية اتهام الاحداث : جريمة أو تشردا ، فتوضح لنا بيانات الطبقة الوسطى ان معدل الاحداث المتهمون بجريمة السرقة ، يتزايد فى الفئة التى يعمل آباءهم بالصناعة (بنسبة ٤٠٪) وتتساوى بعد ذلك فئـــات الموظفين والتجار والحرفيين ، وتأتى فى المرتبة الثانية (بنسبة ٣٣ر١٣٪ لكل فئة) ثم تأتى فى المرتبة الثالثة فئات المجندين والمجرمين السابقين (بنسبة ٦٧ر٦٪ لكل منهما) • أما حالات التشرد بصفة عامة والمخدرات فقـــد وقع آبائهم جميعا فى فئة القائمين بالاعمال الحرة • كما وقع آباء الاحداث الذين اتهموا بالتسول وبالقتل _ على السواء _ فى فئة عمال الصنـــاعة ويعمل نصف آباء الاحداث المارقيين بالصناعة ، بينما تتقاسم فئة التجار والحرفيين النصف الاخر •

تتصدر فئة عمال الصناعة مهنة الاباء الذين اتهم أبناءهم بالسرقة كجريمة (بنسبة ٢٦ر٤٤٪) بالطبقة بين الوسطى والدنيا • يلى ذلك الحرفيين (بنسبة ٧٥ر١٤٪) ثم الاعمال الحرة (بنسبة ١١ر١٣٪) ثم التجار (بنسبة ١٢ر٤٪) ، فالموظفين (بنسبة ٢٨ر٣٪) أما حـــالات التشرد _ بصفة عامة _ فتزداد معدلاتهم بين أبناء عمال الصـــناعة من

الاحداث المودعين بالمؤسسات موضوع الدراسة (بنسبة ٣٨ر٤٦٪) يلي ذلك الاعمال الحرة (بنسبة ٢٦ر٩٢٪) ثم التجار والحرفيين (بنسبة ١١ر٥٤٪ لكل فئة منهما) واخيرا الموظفين (بنسبة ٣ر٨٥٪) وتزداد معدلات أبناء التجار (بنسبة ٤٢ر٨٥٪) الذين أودعوا المؤسسات بتهمة المخدرات - يليهم ابناء العمال (بنسبة ٢٨ر٥٧٪) ثم أبناء الموظفين (بنسبة ١٤ر٢٩٪) • وتزداد حالات المروق لدى ابناء عمال الصناعة (بنسبة ٢٩ر٤١٪) ثم أبناء الحرفيين (بنسبة ٢٣ر٥٣٪) فالذين يعمل آباءهم بأعمال حرة (بنسبة ١٧ر٦٥٪) ويتناقص المعدل لدى ابناء الموظفين (بنسبة ٥ر٨٨٪) ثم أبناء التجار (بنسبة ٢ر٩٤٪) • وتقع أعلى حالات التسول بين أبناء العمال الذين أودعوا المؤسسات (بنسبة ٦٦ر٦٧٪)يليهم ابناء الحرفيين (بنسبة ١٦ر٦٦٦٪) ثم الاعمال الحرة (بنسبة ٥ر٥٦٪) •

وفيما يتعلق بالطبقة الدنيا ، فان أعلى معدلات سرقة الاحداث تتمثل فى ابناء عمال الصناعة (بنسبة ٢٨ر٥٧٪) ثم الحرفيين أو الذين لايعمل آباءهم (بنسبة ١٤ر٢٩٪) • وتقع جميع حالات التسول فى فئة أبناء عمال الصناعة • أما المروق فيتقاسمه ابناء الحرفيين وعمال الصناعة • وعلى هذا يتضح أن عمال الصناعة يمثلون النسبة الغالبة لمهن آباء الاحداث المنحرفيين والمشردين على السواء ، وتتميز هذه الفئة بجريمة السرقة والمروق والتسول وأن أبناء التجار والحرفيين يأتون فى الدرجة الثانية من الخطورة الاجرامية •

٣ - وبملاحظة العلاقة بين الوضع الطبقى لأسر الاحداث المنحرفين أو المشردين وبين اجمالى دخل الاسرة شهريا ، يتضح ارتفاع معدلات الدخل كلما ارتفعت الطبقة الاجتماعية بمؤسسة شديدى الانحراف • اذ أن اجمالى دخل الاسر التى تقع فى الطبقة بين العليا والوسطى يقع أيضا فى أعلى فئات الدخل (٤٠ جنيه فأكثر) • وفى فئة الدخل هذه تقع أقل معدلات أسر الطبقة الوسطى (بنسبة ٢٢ر٢٢٪) • كما أن أقل فئات الدخل (١٠ - ٢٠) لا يقع فيها الا أكبر معدلات الطبقة بين الوسطى والدنيا (بنسبة ٤٨ر٦٥٪) • ويقع ٣٣ر٣٣٪ من أسر الطبقة الوسطى

فى فئة الدخل (٢٠ ــ ٣٠) يلى ذلك من يقعون فى نفس فئة الدخل ويمثلون الطبقة بين الوسطى والدنيا (بنسبة ٨١ر١٠٪) ٠

وتكاد تنطبق نفس النتائج السابقة على بيانات مؤسسة محرم بك ، اذ تقع الاسر ذات الدخل المنخفض (أقل من ١٠ جنيهات شهريا) فى الطبقات الدنيا ، ففى الطبقة بين الوسطى والدنيا يصل المعدل الى ٥٥ر١٧٪ من المجموع الكلى لاعضاء هذه الطبقة ، ويقع ٦٧ر١٦٪ من أعضاء الطبقة الدنيا فى هذه الفئة من فئات الدخل ٠ ويلاحظ ارتفاع معدلات الاسر التى يتراوح دخلها الشهرى بين ١٠ ، ٢٠ جنيه بانخفاض الطبقة ، اذ يصل المعدل الى ٢٩ر١٤٪ من مجموع أسر الطبقة الوسطى ، ويرتفع المعدل الى ٠٥ر٢١ ٪ من مجموع أسر الطبقة بين الوسطى والدنيا ٠ الا ان الاسر التى يتراوح دخلها بين ٢٠ ، ٣٠ جنيه شهريا ، يتزايد معدلها بارتقاء المستوى الطبقى حيث يبلغ المعدل ٧١ر٨٥٪ من مجموع أسر الطبقة الوسطى ، وينخفض المعدل الى ٧٥ر١٪ من مجموع أسر الطبقة بين الوسطى والدنيا ٠

وتتأكد النتائج أيضا بالمؤسسة الثالثة ، حيث تقع فئات الدخل المنخفض جميعها بالطبقتين دون الوسطى ، ويرتفع معدلها كلما اتجهنا نحو الطبقة الدنيا التى يقع جميع اعضاءها فى هذه الفئة من فئات الدخل يلى ذلك ٠٨ر٤٨٪ من مجموع أسر الطبقة بين الوسطى والدنيا كذلك ترتفع معدلات الاسر التى يقع دخلها فى الفئة (١٠ ــ ٢٠) كلما انخفض المستوى الطبقى ، حيث تتصدر الطبقة بين الوسطى والدنيا هذه الفئة (بنسبة ٢٣ر٤٤٪) يليها أعضاء الطبقة الوسطى (بنسبة ٣٣ر٨٪) ٠

الا أن الاسر التى يتراوح دخلها بين ٢٠ ، ٣٠ جنيه شهريا يرتفع معدلها بارتفاع المستوى الطبقى اذ تقع غالبية أسر الطبقة الوسطى (بنسبة ٣٤ر٨٣٪) فى هذه الفئة ، وتنخفض المعدلات انخفاضا ملحوظا بالطبقة بين الوسطى والدنيا (بنسبة ٦٩ر٧٪) وتوضح البيانات ــ كذلك ــ أن ثلثى أعضاء الطبقة بين العليا والوسطى تقع أسرهم فى فئة الدخل (٣٠ ــ ٤٠) أما الثلث الآخر ، فتقع أسرهم فى فئة الدخل (٤٠ جنيه

فأكثر) ٠ وبملاحظة هذه الفئة الاخيرة فان معدلات الطبقة بين العليا والوسطى تمثل أعلى المعدلات وتنخفض المعدلات بانخفاض المستويات الطبقية ، اذ يصل المعدل الى ٨ر٣٣٪ من مجموع أسر الطبقة الوسطى ولا توجد حالات من الطبقات دون الوسطى تقع فى هذه الفئة من فئات الدخل ٠

وبملاحظة العلاقة بين دخل الاسرة ووجه اتهام الحدث بالطبقة الوسطى ، يتضح أنه فيما يتعلق بالاحداث المودعين بتهمة السرقة أو النشل (جرائم) فان معدلاتهم ترتفع فى الاسر ذوات الدخل من ٢٠ الى ٣٠ جنيه شهريا (بنسبة ٦٧ر٤٦٪) يلى ذلك من تقع أسرهم فى فئة الدخل ٣٠ ــ ٤٠ (بنسبة ٦٦ر٢٦٪) ثم من تقع أسرهم فى الفئة « ٤٠ جنيه فأكثر » (بنسبة ٢٠٪) واخيرا من تقع أسرهم فى الفئة من ١٠ الى ٢٠ جنيه (بنسبة ٦٧ر٦٪ من مجموع حالات السرقة) ٠ الا أن المجموعة الاخيرة وان كانت تمثل أقل معدلات المنحرفيين ارتباطا بالدخل الاسرى فانها تمثل فى نفس الوقت نصف مجموع الحالات التى يقع دخل الأسرة فى نفس الفئة ٠ وعلى ذلك يمكن القول أن حالات السرقة ترتفع معدلاتها كلما انخفض دخل الاسرة ٠ على العكس من حالات المروق التى يرتفع معدلها بارتفاع متوسط دخل الاسرة ، اذ يقع ٢٥٪ من حالات المروق فى فئة الدخل « ١٠ ــ ٢٠ » ويرتفع المعدل الى ٧٥٪ لمن تقع اسرهم فى فئة الدخل « ٢٠ ــ ٣٠ » وفى هذه الفئة الاخيرة تقع أسر جميع حالات التشرد والمخدرات والتسول والقتل بالطبقة الوسطى ٠

وبملاحظة بيانات الطبقة الوسطى والدنيا ، يتضح أن حالات التشرد يرتفع معدلها بانخفاض المستوى الطبقى من حيث دخل الأسرة وأن حالات المخدرات يرتفع معدلها بارتفاع مستوى دخل الاسرة ٠ وأن حالات التسول تتعادل من حيث نسبها الموزعة على فئات الدخل ٠ أما بقية أوجه الاتهام (جريمة ــ أو تشرد) فتتوزع توزيعا غير منتظم مع فئات دخل الاسرة ٠ الا أن بيانات الطبقة الدنيا توضح ان جميع حالات الجريمة (السرقة) والتشرد (المروق) تقع أسرها فى فئة الدخل (أقل من ١٠ جنيهات شهريا) باستثناء من لم يعرف دخل أسرهم ٠

وبسؤال الاحداث المودعين بمؤسسة شديدى الانحراف عن موقفهم من مدى كفاية دخل الاسرة، فان البيانات توضح أن جميع أعضاء الطبقة بين

العليا والوسطى والطبقة الوسطى أجابوا بأن دخول أسرهم كافية بينما يزداد معدل من أجابوا بكفاية دخل الاسرة (بنسبة ٦١ر٦٢٪) بالطبقة بين الوسطى والدنيا ، عمن اجابوا بعدم كفاية الدخل (بنسبة ٦٢ر٢١٪) بنفس الطبقة . كما أن نصف أعضاء الطبقة الدنيا يعرفون أن دخـــل اسرهم غير كاف ، فهم على وعى بالطبقة التى ينتمون اليها من الناحيـــة الاقتصادية ، على أن النصف الاخر لم يعط اجابة محددة .

وتوضح البيانات استجابات الاحداث الذين أودعوا بمؤسسة محرم بك بالنسبة لنفس السؤال السابق ، اذ يتضح أن جميع أعضاء الطبقة الوسطى — باستثناء من لم يعرفوا الدخل — يرون أنه كاف للاسرة ، بينما تتناقص نسبة من يرون ان الدخل غير كاف (بنسبة ٥٦ر٢٤٪) من اعضاء الطبقة بين الوسطى والدنيا ، اذا ما قيس بمعدل الذين يرون أنه كاف (بنسبة ٣٧ر٤٧٪) . ينطبق نفس القول على أعضاء الطبقة الدنيا اذ يرى ثلث الاعضاء كفاية الدخل ، ويرى ٦٧ر١٦٪ منهم عدم كفاية .

وتوضح البيانات الخاصة بمؤسسة المنشية الجديدة أن جميع الاحداث الذين تقع أسرهم بالطبقة بين العليا والوسطى يرون كفاية دخل الاسرة وان جميع الاحداث الذين تقع اسرهم بالطبقة الدنيا يرون عدم كفاية الدخل . ويرتفع معدل الذين يرون كفاية الدخل بالطبقة الوسطى (بنسبة ٦٧ر٩١٪) والطبقة وسطى الدنيا (بنسبة ٤٦ر٦٣٪) عن الذين يرون عدم كفايته بالطبقتين (بنسبة ٣٣ر٨٪ ، ٥٤ر٣٦ ٪) على التوالى .

٤ — واذا حاولنا دراسة الاحداث من حيث عمل الام فتوضـــــح البيانات الخاصة بمؤسسة شديدى الانحراف أن جميع أمهات الاحداث الذين تقع أسرهم فى الطبقة بين العليا والوسطى والذين تقع أسرهم بالطبقة الدنيا — كذلك — لاتعمل أمهاتهم ويزيد معدل الامهات اللائى لايعملن بالطبقة الوسطى (بنسبة ٨٩ر٨٨٪) عنهن بالطبقة بين الوسطى والدنيا (بنسبة ٧٨ر٨٣٪) ومعنى هذا ازدياد معدلات الامهـــات غير العاملات بارتقاء المستوى الطبقى ، باستثناء الطبقة الدنيا ، هذا ويزداد معدل الأمهات العاملات بالطبقة الوسطى (بنسبة ١١ر١١٪) عنه بالطبقة

بين الوسطى والدنيا (بنسبة ١١ر٨٪) بينما الامهـات اللائى تعملـن كخادمات توجدن فقط بين الوسطى والدنيا (بنسبة ٤١ر٥٪) .

وتوضح البيانات العلاقة بين الطبقة الاجتماعية وعمل أمهـات الاحداث المودعين بمؤسسة محرم بك . اذ تتضح نفس النتيجة السابقة حيث يتزايد معدل الأمهات اللائى لاتعملن بارتقاء الطبقة باستثناء اللائى تقع أسرهن بالطبقة الدنيا . كما ترتفع معدلات العاملات بالطبقة الوسطى (بنسبة ٥٧ر٢٨٪) عنهن بالطبقة وسطى الدنيا (بنسبة ٧٧ر٨٪) . أما اللائى تعملن كخادمات فترتفع معدلاتهن بانخفاض المسـتوى الطبقى باستثناء الطبقة الدنيا . حيث يصل أعلى معدل للخادمات الى ٠٧ر٢٨٪ من مجموع أسر الطبقة بين الوسطى والدنيا يلى ذلك من تقع أسرهن بالطبقة الدنيا (بنسبة ٦٧ر١٦٪) ثم من تقع أسرهن بالطبقة الوسطى (بنسبة ٢٩ر١٤٪) .

وفيما يتعلق بمؤسسة المنشية الجديدة ، فتوضح البيانات عكس ماسبق الاشارة اليه من نتائج بالنسبة لمن لايعملن،حيث يزداد المعدل كلما انخفض المستوى الطبقى ـ باستثناء من تقع أسرهن بالطبقة بين الوسطى والدنيا .

اذ أن جميع الامهات الواقعات بالطبقة الدنيا لا تعملن ، يلى ذلك من تقع أسرهن بالطبقة الوسطى (بنسبة ٣٤ر٨٣٪) ثم الطبقـة بين الوسطى والدنيا (بنسبة ٢٣ر٦٩٪) وأخيرا من تقع أسرهن بالطبقة بين العليا والوسطى (بنسبة ٦٧ر٦٦٪) . أما حالات الخادمات فترتفـع معدلاتهن بانخفاض المستوى الطبقى اذ يصل أعلى معدل لهذه الفئة بالطبقة وسطى الدنيا (بنسبة ٣١ر١٧٪) يلى ذلك من تقع أسرهن بالطبقةالوسطى (بنسبة ٣٣ر٨٪) . أما العاملات فيرتفع معدلهن بالطبقة بين العليـا والوسطى (بنسبة ٣٣ر٣٣٪) عنه بالطبقـة بين الوسطى والدنيـا (بنسبة ٩٦ر٧٪) .

٥ ـ وتحاول الدراسة الراهنة ـ اخيرا ـ ايضاح موقف الام من

الزواج بآخر (١) ٠ اذ توضح البيانات ان جميع الاحـــداث المودعين بمؤسسة شديدى الانحراف والذين تقع أسرهم بالطبقة بين العليا والوسطى وبالطبقة الوسطى لم تتزوج أمه بغير أبيه ٠ فى حين ترتفع معدلات الام غير المتزوجة بآخر بالطبقة بين الوسطى والدنيا (بنسبة ٦٨ر٧٥٪) عنها لدى الام المتزوجة والتى تم انفصالها فعلا عن الاب الشرعى للحدث (بنسبة ٩١ر١٨٪) ومعنى هذا أن الحالات التى يحتمل أن يكون زواج الام بغير الاب سببا فى الانحراف أو التشرد تقع فى الطبقات دون الوسطى بهذه المؤسسة ٠

وبتفحص هذه المسألة بمؤسسة محرم بك يتضح ارتفاع معـــدلات الامهات المتزوجات بغير الاب واللائى تم انفصالهن عنه بانخفاض المستوى الطبقى حيث يمثلن نصف أمهات الطبقة الدنيا ، يلى ذلك من تقع اسرهم بالطبقة بين الوسطى والدنيـــا (بنسبة ٥٨ر٣١٪) ثـــم من تقع أسرهن بالطبقة الوسطى(بنسبة٢٩ر١٤٪)٠كذلك الحال ينخفض معدل الامهات غير المتزوجات بآخر كلما انخفض المستوى الطبقى ٠

الا أن الامر يختلف بالمؤسسة الثالثة حيث تتمثل أعلى معدلات الزواج بآخر فى الطبقة الدنيا (بنسبة ٦٧ر٦٦٪) يلى ذلك من تقع أسرهن بالطبقة بين العليا والوسطى (بنسبة ٣٣ر٣٣٪) ثم تتعادل الامهـــات اللائى تقع أسرهن بالطبقة الوسطى أو الطبقة بين الوسطى والدنيا ، واللائى تزوجن بغير الاب (بنسبة ٢٥٪ لكل فئة منهما) ٠ ويكاد ينطبق نفس القول بالنسبة لغير المتزوجات حيث يرتفع معدلهن كلما ارتقت الطبقة باستثناء من تقع أسرهن بالطبقة الدنيا ٠

واذا حاولنا كشف العلاقة بين زواج الام بغير الاب وبين نوعيـــة اتهام الحدث بالطبقة الوسطى ، لاتضح لنا أن أعلى معدل من حالات الاتهام والذين كانت أمهاتهم متزوجة بغير الاب يقعون فى فئة جريمة « القتل »

---

(١) أوضحنا فى مقدمة الظروف الاسرية اعتمادنا على هذا المتغير دون زواج الاب بأخرى ، وذلك لان زواج الام بآخر يعنى ان هناك انفصالا قد حدث بين الابوين فعلا ٠ بالطلاق أو وفاة الاب ٠ ولكن زواج الاب بغير الام قد يعنى عدم انفصاله عن أم الحدث ٠

يلي ذلك حالات المروق (بنسبة ٢٥٪) ثم حالات جريمة السرقة (بنسبة ١٣ر٣٣٪) ٠

الا أن أوجه اتهام الحدث الذى تقع أسرته فى الطبقة بين الوسطى والدنيا ، يزداد معدلها فى حالات التشرد عموما (بنسبة ٣٨ر٤٦٪) وفى حالات زواج الأم بآخر ، يلى ذلك وجه اتهام المخدرات (بنسبة ٢٨ر٥٧٪) ثم التسول (بنسبة ٢٧ر٧٨٪) وأخيرا جريمة السرقة (بنسبة ١٨ر٠٣٪)٠ وهذا يعنى أن أبناء هذه الطبقة يتعرضون للتشرد أكثر من الاجرام عندما حالات المروق تزوجت امهاتها بغير الاب ، يلى ذلك ٢٨ر٥٧٪ من حالات تتزوج الام بغير الاب ٠ ومما يؤكد ذلك نتائج الطبقة الدنيا ، اذ أن جميع حالات المروق تزوجت أمهاتها بغير الاب ، يلى ذلـــك ٢٨ر٥٧٪ من حالات جريمة السرقة ٠

سابعا : أهم النتائج :

يهدف البحث الراهن الى ايجاد مقياس أو دليل يتحدد فى صوئه الوضع الطبقى للأسرة التى خرج منها الحدث المنحرف أو المشرد ٠ وهذا الدليل عبارة عن تعديل لدلائل أو مقاييس أخرى قمنا بها فى دراســـات سابقة ٠

كما يهدف البحث الى توضيح العلاقة بين المستويات الطبقيةالمختلفة وبين متغيرات محددة ترتبط بانحراف الصغار أو تشردهم ، ومدى اختلاف الطبقات فى هذه الأبعاد والمتغيرات ٠

ونعطى فيما يلى عرضا لاهم النتائج التى توصلت اليها الدراســـة المسحية الميدانية الراهنة :

أولا : دليل الوضع الطبقى :

١ ـ استخدمنا فى كثير من مقاييسنا للوضع الطبقى : دخل الاسرة ومهنة الوالد ومستـــوى تعليمه ، كأبعاد لتحديد الطبقـــة التى تنتمى اليها الاسرة ٠ وأضفنا فى المقياس الراهن : عمل الام ونوع المسكن وعدد حجراته وطبيعة اضاءته ، كمعايير وأبعاد أخرى فى المقياس ٠ الا أنها لم تنل فى المقياس سوى عشرين درجـــة من المجموع الكلى (مائة درجة) ٠ ولاضافة هذه الابعاد ما يبرره ، اذ

أن المتغيرات الاخيرة ـ المضافة ـ تؤثر الى حد كبير فى طبيعة موضوع دراستنا ، كما استخدمتها دراسات سابقة ـ غير دراساتنا ـ فى تحديد الوضع الطبقى .

٢ ـ أوضحت الدراسة عدم وجود حالات تقع أسرها فى الطبقة العليا وأن أعلى معدل للاحداث المودعين بالمؤسسات الثلاث ، تقع أسرهم فى الطبقة بين الوسطى والدنيا ، يلى ذلك الطبقة الوسطى ، ثم الطبقة الدنيا . وأن قلة من الاحداث المنحرفين والمشردين تقع أسرهم فى الطبقة بين العليا والوسطى .

ثانيا : الطبقة الاجتماعية وبيانات أساسية عن الحدث :

٣ ـ يقع أعلى متوسطات من الاحداث ـ موضوع الدراسة ـ بمؤسسة شديدى الانحراف ، يلى ذلك المودعين بمؤسسة المنشية الجديدة ، ثم مؤسسة محرم بك ، وهذا يتفق مع طبيعة الايداع فى كل مؤسسة ، اذ تتخصص الاولى فى الاحداث شديدى الانحراف والذين تكرر انحرافهم أو تشردهم ، وهى المؤسسة الوحيدة بمدينة الاسكندرية شبة المغلقة .

٤ ـ يتزايد معدل الاجرام فى فئة العمر « ١٤ ـ ١٦ سنة » بمختلف الطبقات التى تنتمى اليها أسر الاحداث . كما يتزايد معدل التشرد فى نفس فئة العمر بالطبقتين الوسطى ووسطى الدنيا . وتعتبر فئة العمر هذه أخصب فترات العمر انحرافا أو تشردا على السواء .

٥ ـ تتزايد معدلات المروق بين احداث الذين يقعون فى فئة العمر « ١٢ ـ ١٤ سنة » بالطبقتين وسطى الدنيا ، والدنيا .

٦ ـ ليس هناك اتجاه ثابت لارتباط تعليم الحدث المنحرف أو المشرد ـ على السواء ـ بالطبقة الاجتماعية للأسرة .

٧ ـ تنخفض معدلات الجرائم والتشرد بصفة عامة كلما ارتقى المستوى التعليمى للحدث ، بينما تتزايد معدلات حالات المخدرات والتسول كلما ارتقى المستوى التعليمى للحدث .

٨ ـ لايرتبط مستوى تعليم الحدث بتكرار الانحراف أو التشرد .

٩ ـ ترتفع معدلات الاحداث الذين كانوا بلاعمل قبل الايداع كلما ارتفع المستوى الطبقى عموما .

١٠ـ ترتفع معدلات الاجرام بين الاحداث الذين كانوا يعملون بأعمـــال حرة يلى ذلك فئة عمال الصناعة والباعة الجائلين ٠

١١ـ يتزايد العود الى الانحراف لدى من كانوا يعملون بأعمال حرة ، يلى ذلك الباعة الجائلون ، ومع ذلك لانستطيع الجزم بوجود علاقة ما بين المهنة والجريمة أو التشرد ٠

١٢ـ يمكن أن يكون ترتيب الحدث بين أخوته مؤشرا لارتكابه الجريمـة أو التشرد ـ وخاصة السرقة ـ ان كان أول الأخوه أو أخيرهم ، الا أن ذلك لايعنى أن غالبية الاحداث المودعين بالمؤسسات على هذا النمط ٠

١٣ـ ليس هناك ارتباط بين المرض الذى قد أصيب بـــه الحدث وبين انحرافه أو تشرده ٠

ثالثا : الطبقة الاجتماعية وظروف الاتهام :

١٤ـ تتزايد معدلات الاجرام والمروق كلما انخفض المستوى الطبقى ، بينما تتزايد معدلات التسول بارتقاء الطبقة ٠

١٥ـ يتزايد معدل المودعين بوجه اتهام واحد كلما انخفض المســـتوى الطبقى ٠

١٦ـ تمثلت أعلى معدلات الاعتياد على نفس الجريمة أو التشرد ،فى جريمة السرقة ، يلى ذلك الاعتياد على المروق ثم على التسول ٠

١٧ـ ان التحول من التشرد الى الاجرام يمثل أقل المعدلات ٠

رابعا : الطبقة الاجتماعية والمسكن والجوار :

١٨ـ يلاحظ أن غالبية المودعين بالمؤسسات الثلاث ،تقيم أسرهم بحجرة واحدة أو حجرتين ٠

١٩ـ يتزايد معدل من تسكن أسرهم بحجرة واحدة كلما انخفض المستوى الطبقى ٠ وينخفض معدل من يسكنون بحجرتين كلمـــا انخفض المستوى الطبقى ٠

٢٠ـ يرتفع معدل أسر الاحداث التى تستخدم الكهرباء فى الاضاءة كلما ارتفع المستوى الطبقى ، وعلى العكس يرتفع معدل من يستخدمون الكيروسين بانخفاض المستوى الطبقى ٠

٢١- يتزايد معدل الاسر التى تقيم بمسكن مستقل كلما ارتقى المستوى الطبقى وترتفع معدلات الجريمة وبعض حالات التشرد بارتفاع معدل السكن المشترك للاسرة • وأنه كلما انخفض المستوى الطبقى كان للجوار أثره فى انحراف الحدث أو تشرده •

خامسا : الطبقة الاجتماعية وظروف الاسرة :

٢٢- تتزايد معدلات الامية بين الاباء كلما انخفض المستوى الطبقى وتنخفض معدلات الحاصلين على مؤهلات بانخفاض المستوى الطبقى •

٢٣- يرتفع معدل الاحداث المجرمون كلما انخفض المستوى التعليمى لآبائهم، كما تتزايد حالات المروق بانخفاض المستوى التعليمى للآباء كذلك •

٢٤- يرتفع معدل الاباء عمال الصناعة بين فئات المهن ككل • كما يرتفع معدل الموظفين والتجارة والقائمين بأعمال حرة بارتفاع المستوى الطبقى •

٢٥- يمثل عمال الصناعة النسبة الغالبة لمهن آباء الاحداث المنحرفين أو المشردين - على السواء - الذين اتهموا بالسرقة أو المروق أو التسول ، ويأتى أبناء التجار والحرفيين فى الدرجة الثانية من الخطورة الاجرامية •

٢٦- ترتفع معدلات دخل أسرة الحدث كلما ارتفعت الطبقة الاجتماعية وترتفع معدلات الاحداث المودعين بتهمة السرقة أو النشل أو التشرد بانخفاض دخل الاسرة • كما ترتفع معدلات الاحداث المودعين بتهمة المروق كلما ارتفع دخل الاسرة •

٢٧- يرتفع معدل الامهات غير العاملات بارتقاء المستوى الطبقى • كما ترتفع معدلات الامهات الخادمات كلما انخفض المستوى الطبقى •

٢٨- يرتفع معدل الامهات المتزوجات بغير الاب بعد الانفصال عنه ، كلما انخفض المستوى الطبقى ، كما يزداد تعرض ابناء الطبقات دون الوسطى للتشرد - دون الاجرام - عندما تنفصل الام عن الاب وتتزوج بغيره •